الدّرس الصّوتيّ عند رضيّ الدّين الأستراباذيّ ٦٨٨ هـ

رسالة تقدّم بها

حسن عبدالغنيّ محمّد جواد الأسديّ

الى مجلس كلّيّة الآداب بالجامعة
المستنصريّة وهي جزء من متطلّبات درجة
الماجستير في اللغة العربيّة

تحت إشراف
الأستاذ الدكتور هادي نهر

١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م

مكتبة لسان العرب
https://lisanarabs.blogspot.com

❀ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي
بِالصَّالِحِينَ ❀ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ
صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ❀ وَاجْعَلْنِي
مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ❀

(سورة الشعراء، الآيات ٨٣-٨٥)

اشهد ان اعداد هذه الرسالة جرى باشرافي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

مكتبة لسان العرب

التوقيع :

الاسم : الاستاذ الدكتور هادي نهر

(المشرف)

٢٤ - ٧ - ١٩٩٦

بناء على التوصيات المتوافرة ، ارشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع :

الاسم : الاستاذ الدكتور نبهان ياسين

رئيس قسم اللغة العربية

ومسؤول الدراسات العليا

نحن اعضاء لجنة المناقشة نشهد اننا قد اطلعنا على الرسالة المقدمة من الطالب (حسن عبد الغني محمد جواد الاسدي) الموسومة بـ (الدرس الصوتي عند رضي الدين الاستراباذي ٦٨٨ هـ) وناقشناه في محتوياتها وفيما له علاقة بها ونعتقد انها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جداً) لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وادابها .

التوقيع :

الاسم : الاستاذ الدكتور هادي نهر

(المشرف)

عضوا

٢٤ - ٢ - ١٩٩٦

التوقيع :

الاسم : الاستاذ الدكتور غالب فاضل المطلبي

عضوا

٢٤/٢/١٩٩٦

التوقيع :

الاسم : الاستاذ الدكتور عبد الله احمد الجبوري

(عضوا)

٢٦ - ٢ - ١٩٩٦

التوقيع :

الاسم : الاستاذ الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي

رئيس اللجنة

٢٦/٤/١٩٩٦

التوقيع :

الاسم : الاستاذ الدكتور سامي مكي العاني

عميد كلية الاداب

مكتبة لسان العرب
https://lisanarabs.blogspot.com

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
المقدمة	هـ ـ ز
التمهيد	١
الفصل الاول : مواضع الدّرس الصّوتيّ وصادره ومنهجه ومصطلحاته عند رضي الدين	٣
المبحث الأول : مواضع الدّراسة الصّوتيّة في مؤلفي رضي الدّين.	٤
المبحث الثّاني : صادر الثّقافة الصّوتيّة لرضي الدين .	٧
المبحث الثّالث : منهج رضي الدّين في درسه الصّوتيّ :	١٠
ـ المنهج النظرى (الاسس الفكرية)	١٠
ـ المنهج العمليّ .	١١
المبحث الرّابع: المصطلحات الصوتيّة عند رضي الدّين:	١٤
ـ مصطلحات مخرجيّة	١٦
ـ مصطلحات الصّفات الصّوتيّة :	٢٠
١ . الصّفات الصّوتيّة الفضيلة :	٢٠
آ . صفات المجموعات	٢١
ب . الصّفات المفردة .	٢٣
٢ . الصّفات الصّوتيّة غير الفضيلة :	
آ . صفات المجموعات	٢٥
ب . الصّفات المفردة	٣٧
ـ مصطلحات التّجاور والتّركيب	٣٧
ـ المصطلحات العامـــــه	٥٥
ـ نتائج الفصل الاول	٦١
الفصل الثاني : اتّجاهات الدّراسة الصّوتيّة :	٦٤
الاتّجاه الأوّل : الاصوات في حالة الافراد:	٦٥
١ . إنتاج الأصوات	٦٥
٢ . أجزاء آلة الصّوت	٦٨
٣ . التّمايز الصّوتي عند الرّضيّ	٧١
١ـ آلية المخارج	٧١
ـ وقفة مع المخارج الصّوتيّة	٧٧
ـ الأصوات المتفرعة	٧٩
٢ـ آلية الصّفات الصّوتيّة	٨١

مكتبة لسان العرب
https://lisanarabs.blogspot.com

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
آ ٠ فضيلة الحرف	٨٥
ب ـ الجهر والهمس	٨٥
جـ ـ الشّدّة والرّخاوة وما بينهما	٩٠
د ـ الإطباق والانفتاح	٩٢
هـ ـ المدّ	٩٣
الاتّجاه الثّاني : الأصوات في حالة التّجاور والتّركيب (التعاملية) :	٩٨
آ ٠ الإدغام	٩٨
ب ٠ مظاهر أخرى للمماثلة	١٠٣
جـ ٠ المماثلة التّناسبيّة	١٠٤
د ٠ المماثلة الجزئيّة	١٠٥
هـ ٠ ظاهرة المخالفة الصّوتيّة	١٠٧
و ـ ظاهرة الإبدال	١٠٩
ز ـ القلب المكانيّ	١١١
ح ـ الحذف .	١١٤
الاتّجاه الثّالث : الأصوات في نظام الأداء	١١٥
آ ٠ الرّضيّ والبنية المقطعيّة العربيّة	١١٥
ب ٠ ظاهرة الاعلال .	١٢٣
نتائج الفصل الثّاني	١٢٧
الفصل الثّالث : علاقات النّظام الصّوتيّ :	١٣٠
التّمهيد	١٣١
المبحث الأوّل : علاقة النّظام الصّوتيّ بالنّظام النّحوي	١٣٥
١ ٠ الحركات دالّة المعنى الوظيفيّ (الطارئ)	١٣٥
٢ ٠ التّنوين علامة التّمام النحويّ	١٣٩
٣ ٠ حالة الوقف	١٤١
المبحث الثّاني : علاقة النّظام الصّوتيّ بالنظام الصّرفي :	١٤٥

مكتبة لسان العرب
https://lisanarabs.blogspot.com

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
٠١ الحركات والبنى الصّرفيّة	١٤٥
٠٢ التغيير الصّرفيّ ـ الصّوتيّ	١٤٥
المبحث الثالث : علاقة الأصوات باللهجات والقراءات القرآنيّة :	١٤٩
١ـ الميل نحو الكسر	١٤٩
٢ـ الميل نحو الضّمّ	١٥١
٣ـ الميل نحو الفتح	١٥٢
٤ـ التّخفيف	١٥٤
٥ ـ الإدغام (إدغام المتماثلين)	١٥٧
٦ـ المماثلة الصّوتيّة	١٥٨
آ ـ إدغام المتقاربين	١٥٨
ب ـ المماثلة التّناسبيّة	١٦١
جـ ـ الإتباع	١٦١
د ـ المماثلة الجزئيّة	١٦٢
٧ـ ظاهرة الإبدال	١٦٤
٨ـ السّلوك الصّوتيّ للّهجات والبنية الصّرفيّة	١٦٧
آ ـ تفريعات لهجة تميم	١٦٧
ب ـ تخفيف الهمزة	١٧٠
٩ـ السلوك الصّوتيّ للّهجات والوقف	١٧٣
نتائج الفصل الثّالث	١٧٨
نتائج الدّراسة	١٨٢
ثبت المصادر والمراجع	١٨٥
الملخص باللغة الانكليزية	١٩٤

تم تحميل هذا الكتاب من
مكتبة لسان العرب
lisanarabs.blogspot.com

ملحق بمحتويات البحث :

" المصطلحات الصوتية عند رضي الدين "

م	المصطلح	الصفحة	م	المصطلح	الصفحة	م	المصطلح	الصفحة	م	المصطلح	الصفحة
١	آلة الحروف	١٦	٢٠	الخفاء	٢٨	٥٩	الإظهار	٤٢	٨٨	لا أنية ولا أمو الأنية	٥٢
٢	آلة الصوت	١٦	٢١	الذلاقة	٢٠	٦٠	الاستدلال	٤٢	٨٩	المتقاربة	٥٢
٣	آلة الصفة	١٧	٢٢	الرخاوة	٢٠	٦١	الإعلال	٤٤	٩٠	المثل	٥٢
٤	الأدخل	١٧	٢٣	الشدة	٢٠	٦٢	التقاء الساكنين	٤٤	٩١	المجانسة	٥٢
٥	الأعلى	١٧	٢٤	شبه النفخ	٢١	٦٣	التقاء المثلين	٤٤	٩٢	المضارعة	٥٢
٦	الامتداد	١٨	٢٥	الصفير	٢١	٦٤	الإمالة	٤٤	٩٣	مقاطع الكلام	٥٤
٧	الأنبل	١٨	٢٦	العلة	٢٢	٦٥	البيان	٤٥	٩٤	المناسبة	٥٤
٨	أوضاع آلة الحروف	١٨	٢٧	القلقلة	٢٢	٦٦	بين بين المشهور	٤٥	٩٥	شق واحد	٥٤
٩	الحيز	١٩	٢٨	القوة	٢٢	٦٧	بين بين البعيد	٤٦	٩٦	نقل الحركة	٥٥
١٠	المخرج	١٩	٢٩	مابين الشدة والرخوة	٢٤	٦٨	بين اللفظين	٤٦	٩٧	الوقف	٥٥
١١	المدرجة	١٩	٤٠	المد	٢٤	٦٩	التبيين	٤٦	٩٨	الوقف الصناعي	٥٥
١٢	المرتفعة	٢٠	٤١	المصمتة	٢٥	٧٠	مجانسة الصوت	٤٦	٩٩	الإشباع	٥٥
١٣	المستفلة	٢٠	٤٢	المنخفضة	٢٦	٧١	التخفيف	٤٧	١٠٠	التصويت	٥١
١٤	الوضع	٢٠	٤٣	المنفتحة	٢٦	٧٢	تخفيف الهمزة	٤٨	١٠١	جرس الحرف	٥٦
١٥	فضيلة الحرف	٢٠	٤٤	النفخ	٢٦	٧٣	الترقيق	٤٨	١٠٢	جري الصوت	٥٦
١٦	الاستطالة	٢١	٤٥	الهمس	٢٦	٧٤	التسهيل	٤٨	١٠٣	جري النفس	٥٧
١٧	الإطباق	٢١	٤٦	المهتوت	٢٧	٧٥	التضعيف	٤٨	١٠٤	جوهر (الحرف)	٥٧
١٨	التفخيم	٢٢	٤٧	الصاوبي	٢٧	٧٦	تقريب الصوت	٤٩	١٠٥	الحرف	٥٨
١٩	الغنة	٢٢	٤٨	الابتداء	٢٧	٧٧	تناسب الأصوات	٤٩	١٠٦	الدرج	٥٨
٢٠	اللين	٢٢	٤٩	الإبدال	٢٨	٧٨	تنافر	٤٩	١٠٧	الصوت	٥٨
٢١	التأفيف	٢٢	٥٠	الإتباع	٢٨	٧٩	الحذف للعلاج	٥٠	١٠٨	الصوت الذاهب	٥٨
٢٢	التفشي والغارة	٢٤	٥١	أحوال الأبنية	٢٨	٨٠	الحذف للانبساط	٥٠	١٠٩	مادة الحرف	٥٩
٢٣	التكرير	٢٤	٥٢	اختلاف المثلين والمثال	٢٩	٨١	الحذف الترخيمي	٥٠	١١٠	المتحرك	٥٩
٢٤	الاستعلاء	٢٥	٥٢	الإخفاء	٢٩	٨٢	الحذف شيئاً	٥٠	١١١	مركب الصوت	٥٩
٢٥	الإطلاق	٢٥	٥٤	الادغام	٤٠	٨٢	حرف شامل (متوسط)	٥١	١١٢	النبر	٦٠
٢٦	الانحراف	٢٥	٥٥	الازدواج	٤١	٨٤	الساكن	٥١	١١٢	النفس	٦٠
٢٧	التفخيم	٢٦	٥٦	الاستثقال (الثقل)	٤١	٨٥	السلاسة	٥١			
٢٨	الترقيق	٢٦	٥٧	الإشراب	٤٢	٨٦	الفصل	٥٢			
٢٩	الجهر (الهمس)	٢٦	٥٨	الإشمام	٤٢	٨٧	القلب	٥٢			

ٱلرّموز ٱلْمستعملة في الحواشي :

ش ش = شرح شافية ٱبن ٱلْحاجب لرضيّ ٱلدّين ٱلْأستراباذيّ ، تح : محمّد نور ٱلْحسن ومحمّد الزفزاف ومحمّد محي ٱلدّين عبد ٱلْحميد ؛ (وهي ٱلنّسخة ٱلْمعتمدة في ٱلدّراسة) .

ش ك = شرح الكافية وهو (كتاب ٱلْكافية في ٱلنّحو ، شرحه رضي ٱلدّين ٱلْإستراباذيّ ، دار ٱلْكتب ٱلْعلمية ،بيروت ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م) .

ملاحظة :

١ـ ٱستعمال " حاشية ٱلْمصطلح " أُريد به : ، ٱلْحاشية ٱلّتي وضعتُها لتوثيق ٱلْمصطلح في كتب ٱلْمتقدّمين أو ٱلْمتأخرين عن ٱلرّضيّ ، ورقم ٱلْإحالة إلى هذه ٱلْحاشية يكون دائماً آخر رقم يخصّ ٱلْمصطلح المعين .

٢ـ لأسباب فنية جرى ٱستعمال إحالات متعدّدة تحمل ٱلرّقم نفسه مع رجوعها إلى ٱلْحاشية ٱلْمعينة بالرّقم .

---

٣ . عند وجود رقمي احالة متتابعة في نهاية المصطلح فان الرقم الاول متعلق بالكلام المذكور في نهاية المصطلح ، اما ثاني الرقمين فهو يحيل الى حاشية المصطلح (توثيق المصطلح) . منية المصطفى .

##########

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحمد للّه مستحقّ ٱلْحمد ، أحمده حمداً كثيراً مباركاً ، وأُصلي وأُسلِّم على خير صفوته من خلقه محمّد ، وأهل بيته ، ٱلطّيّبين ٱلْأطهار ، وعلى أصحابه ٱلمنتجبين ٱلْأخيار ، " ٱللّٰهُمَّ أَخْرِجْنِي مِنْ ظُلُمَاتِ ٱلْوَهْمِ ، وَأَكْرِمْنِي بِنُورِ ٱلْفَهْمِ ، ٱللّٰهُمَّ ٱفْتَحْ عَلَيْنَا أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ، وَٱنْشُرْ عَلَيْنَا خَزَائِنَ عُلُومِكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ " .

أمّا بَعْدُ : فهذه دراسة صوتيّة تحاول أن تُبرز مادة أحتوتها دفتا مؤلّفين تراثيين ألّفهما العالم ٱلشّهير رضي الدّين الأستراباذي النّحويّ ٱلْمتوفى سنة ٦٨٨ هـ (على ٱلْأرجح) شرح فيهما شيخي ٱبن ٱلْحاجب ٱلشّافية وٱلْكافية ، وكان قد أشار عليَّ بها ٱلْأستاذ ٱلدّكتور غالب فاضل ٱلْمطلبيّ عندما أتيته طالباً موضوعاً للدّراسة يكون مكمّلاً لدراسة ٱلْماجستير ، وقد أتمّ الدكتور فضله بوضع ٱلْخطة ٱلْأوّليّة للدّراسة .

لقد جاءت رغبتي ٱلشّخصيّة عاملاً قويّاً في أسباب أختيار ٱلْموضوع وقد أعان توفر هذه ٱلرّغبة سببان يتعلقان بالرّضيّ ومادته ، فهذا العالم يأتي بين متأخري نحاة ٱلْعربيّة ليكون في ٱلثُّلّة المقدّمة إلى جنب ٱلْخليل وسيبويه ، وثراء مادته ٱلصّوتيّة وعمقها في كتابيه ، خاصّة مادة شرح ٱلشّافية ، إذْ بإمكان هذه ٱلْمادة أنْ تقدِّم تصوّراً واضحاً لفروع ٱلْجانب ٱلْوظيفيّ من ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة ، وهو ٱلْفرع الّذي يبرع فيه علماء ٱلْعربيّة بكراً ، وماقدّمته هنا يؤيّد ذلك ، ولكنّ هذا التّصوّر - وإنْ تعلّق مجمله بٱلْعربيّة ٱلْمشتركة لغة ٱلْقرآن ، وشعر ماقبل الاسلام ؛ إلّا إنّنا نجد مادة أستطراديّة كثيرةً خصّ بها أئمتها متعدّدة من ٱلْأداء ٱللغوي ٱلْحليّ (ٱللهجات) ، أيام جمع ٱلْمادة ٱللغويّة عملاء ٱلْعربيّة ٱلْمتقدِّمون ٱلّتي ربّما فاقت ٱلْمادّة ٱلْمقدّمة ٱلْخاصّة بٱلْعربيّة ٱلْمشتركة (كما حدث في موضوعات ٱلْإبدال وٱلْإدغام وٱلْوقف وغيرها) ، ومع عظم هذه ٱلْمادّة فلم تكن الهدف لدراسته بقدر ماكان ذكرها تقريراً لسلوك ٱلْعربيّة ٱلْمشتركة ، ومحاولة ٱلْوقوف على قوانينها ٱلْمحدّدة وصم مظاهرها بٱلشّذوذ ، وٱلضّعف ، وٱلْخروج عن العربيّة .

وجاءت الدّراسة في تمهيد وفصول ثلاثة ، جعلت ٱلتّمهيد موضعاً لبيان ٱلْهدف الّذي أسعى إليه ، والمنهج الّذي أروم ٱلتّمسّك به عند تناول ٱلظّاهرة ٱلصّوتيّة عند ٱلرّضيّ :

أمّا ٱلْفصل ٱلْأوّل فقد جاء معبّراً عن أفكار ممهّدة للدّرس تحت عنوان : " مواضع ٱلدّرس ٱلصّوتيّ ومصادره ومنهجه ومصطلحاته عند رضي ٱلدّين " ، وهو وقفة لاينبغي إهمالها ، وٱلتّجاوز عنها خاصّة مبحث " ٱلْمصطلحات " الّذي يكوّن ٱلْمادّة ٱلْأعظم لهذا ٱلْفصل ، ويعود ذلك إلى طبيعة فهم ٱلْمصطلح وٱلْمنهج الّذي أتّبعته فيه من

مكتبة لسان العرب
https://lisanarabs.blogspot.com

جهة، وإلى طبيعة بقيّة مباحث الفصل من جهة أخرى، ومباحث الفصل هي :

المبحث الأوّل : مواضع الدّراسة الصّوتيّة في مؤلفي رضي الدّين .

المبحث الثّاني : مصادر الثّقافة الصّوتيّة لرضي الدّين .

المبحث الثّالث : منهج رضي الدّين في درسه الصّوتيّ .

المبحث الرّابع : المصطلحات الصّوتيّة التي استعملها رضي الدّين .

ثم يأتي الفصل الثّاني بعنوان : " اتّجاهات الدّراسة الصّوتيّة " للوقوف على جوانب الدّرس المختلفة التي تناولها الرّضيّ وكونت ثلاثة اتّجاهات هي مباحث هذا الفصل، وهي :

" الاتّجاه الأوّل : الأصوات في حالة الإفراد "

" الاتّجاه الثّاني : الأصوات في حالة التّجاور والتّركيب (التّعامليّة) "

" الاتّجاه الثّالث : الأصوات في نظام الأداء "

وتمثّل مادّة هذا الفصل محور الدّرس عند الرّضيّ ، فحالة الإفراد تتعلّق بعملية إنتاج الأصوات ومتعلّقاتها من تشريح آلة الصّوت والمخارج والصّفات التي هي مراتب التّمايز الصّوتيّ، لذلك الصّوت المشابه الأفراد الذي يعبّر عنه بالصّوت السّاذج أو ساذج الصّوت " . ثم حالة التّجاور والتّركيب (التّعامليّة) وتمثّل محل الظّواهر الصّوتيّة التي ناقشها الرّضيّ وجاء هذا الاتّجاه عنده معبّرا عن حالة نطقيّة أي بمعنى أنّه لم يقل إنّها نتاج التّعامل بين الأصوات المتجاورة بل إنّ المتكلّم لسبب يذكره الرّضيّ يعمل تلك الظّواهر ، إلاّ أنّ الفهم الواقعيّ اقتضى أن أعبّر عنها بالتّعامليّة، وإنّي أعتقد أنّ ذلك لا يتعارض وفهم الرّضيّ، لأنّ ما ذكره للظّاهرة لا يتعدّى كونه محاولةً لتبرير تلك التّحوّلات ، ولم يكن الغرض بيان حقيقة ما يحدث ، كما أنّ ما يقدّمه هنا من تعليلات كان ركيزة لي في بيان التّعامليّة في فهم الظّواهر، وهي ما يدخل تحت المماثلة الكليّة كالإدغام وما أطلقت عليه المماثلة التّناسبيّة والمماثلة الجزئيّة والمخالفة والإبدال والقلب المكانيّ والحذف .

أمّا الاتّجاه الثّالث فقد جاء للوقوف على فهم الرّضيّ لسلوك الأصوات داخل بناء الكلمة والسّلسلة الكلاميّة، وكيفيّة التّتابع الذي ترتضيه فيما بينها (صوامتها وصوائتها) في بداية العمليّة الكلاميّة وعند الدّرج ؛ ويكوّن موضوعا " التقاء السّاكنين والابتداء " المصدر المهم لمعلومات هذا الاتّجاه . ثم الفصل الثّالث (الأخير) وهو فصل العلاقة المتبادلة بين الأنظمة اللّغويّة تحت عنوان (علاقات النّظام الصّوتيّ)، وقد صوّر

ٱلْبحث ٱلْأَوّل : علاقة ٱلنّظام ٱلصّوتيّ بٱلنّظام ٱلنّحويّ وٱلْبحث ٱلثّانيّ : علاقة ٱلنّظام ٱلصّوتيّ بٱلنّظام ٱلصّرفيّ ، حاجة منهجيّة في فهم ٱلظّاهرة ٱللّغويّة (وهي منهج ٱلنّحو ٱلْوصفي ٱلْحديث) أُحاول رصدها عند ٱلرّضيّ وٱلْوقوف على مواضع إدراكه لها ؛ وكانت المعالم ٱلنّظرية هنا في نظري أهمّ ممّا يقدّم من تطبيقات ؛ لِأَنّ في ذلك إدراكاً قد لا يتوافر لِلمعالم فيما يقدّمه من تطبيقات .

أمّا ٱلْبحث ٱلثّالث وهو " :علاقة ٱلْأَصوات بٱللّهجات وٱلْقراءات ٱلْقرآنيّة " فيشكّل رصداً مكملاً لجوانب ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة عند ٱلرّضيّ حيث نلحظ فيه سلوك ٱلْأَصوات في مظاهرها ٱلتّعاملية وعلاقاتها ٱلصّرفيّة وٱلنّحويّة في ٱلْمستويات ٱلْأَدائيّة ٱللّهجيّة .

وقد حرصتُ عند نهاية كلّ فصل من ٱلْفصول ٱلْمذكورة على ذكر مجموعة من ٱلنتائج تأْلّف ٱلْخطوط ٱلْأَساسيّة لمحصلة ٱلْفصل ٱلْمعين، ثمّ جعلتُ في خاتمة ٱلْفصول نتائج عامّة تمثل أهم نتائج الدراسة .

وقد اعتمدت في دراستي هذه على عمل جداول مختلفة، ورسوم توضحيّة ساعدتني على ٱلْخروج بنتائج ربّما تكون أكثر علميّة ودقّة تمثّل معطيات رضي ٱلدّين في كتابيه الآنفي ٱلذّكر . وبعد فإنّي قَدِمتُ إلى جانب من ٱلدّراسة ٱللّغوية لا يخلو من صعوبة كامنة في طبيعة دراسته ومنهجه زيادةً على قلّة ٱلْوعي بخطورته في ٱلْبحث ٱللّغويّ ٱلْمعاصر ، وقد سعيت فيه سعياً مخلصاً ؛ فإنْ وُفّقت فَبِمنّ ٱللّه وإعانته وبما أولانيه ٱلْأستاذ ٱلْجليل ٱلدّكتور هادي نهر ٱلْمشرف على ٱلْبحث ٱلّذي أُقدّم له شكري مع ٱمتنانٍ وعرفانٍ كبيرين لِمَا أعانني في ٱلاعتماد على ٱلنّفس وبلوغ أقصى ٱلْجهد بتوجيهاته ٱلّتي اعتزّ بها كثيراً ؛ وإلّا فحسبي أن ينظر إلى هذا ٱلْعمل بعين صاحبه ٱلّذي يعتقد فيه تقصيراً يحاول أنْ يزيله بإرشادات ٱلنّاظر إليه وتوجيهاته ٱلْقوّمة ، ممن يرجو إلّا يبخل عليه بها .

ومن ٱلْواجب هنا أن أشير إلى ٱلشّكر وٱلْامتنان ٱلّذي أحمله لِلْأستاذ ٱلْفاضل ٱلدّكتور غالب فاضل ٱلْمطلبيّ ٱلّذي لم يبخل ولا يزال بتوجيهاته ٱبتداءً باختيار الموضوع ووضع خطته ٱلْأَوّليّة .

ويرتبط بهذا ٱلْواجب أن أُقدّم شكري وٱحترامي لِلْأستاذ ٱلْفاضل ٱلدّكتور غانم قدوري ٱلْحمد لاجابته في ٱلْحصول على بعض ٱلْبحوث ٱلصّوتيّة وأُقدّم شكري وتقديري أيضا إلى كلّ من مدّ لي يد ٱلْعون وٱلْمساعدة قولاً وعملاً وأخصّ منهم منتسبي ٱلْمكتبة ٱلْمركزيّة بٱلْجامعة ٱلْمستنصريّة ، وفي مقدمتهم مديرها ٱلْفاضل ٱلْأستاذ محمد عبود ٱلزّبيديّ وأيضاً منتسبات مكتبة كلية ٱلْآداب بٱلْجامعة لتيسيرهم ٱلْحصول على مصادر ٱلدّراسة في سنتي ٱلْماجستير .

هذا : " وَلِلّهِ ٱلْحَمْدُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ "

بغداد

١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م

حسن ٱلْأسديّ

التمهيـــد

يأتي بحثي هذا ضمن الدّراسات الوصفيّة ذات الصّفة التّقويميّة الّتي تعمل على الإفادة من إفرازات النّتاج الفكريّ المعاصر، للوصول إلى إبراز مواطن التّفاعل بينَ النّتاجين : القديم المتمثّل في الفكر الصّوتيّ عند رضي الدّين الأستراباذيّ (معبراً عن التّراث العربيّ الإسلاميّ) ، والحديث فيما توصّلتْ إليه الدّراسات اللّسانيّة المعاصرة المُستندة إلى كمٍ هائلٍ من الأفكارِ والنّظريّات وتفاعلاتها مع التّقنيّة الحديثة بمختبراتها وأجهزتها الخاصّة ؛ تحدوني في هذا الرّغبة الصّادقة إلى الابتعادِ عن التّعسفِ والتّكلفِ الّذي قدْ يُصاحِب مثلَ هذه الدّراسات، إنّني أسعى عبْرَ تفاعلٍ بينَ النّتاجينِ إلى تحديدِ معالمِ (النّظريّة الصّوتيّة العربيّة) .

ولا أعدو (في منهجي هذا) أنْ أسير في مظهرٍ من مظاهر اللّسانيّات المعاصرة الّذي تجلّى " في الحركةِ الاستبطانيّة الّتي تشهدُها الدّراساتُ التّاريخيّة ، والمحاولاتُ التّنظيريّة العامة ، وذلك أنّ الفكر اللّسانيّ الغربيّ قد اتّجه أخيراً - فيما اتّجهَ إليه - إلى إعادةِ قراءة تراثه اللّاتينيّ نافذاً من خلاله إلى التّراث اليونانيّ أحياناً . وهذا المنهج (السّلفيّ) أو (العودويّ) كما يصطلحُ زكي نجيب محمود هو بمثابة البحث في خبايا التّراثِ اللّغويّ بغيةَ إدراكِ أسرارِ العلم اللّسانيّ الحديث من جهةٍ ، وتقييم التّفكير التّاريخيّ في الظّاهرة اللّغويّة بمنظورٍ حديثٍ من جهة أخرى "(١) زيادةً على ما سبق ؛ فإنّ هذا المنهج كانَ مظهراً من مظاهرِ الحركة الاستشراقيّة من خلالِ ما قدّمَتْهُ من دراساتٍ ، وفي هذا السّياق يشيرُ أحدُ الغربيّين (٢) إلى أنّه بفعلِ تلكَ المهارة الّتي تمتعَ بها النّحاة العرب في مشاهدة اللّغة ووصفها ، وبشكل خاصٍ وصفهم الدّقيق للصّوتيّات الشّامل الّذي يكادُ يكونَ تقديماً حديثاً - قد أدى إلى أنْ ينشغلَ بعضُ المستعربينَ الأوربيّين بنظام الصّوتيّات (أو بنظام لفظ الحروف في العربيّة التّقليديّة) انشغالاً تفصيليّاً، ونذكرُ بهذا الخصوص دراسات (شادة) و (پريفمن) و (كانتينو) ..

---

(١) التّفكير اللسانيّ : ١٤ .

(٢) وهو : أ . د لفكانك روشيك ينظر بحثه : النّحاة العرب القدامى، وعلم اللّغة الحديث : ١٦ .

وعلى الرّغم من أنّ ظهور علم الأصوات العربيّ يمتدّ إلى عمقٍ تاريخيٍّ يَسبقُ الرّضيّ بقرونٍ متعدّدةٍ ، فإنّ هذا لم يكنْ مانعاً لَه من أنْ يقدِّمَ لنا أفكاراً وتصوّراتٍ صوتيّة جدّ خطيرة كانت مطيَّتنا في انشاء هذا الدّرس منهجاً وتطبيقاً ، مع إغناءِ جوانبه المختلفة ممّا سنقفُ عليه خلال مباحثَ دراستنا هذهِ الّتي تكوّن موضوعاتُ أحوالِ الأبنيةِ وماليسَ بأبنية ولا أحوال أبنية في شرح الشّافية مصدرَ الثّراء الأعظم لِلمادة الصّوتيّة حتّى إنّني رأيتُ لأجل هذا أنْ أطلقَ عليها المباحثَ الصّوتيّة في شرح الشّافية (وسنقفُ على هذا بمزيدٍ من التّفصيل في مبحث : مواضع الدّراسة الصّوتيّة في الفصل الأوّل) .

وبعدُ، فإنّي في فقرات بحثي هذا وحواشيه سأورد بعض آراء علماء العربيّة المتقدّمين : الخليل، وسيبويه، وابن جني، وغيرهم ، وكذلك آراءِ المحدثين ما أجد حاجة إلى ذلك .

+++++++++++

ٱلْفصل ٱلْأوّل

مواضع ٱلدّرس ٱلصّوتيّ ومصادره ومنهجه ومصطلحاته عند رضيّ ٱلدّين

ٱلْمبحث ٱلْأوّل : مواضع ٱلدّراسة ٱلصّوتيّة في مؤلفي رضيّ ٱلدّين

ٱلْمبحث ٱلثّانيَ : مصادر ٱلثّقافة ٱلصّوتيّة لرضيّ ٱلدّين

ٱلْمبحث ٱلثّالث : منهج رضيّ ٱلدّين في درسه ٱلصّوتيّ

ٱلْمبحث ٱلرّابع : ٱلْمصطلحات ٱلصّوتيّة ٱلّتي ٱستعملها رضي ٱلدّين

المبحث الأوّل
مواضع الدّراسة الصّوتيّة في مؤلفيّ رضي الدّين

أقتصرُ هنا على الإشارة إلى مواضعَ الدّراسة الصّوتيّة في شرح الشّافية، وأُهملُ ماجاء منها في شرح الكافية لندرتها أوّلاً ، وتأثرها ثانياً ، إذ إنّها لاتعطينا فائدةً منهجيّة بورودها متناثرة في موضوعات الدّراسة النّحويّة ؛ أمّا في شرح الشّافية فالمسألة مختلفة تماماً ، إذ نقفُ فيه أمام كمٍّ هائل من المعلوماتِ الصّوتيّة ذاتَ المواضع المحدّدة ، الّتي يُمكِّننا من خلالها أنْ نخرجَ بحصيلة منهجيّة تبيّن النّمط الّذي تسيرُ عليه الدّراسة الصّوتيّة عند الرّضيّ .

وتبدو مباحثُ أحوال الأبنية في شرح الشّافية مع المباحثِ الّتي ليست بأبنية ولا أحوال أبنية مكوِّنة مثل المادة الصّوتيّة (وقد تواردت هذه في القسم الأخير من الكتاب) يشاركُها مبحثُ (القلب المكانيّ)[1] ، الّذي ذكره في بدايات الكتاب الخاص بالأبنية، والأرجح عندي أنّ ذكره هناك بعيداً عن أحوال الأبنية لم يكن إلاّ من تداعيات الميزان الصّرفيّ ووزن الأبنية، وكان الأجدر بالرّضيّ أنْ يجعله منها .
وأحوال الأبنية عند الرّضي هي الّتي قال عنها : " وإنّما يَدْخُلُ في أحْوالِ الأبْنِيَةِ : الابتداءُ، والإمالةُ، وتخفيفُ الهمزةِ، والإعلالُ، والإبدالُ، والحذفُ ، وبعضُ الإدغام، وهو إدغامُ بعضِ حروفِ الكلمةِ في بعضٍ ، ... وكذا التقاءُ السّاكنين ، وهو إذا كانَ السّاكنانِ في كلمةٍ "[2] ، أمّا بقيّة المباحثِ الّتي قالَ عنها إنّها ليست بأبنية ولا أحوال أبنية الّتي تدخل هنا هي : الوقفُ، والإدغامُ في كلمتين، والتقاءُ السّاكنين فيهما[2] .

ممّا سبق نخلص إلى أنّ مواضع الدّراسة الصّوتيّة قد ركزت في المباحث الآتية من شرح الشّافية، وهي : (عمومُ الإدغام، وعمومُ التقاءِ السّاكنين، والابتداءُ، والإمالة، وتخفيفُ الهمزةِ، والإعلالُ، والابدالُ والحذفُ، والوقفُ، والقلبُ المكانيّ) . وهي ماسأطلق عليها تسمية المباحثِ الصّوتيّة أو المباحث العشرة .

---

(١) اصطلاح (القلب المكانيّ) لم يستعمله الرّضيّ أبداً، واكتفى بمصطلح (القلب) فقط ينظر ش ش ١ / ٢١ ومصطلح القلب .
(٢) ش ش ١ / ٥٠

وألحظُ هنا اصطلاح الرّضيّ عليها بـ (أحوال الأبنية، وماليس بأبنية ولا أحوال أبنية) فيبدُ موفقاً جداً وخطيراً إذ فيهما إدراك كاملٌ للأساس الصّوتيّ لهذه المباحث الّتي كانَ من الممكن جداً أنْ تتطورَ إلى علم متكاملٍ يدرسُ الأصوات اللّغويّة، ومظاهر التّحوّلات الصّوتيّة داخل البِنْية، وخارجها، ونظام الأداء التّشكيليّ ، غير أنّ اقتصار نَظْرته للأصوات في حدود البِنية والتّجاور على ما هو أكبر من البِنية حال دونَ ذلك، وقد عملَ هذا (ومن خلال هذه النّظرة) على الرّبط الشّديد بين الأفكار الصّوتيّة، والوحدة الأساسيّة لعلم الصّرف (أي : الكلمة) فجعلَ من علم الأصوات العربيّ يدورُ داخل الكلمة، ويقف عن الاكتمال كأحدِ العلوم اللّغويّة الأخرى ؛ ولا أعني هنا فقط دورَ الرّضيّ بل أعني دور سيبويه والرّضيّ تلميذ نجيب له، واستفاد من أفكاره كثيراً حين وظّف عمل أستاذه الخليل في توزيع الأصوات بحسب مخارجها وأحيازها لفهم الإدغام ، وهو ماظلّ ملازماً الدّراسات الصّوتيّة في المؤلفات النّحويّة أو الصّرفيّة حتّى الرّضيّ ، الّذي عمل على تعميق الفائدة من المبحثين الأساسيّين في الإدغام، وهما مبحث مخارج الأصوات، ومبحث الصّفات في دراسة تحوّلات البِنية اللّغويّة جميعها (أعني : الإدغام، والإبدال، والإعلال ، والإمالة، وتخفيف الهمزة ، وغيرها) حيث برزت منهجيّته الصّوتيّة بشكل واضح على غيره من العلماء (سيبويه، ومن أتى بعدَه) .

وربّما أكون أكثر اعتدالاً لو أطلقتُ على هذه المباحث العشرة أو المباحث الصّوتيّة تسمية (المباحث الصّرفيّة-الصّوتيّة)(*) ؛ للتّفاعل الواضح بين علم الأصوات، وعلم الصّرف ، وتعلّق أحدهما بالآخر في هذه المباحث الّتي أختم وقفتي معها بالخروج إلى بعض الأفكار المنهجيّة الخاصة بالدّراسة الصّوتيّة، ومواضعها أضيفها إلى ماسبق وهي : ـ

١ ـ إنّ موضوعات الإدغام والتقاء السّاكنين، والوقف والابتداء ، أقيمتْ على تصوّر صوتيّ محضٍ لتجاوزها حدود البِنية المفردة إلى السّلسلةِ الصّوتيّة على غير ماهو الحال في بقيّة الموضوعات الّتي تكونُ تسمية (الصّرفيّة-الصّوتيّة) أكثر تعبيراً عن طبيعة النّظرة لتحوّلاتها الصّوتيّة .

---

(١) في المصطلح، يُنظر: مقدمة الفصل الثّالث .

(*) وهو التصور الخاص بالدراسات الصرفية عند علماء العربية المتقدّمين ، ويرى المحدثون أن الوحدة الأساسية لعلم الصرف هي المورفيم .

٢ـ تجزئة الظواهر الصوتيّة في المباحث العشرة (السابقة) المتمثلة بتناول كلّ مبحثٍ على حدة ، وعدم محاولة وضعها في إطارٍ جامعٍ لمناقشة ظواهرها قد أفقدت المادة الصوتيّة إمكانيّة تحوّلها إلى كيانٍ مستقلٍّ هو علم الأصوات، أو علم أحوال الأبنية .

٣ـ التقييد الموضعيّ لأخطر موضوعين في الدراسات الصوتيّة القديمة والمعاصرة، وهما: موضوع المخارج الصوتيّة، وموضوع الصفات اللذان يرصدان مراتب التمايزات الصوتيّة المختلفة إذ لم يُعادا بداية موضوع الإدغام في المؤلفات النحويّة والصرفيّة ومعهم مؤلّف الرضيّ، وقد أسهم هذا التقييد الموضعيّ في عدم تبلور العلم المستقل للأصوات ؛ على الرغم من وجود مفاهيمَ كافيةٍ لتشكيل جميع فروعه، (وحسبنا هنا ماقدّمه علماء التجويد، ومعهم ابن سينا من استقلاليّة واضحة لعلم الأصوات .

٤ـ استطراداً مع ماسبقَ، أشير إلى أنّ مبحث الإدغام باحتوائه على موضوعيْ المخارج، والصفات قد كوّن مقتلَ هذا الدرس الذي أسعى إلى إخراجه، فزيادةً على مساهمته الفعّالة في فهم التحوّلات الصوتيّة لمختلف الموضوعات فقد قدّم لنا التصوّرات الخاصة بالجهاز النطقيّ، وكيفيّة إنتاج الأصوات اللغويّة وغير اللغوية، وقدّم لنا مراتبَ التمايز بين الأصوات بالاعتماد على آليّة المخارج الموزعة على طول الجهاز النطقيّ، والصفات الصوتيّة لجميع الأصوات (ماكانت عامّة لها، وماكانت خاصّة ببعضها) .

٥ـ يقدّم لنا الرضيُّ في التقاء الساكنين، والابتداء تصوّراتٍ مهمةً جداً تخصّ النظام المقطعيّ للعربيّة الفصحى مع شيءٍ ممّا تميّزت به بعضُ لهجاتها في أنظمتها المقطعيّة ؛ زيادةً على هذا، فإنّي وجدتُ مواضعَ أخرى أقيمت على تصوّراتٍ مقطعيّةٍ ، خاصةً ماكان في ظاهرة الإعلال، وبعض مظاهر الوقف .

+‡‡‡‡‡‡‡+

المبحث الثاني
مصادر الثقافة الصّوتيّة لرضيّ الدّين

تمثّل الدّراسة الصّوتيّة للخليل وسيبويه ثروة مهمّة للدّراسات العربيّة اللاحقة وقد حرص علماء العربيّة على ورود مسنبعيها الغنيين حتّى إنّ النّظرة العامّة للدّراسة الصّوتيّة التّراثيّة تعطينا انطباعاً أنّ اولئك العلماء لم يستطيعوا إلاّ متابعة أحدها ، ولم يقدموا إلاّ إضافات أتاحتها أعمال هذين العلمين .

والرّضيّ هنا واحد من أولئك الّذين تابعوا سيبويه بشكل خاصّ غيرأنّ ذلك لايعني توقفه عند سيبويه فقط ، بل تجاوز ذلك الى مجمل التّراث العربيّ السابق لعصره ، وقد ذهبت باستقراءٍ لمواضع ذكرة لأسماء الاعلام وكتبهم ، و اقتصرفي هذا الاستقراء على مواضع الدراسة الصوتية من اعمال هذا الرجل وهي الموضوعات العشرة التي سبق الوقوف عندها في المبحث الاول من هذا الفصل الخاصّ بمواضع الدّراسة الصّوتيّة . وقد توصّلت إلى مايأتي :-

١- يعمد الرّضيُّ إلى ذكر أسماء الرِّجال دونَ أسماءِ كتبِهم خلا مواضع قليلة لاتتجاوز خمسةَ مواضعَ (١) ، ذكرفيها كتابَ التّكملة لأبي عليٍّ الفارسيّ والفصيح لثعلب ، وماكانَ من ذكره لصاحبِ المفصل وحاشية كتاب ابن برمان ، والكافية للمصنّف مع إحالات متعدّدة إلى كتابه شرح الكافية .

٢- التّوثيق والإحالة ترد ان في صيغ متعدّدة من نحو قوله : " وعِبارَةُ سِيبَوَيْهِ " و " ... عِنْدَ الزَّجّاجِ ، والسّيرافيّ ، كَمامَرَّ في شَرْحِ الكَافِيَة " و " ذَهَبَ ابْنُ جِنّيّ ... " و " قَوْلُ صَاحِبِ المُفَصَّلِ " و " عَدَّهَا السّيرافي " و " أنْشَدَ أبُو عَلِيٍّ ... " ، إذ يدو تعدّدها تلبيةً لمتطلبات السّياق الّذي ترد فيه (٢) .

٣- بلغَ مجموعُ مصادره بحسب ماتوصّلْتُ إليه (٣٣) مصدراً ، والملاحظُ هنا أنّ هذا العددَ لايُعبّر عن مجموع مصادره بدقّةٍ حيثُ أجد مايقودني إلى القول بأخذه عن مصادرَ أخرى ، لعلَّ أبرزَها كتبُ الخِلاف وكتبُ الموسوعات اللّغويّة الّتي تجمعُ الآراء . وذلك من خلالِ نسبتِه إلى المدارس اللّغويّة المعروفة من نحو نسبته إلى (الكُوفيين) أو (الكوفيّة) و (أهل البَصرة) أو (البصريّة) . وينسبُ أيضاً إلى (بعضِ البَغَادِدَة) ، وأيضاً بعض عباراته من نحو : " غَيْرِ سيبويهِ " و " قالَ بَعْضُهُم " و " سَائِرِ النّحاة " و " عُلماءُ هذا الفنّ " (٣) .

---

(١) المواضع على الترتيب : ش ش ٢٠/٢٨٣ ، ٢/٢٤٦ ، ٣/١٨٩ ، ٣٦/ ٢٥٦ ، ٣/ ٢٩٤ .

(٢) المواضع على الترتيب : ش ش ٣/٢٥٣ ، ٢/ ٢٤٢ ، ٢/٢٥١ ، ٣٦/١٨٩ ، ٣/١٨٩ ، ٣٦/٢٠٦ ، ٣/ ٢٠٥ .

(٣) ينظر فيما سبق : ش ش ٣/ ٦٥ ، ٦٦ ، ٥٨ ، ٧٦ ، ٩٢ ، ٢/ ٢٥٩ ، ٣/٧٧ ، ٢/٢٥٨ ، ٣/٨٣ ، ٣/١١٨ ، ٣٦/٢٧٤ ، ٣/٢٥٣ .

وقد تكونُ من مصادره كتبُ القراءات القرآنيّة، وكتبُ أهل التّجويد، وكتب الأشعار، والدواوين من خلال مانجده في مادة المباحثِ من قراءات، ومصطلحات صوتيّة عُرِفَت عن مؤلفي هذين النمطيْنِ من العلوم ذاتَ الصّلة الوثيقة بالدّراسة الصّوتيّة، كذلك مانجده من أشعار يستشهدُ بها على الاستعمالاتِ الصّوتيّة .

٤ـ يُمكننا أنْ نحدّدَ طبيعةَ مصادره في دراسته الصّوتيّة من خلال ماذكره من أسماء أعلامها، وتأتي المؤلفاتُ النّحويّة الّتي ذُكِرَت فيها المادةُ الصّوتيّةُ متصلةً بالمادة الصّرفيّة والنّحويّة بذكره لأسماء (سيبويه، والمبرد، وأبي عليّ، والسّيرافيّ، وابن جنّيّ، والزّمخشريّ، وابن يعيش)، وكذلك بذكره لعبد القاهرِ الجُرجانيّ، وابن كَيْسان، وكتب القراءات بماذكره من أسماء القراء الّذين تحرصُ جماعةُ الإقراء على ذكر قراءاتهم: منهم من السّبعة من نحو: أبي عَمْرو بن العلاء، وحَمْزَة، والكِسائيّ، ونافع ... وغيرهم)، أو مَن كان من غير السّبعة كـ عمرو بن عبيد، وأبي أيوب السّجستانيّ، ويعقوب الحضرميّ، وغيرهم (١)، وأزيد هنا ماكان في مؤاخذته على شُرّاح لامِ الشّاطبيّ في شاطبيّته .

والرّسائل اللّغويّة، وكتبها بذكره لأسماء أبي الخطاب، والأصمعيّ، وقطرب، وثعلب في الفصيح، ولا يفوتُني أنْ أذكر ثقافتَه المنطقيّة الّتي أورد مترجمو حياته أنّه عَمِل في ميدانها بماقدّمه من بعض المؤلفات (٢)، وقد بدتْ هذه الثّقافة متفاعلةً مع الأفكار الصّوتيّة من خلال بعضِ مصطلاحاته، كمصطلحي (جوهر الصّوت) و (الصّوت السّاذج) وبعض الاستعمالات الأخرى .

٥ـ يبرزُ سيبويهِ على جميع مصادره بكثرة ماينقُل عنه، وماتبنّاهُ من أفكاره الّتي لَم يشرْ إليه فيها، وقد بلغَ تردّدُ سيبويهِ في المباحث العشرة (١٣٠) مرّة: أيّ مايزيدُ على نصف المجموع الكليّ لمصادر الدّراسة الصّوتيّة البالغ (٢٢٨) مرّة، وفي هذا مايؤكّد (بشكل واضح) مازعمه بعضهم بشأن الرّضيّ " إنّه ليسَ في المتأخّرينَ مَن اطّلعَ على دقيقاتِ كتابِ سيبويهِ مثلَه " (٣) .

---

(١) ينظر : المبحث الثالث من الفصل الاخير .
(٢) ينظر : هدية العارفين : ٢/ ١٣٤ .
(٣) مفتاح السّعادة : ١/ ١٨٤ .

وجاء بعد سيبويه ٱلأخفش بـ (٢٥) مرةً ثمّ الخليل بـ(٢٣) مرةً فٱلسّيرافـــيّ بـ (٢٠) مرة فأبو علي الفارسي بـ(١٥) مرةً، فٱلمازنيّ بـ (١٣) مرة ، فٱلفرّاء بـ(١٢) مرةً، فٱلكسائيّ بـ(١٠) مرّات، فٱلمبـــرد وٱبنُ جنّيّ في (٩) مرات، ويلحظ ٱلفارق ٱلواسع بين سيبويه ومن يليه .

٦ــ يعدّ سيبويه والسّيرافيّ أبرز مصدرين في موضوعيْ ٱلمخارج الصّوتيّة والصّفات ؛ فلسيبويه (١٣) مرةً وللسّيرافيّ (٧) مرات من أصل (٢٨) مرةً ، ذكرفيهـــا مصادره ؛ ويأتي بعدهما كلّ من ٱلخليل وٱبن جنّيّ مرتين لكلٍّ منهما ، وبعدهمـا ٱلفرّاء والأخفش وٱلزّمخشريّ بمرة واحدة لكلّ منهم .

٧ــ وجدت ٱلرّضيّ كثيراً ما يهمل ٱلإشارة إلى مصادر مادته الصّوتيّة ، ويتجلّـى ذلك في موضوعيْ ٱلإبدال ، وٱلإدغام بشكل واضح .

٨ــ تعدّد مواطن ٱلجدال، وتعارض ٱلآراء أمكنةً تبرز فيها أسماء مصادر الرّضـــيّ .

٩ــ نخرج من كلّ ماسبق بمحصلة تشير إلى تنوّع مصادر مخافة ٱلرّضيّ ٱلصّوتيّـــة ؛ واذا كان ٱلتّراث ٱلمعرفيّ ٱلتّخصصيّ قد يشكّل أمام بعضهم مشكلة معرفيّـــة ، وفنية خطيرة قد تميل به إلى ٱلجمود وٱلتّحجر، فإنّها في ٱلوقت نفســـــــه قد تشكّل ثراءً علمياً يمكّن ٱلباحث أنْ يبني موضوعه بناءً محكماً يقوم على ٱلتّحقيـق وٱلتّدقيق ؛ وذلك ما أعتقده هنا مع الرّضيّ .

////////////////

المبحث الثالث
منهج الرّضيّ في دراسته الصّوتيّ

المنهج في أبسط تصوّراته، وأشملها : " طريقة يصل بها الإنسانُ إلى الحقيقة " (١)، وأرى أنّ تصوّر المنهج يجب أن يستند إلى أساسين: الأوّل منهما نظريّ يأخذ بعين الاعتبار الأسس الفكريّة المعتمدة في الوصول إلى الحقيقة، وأعتقد أنّ ما وضعه بعض الغربيّين من تعريف المنهج يوضح هذا الأساس حيث قال في تعريفه للمنهج : " مجموعة العمليات الزّمنيّة التي يُحاوِل من خلالها علمٌ من العلوم بلوغَ الحقائق المتوخاة مع إمكانيّة تبيانها والتّأكّد من صحتها " (٢)

أمّا الأساس الثّاني للمنهج، فهو المنهج العمليّ الذي يمثّل المجالَ التّطبيقيّ للأسس الفكريّة الممثّلة للمنهج الأوّل (النّظريّ)، وأعرّف هذا المنهج بأنّه : مجموعة الوسائل الفنيّة الّتي يتّخذها العلم في عرض مادته، وإيصال حقائقه ونتائجه .

ويعتقدُ الباحثونَ بوجودِ علاقةٍ وثيقة بينَ نتائج البحث والمنهج المختار (٣) ؛ ولهذا فالمنهجُ أهمّ أركان نجاح البحث والباحث ، وأحاول هنا أن أقفَ على معالم منهج الرّضيّ بقسميه، ومعتمدي في ذلك المباحث العشرة الّتي سبق ذكرُها .

المنهج النّظريّ (الأُسس الفكريّة) :

١ـ لا يرى الرّضيّ استقلالاً واضحاً لدراسته الصّوتيّة عن دراسته الصّرفيّة ، والدّراسة الصّوتيّة توظّفُ لفهم تحولات البِنية اللّغويّة .

٢ـ الخلطُ بين أنماط الأداء الفنيّ للّغة العربيّة المشتركة، وعلى هذا أتى رصدُه للظّاهر الصّوتيّة . وقد تمثّل هذه الخلط بذكره الشّواهد القرآنيّة ، وشعرية ونثرية ..

وربما أدرك علماء العربيّة هذا الخَلط، وخطورته ، وأنّ لكلّ نمط من هذه الأنماط اعتباراته الّتي لها أثرٌ بالغ في خصائص بنيته الصّوتيّة والمقطعيّة ؛ فقالوا في الشعر بالضّرورة الّتي يتحلّل بها الشّعراء من هيمنة معايير هذا الخلط الّذي يصفهم علماء العربيّة من خلاله بالشّذوذ .

---

(١) منهج البحث الأدبيّ : ١٧ .
(٢) عن : منهج البحث النّحويّ في القرن الثّالث : ٤ .
(٣) ينظر: نفسه : ٤ .

٣ـ الخلط بين أنماط الأداء في العربيّة ، فالدّرس اللغويّ العربيّ عامّةً لم يخلص لنمط أدائيٍّ واحدٍ، فإلى جانب أداء العربيّة المشتركة نجد مظاهر لطرائق أخرى لهجيّة، وتبعته الدّراسات الصّوتيّة بل إنّها ربّما تكون أكثر خلطاً من بقيّة جوانب الدّرس اللّغويّ، فنجد ظاهرة (تخفيف الهمزة)، وهي حجازيّة، ونجد أيضاً (الإمالة)، وهي تميميّة، ويولّد هذا تعسفاً في فهم الظّاهرة الصّوتيّة، وبعداً عن الوقوف على حقيقتها، لأنّنا وجدنا أنّ النّظر إليها يتمّ عبر طريق أدائيّ آخر قد يكون هو الفصحى، أو ما اختارته الفصحى من لهجة معينة، وذلك موقف معياريّ تجاه الظّواهر الصّوتيّة ممّا لا ينسجم مع متطلبات نظر الباحث اللغويّ ويحولُ دونَ فهم الظّاهرة المعيّنة فهماً واقعيّاً .

المنهج العَمَليّ :

١ـ يرى الرّضيّ اقتصار المباحث الصّوتيّة تحت عنوانين داخل علم الصّرف هما : أحوال الأبنية، وماليس بأبنية ولا أحوال أبنية (وقد سبق أنْ وقفت عند هذا في مواضع الدّراسة الصّوتيّة، فتنظر)، وبحسب ما أرى فالرّضيّ اكثر ادراكاً من ابن الحاجب الذي جعل من أحوال الأبنية شاملاً لجميع الدّراسة الصّرفيّة بما فيها جوانبها الصّوتيّة (١) .

٢ـ لقد سايرَ الرّضيّ ابنَ الحاجب في كيفيّة تتابع موضوعات الدّرس، وكيفيّة الدّخول في الموضوع المعيّن في الإطار العام ، إلى حدٍّ بعيد وهذا السّلوك طبيعيّاً، ومنسجماً مع التّيار التّأليفيّ القائم على المتون اللّغويّة ، وخاصةً مع ارتباطه بدواعٍ تعليميّة .

٣ـ يقومُ منهج الرّضيّ في عرض المادة الصّوتيّة على :

آـ مقدمات نظريّة : تشمل الحدود، والتّقسيمات مع إدراج بعض الأمثلة للإيضاح .

ب ـ الأمثلة التّطبيقيّة : وهي موضع رصد المادة التّطبيقيّة الممثّلة للواقع

---

(١) ينظر: ش ش ١/ ٤ ، وأيضاً حاشية الصّفحة .

ٱللُّغويّ ٱلعربيّ . ونجدُ فيها كثيراً من ٱلتّطبيقات الممثّلة لأساليب كلّيّة محليّةٍ هي ٱللّهجات وٱلقراءات ٱلقرآنيّة ٱلّتي هي كيفيّة اداء كلمات القرآن الكريم منسوبة لناقلها (*).

وهنا يبرز مجال ٱلإبداع لهذه ٱلشّخصيّة في طرح ٱلأفكار من خلال ٱلشّرح وٱلتّعليق والتفصيل وكيفيّة ٱلولوج في جوانب ٱلموضوع واستيعاب دقائقه .

وهذا المنهج حصيلة نظرة تمّ فيها جمعُ مناهج جميع ٱلمباحث الصّوتيّة ٱلعشرة في شرح ٱلشّافية فقط ، ويتسنّى لي من هذا أنْ أعدّ هذه ٱلحصيلة منهجاً لدرسه ٱلصّوتيّ .

٤ـ يعمد ٱلرّضيّ في بعض مباحثه إلى أنْ يأتيَ بمقدمةٍ طويلةٍ يكادُ يستغرقُ فيها جوانب ٱلموضوع في إطار عامٍ مع ذكر ٱلأمثلة ٱلمناسبة نجد هذا ٱلسّلوك في مبحثي ٱلابتداء وٱلتقاء السّاكنين ، كما نجد سلوكاً معاكساً لذلكَ يميلُ فيه إلى ٱلاقتصار على بعض الأسطر أوْ يدخلُ بشكل مباشر إلى كلام ٱبن ٱلحاجب ٱلّذي جعلَه أساساً لفقراتِ موضوعه ، وفي بعض المواضع يهملُ وضع الحدود تماشياً مع ٱلصّنّف ، وهذا في : ٱلوقف وٱلإمالة وتخفيف ٱلهمزة .

٥ـ نتبيّن من عرض الآراء (داخل ٱلمادة ٱلصّوتيّة) منهجاً يقومُ على التّحقيق وٱلتّدقيق وٱلمناقشة إذ يذكر الآراء المؤيّدة والمعارضة فيختار منها ما يراهُ مناسباً أو يرفضها جميعاً ويتبنّى رأياً جديداً ؛ فمن ذلك ما يذكره في مخارج ٱلحروف فبعدَ أنْ يذكر وجهة ٱلخليل في ٱلمخارج الصّوتيّة وتوزيع ٱلأصوات عليها ثمّ يذكر مخالفة الفراء لسيبويه في بعض المخارج يخلص إلى رأي يتبنّى مقولة سيبويه فيقول : "وَأَحْسَنُ ٱلْأَقْوَالِ مَا ذَكَرَهُ سِيبَوَيْهِ ، وَعَلَيْهِ ٱلْعُلَمَاءُ بَعْدَهُ" (١) .

وفي القلب (٢) بعدَ أن يذكرَ رأي ٱلخليل ٱلّذي يذهبُ إلى أنّ ٱلقلب قياسيّ فيما أدّى تركه إلى ٱجتماع همزتين يذكر معارضة رأي سيبويه

---

(١) ش ش ٣/ ٢٥٤ .

(٢) ش ش ١/ ٢٤ ـ ٢٥ (وهو القلبُ ٱلمكانيّ) .

(*) ينظر: مجد المقرئين : ٦١ .

له ثُمَّ يذكر رأيه قائلاً : "وَلَيْسَ مَاذَهَبَ إِلَيْهِ ٱلْخَلِيلُ بِمَتِينٍ "(١) ، ويذكر حجته في هذا ، ثُمَّ لا يلبث أنْ يبرِّر دعوى الخليل حتّى أنّه ليذكر عن سيبويه رأياً يتفق فيه ٱلْخليل معهما فيما خالفاه من عدم قياسيّة ٱلقلب .

وفي ٱلْوقف بعد ما يذكرُ ٱلرّأيَ في قوّة كيفيّات ٱلْوقف بِالرّوم ، وٱلْإشمام ، وٱلتّضعيف ، وإنّ ٱلتّضعيف هو ٱلْأقوى (وعلى ما يبدو فَإنّ ذلك رأي سيبويه)(*) ، يعقّب عليه بذكر رأيه ٱلْمخالف .(٢) (٣)

وبعدُ ، فَإنّ هذا ٱلْمنهج ينسجمُ مع منهج ٱلْمحقّقين ممن عاش بينهم من علماء هذه ٱلنّجف ٱلْأشرف ٱلّتي يعدّ الرّضيّ "ألمع نحاتها ظهوراً ، وأوسعهم شهرة ، وأبعدهم صيتاً "(٤) .

٦ـ من ضروريات نجاح ٱلْمنهج وسائلُ إيصاله ٱلّتي تتمثّل في ٱللّغة ٱلْمستعملة ٱلْوسائل التطبيقيّة في عرض ٱلْمادة ؛ وقد تميّزتْ لغة الرّضيّ بوضوحها ، وقوّتها مع دقّة عالية في ٱلْإتقان حاكها بما أوتي من ملكةٍ أصقلها ٱلْبحثُ ٱلْمنطقيُّ ، والعلمُ بمداخل الكلام ، ومخارجه أهّلَه لِأَنْ ينتقدَ بعضَ عبارات ٱبن ٱلْحاجب صاحب ٱلْعبارة ٱلْموجزة ٱلدّقيقة في ٱلشّافية وٱلْكافية ، فيصفها بِالْإلباس أو ٱلرّكاكة أو زيادتها عن حدِّها .(٥)

ومن ٱلطّبيعيّ بعد ما سبق أنْ نَجِد أسلوب ٱلْمنطقيّين متمثّلاً في جملة أساليب عرضه بوضع ٱلْإشكالات ، وٱلْإجابة عنها ، وذلك فيما عُرِف بالمنقلة(٦) أيْ : فَإنْ قُلْتَ ... قُلْتُ وهو أسلوبُ ٱلْمجادلة وٱلْمُحاجّة .(٧)

كذلك لا نعدمُ عندَ الرّضيّ أنْ يَشْرحَ معنى بعض ٱلْكلمات .

أمّا شواهده ، فكانت معبّرة عن اختلاط أنماط ٱللّغة ٱلْفنيّة ، فنجدُ ٱلشّواهد ٱلْقرآنيّة ، والشّعريّة ، وٱلْمقولات النّثريّة ، وشواهد أخرى لهجيّة ، وشواهد ٱلْقراءات القرآنيّة .

---

(١) ش ش ١/ ٢٥ .
(٢) ينظر ش ش ٢/ ٣١٥ـ ٣١٦
(٣) للمزيد ينظر ش ش ٣/ ٢٥٣ و ٣/ ٢٩ .
(٤) مراكز الدراسات النحوية : ٦٨ .
(٥) ينظر ش ش ٣/ ٢٣٥
(٦) ينظر ش ش ١/ ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٥/ ٩٧ ـ ٩٨ ، ١٠١ .
(٧) ينظر ش ش ٣/ ٢١٧ .
(*) ينظر الكتاب ٤/ ١٦٨ .

المبحث الرّابـــع
المصطلحات الصّوتيّة الّتي أستعملها رضي الدّين

تمهيـــد :

يقول أحد الباحثين : " مفاتيح ٱلْعلوم مصطلحاتُها ، ومصطلحات ٱلْعلـوم ثمارُها ٱلْقصوى ، فهي مجمع حقائقها ٱلْمعرفيّة، وعنوان مابه يميّز كلّ واحد منهـــا عمّا سواه ، وليس من مسلك يتوسل به ٱلْإنسان إلى منطق ٱلْعلم غير ألفاظـــــه ٱلْاصطلاحيّة حتّى كأنّها تقومُ من كلّ علم مقام جهاز من ٱلدّوال ليست مدلولاتـــــه إلا محاور العلم ذاته، وضامين قَدْرِهِ من يقين ٱلْمعارف، وحقيق ٱلْأقوال " (١)

وهو ما أسعى إليه في هذا المبحث ، فجَهِدْتُ في تتبُّع ٱلنّصوص وٱستعمالاتهـــا، استخرج منها أصطلاحاتها ، مع ٱلْحرص على ذكر تلك ٱلنّصوص وٱلْاستعمالات ، و أرى أنّ من سلامة ٱلْوقوف على ٱلدّلالة ٱلْاصطلاحيّة لمستعملها أنْ يَتِمَّ فهمها من خـــلال خمسةِ أشياءَ مجتمعةً عند توفّرها كلّها، وإلّا ماتوفّر منها ، وتلك هي :

١ــ ٱلْإصطلاحُ ٱلْمباشرُ الّذي يذكره الرّضيّ عند وضعه ٱلْحدود، وشرح ٱلْألفـــــاظ

٢ــ دلالةُ ٱلْمصطلح من خلال أستعمالاتِ الرّضيّ .

٣ــ ٱلْوقوفُ على ٱلْمعيارِ ٱلْأساسيّ ٱلّذي يتم في اطاره وضع المصطلح أو تحديد دلالته

٤ــ تطبيقاتُ الرّضيّ، وٱلْأمثلة الّتي يسوقها مرتبطةً بالاصطلاح .

٥ــ ٱلْمادة ٱللّغويّة الأخرى (غير الصّوتيّة) الّتي أحتواها مؤلفاه .

واعتقد أنّ هذه ٱلْأشياء توفّر علينا فرصة ٱلدّخول في مجال ٱلتّعسف وٱلتّكلّف فـــي مفاهيم ٱلْاصطلاحات ، وبٱختصار أقولُ : إنّنا يجبُ أنْ ندرسَ ٱستعمالات ٱللّغوية من خلال مادته الّتي يعرضها بين أيدينا، وأنْ لانحاولَ جلب تصوّرات خارجيّـــة لمفاهيمه، على الرّغم من أنّني أعتقد أنّه لابدّ من تقرير حقيقتين بخصوص ٱلْمصطلح هما : (٢) .

١ــ أنّ ٱلْمصطلحات هي تدلّنا على أنّ ٱلْموضوع ٱلْمعين ليس ثمرة جهد واحـــدٍ من ٱللّغويين، إنّما هو نتاج سلسلة من ٱلْحلقات وٱلْجهود الّتي أثمرتْ ذلـــك

---

(١) ٱللّسانيّات وعلم ٱلْمصطلح العربيّ : ١٧ .

(٢) المصطلح ٱللّغوي عند ٱبن جني : ٢ .

ٱلْموضوع ٱلّذي وصلَ إليه استكمالاً ... وإنْ كان ٱلْأمر لا يتقاطعُ معَ تأكيد ٱلـدّور ٱلرّائد ٱلّذي قام به أصحاب هذه ٱلْآثار ٱلْجليلة في تثبيتِ ركائز ٱلْعلـم ٱلْمعيَّن، وتحديد أُسسه، وٱتجاهاته ٱلْموضوعيّة وٱلْمنهجيّة .

ثانيا : إنّنا لا يمكن أنْ نتخطى كتب ٱللّغة الأُصول ونحنُ بصدد ٱستقراء ٱلْمصطلحات ٱللّغويّة ٱلْعربيّة عبر ٱلزّمان ، ورصد تطورها وتبلور مفاهيمها ٱلْفنيّة " .

ولكنني هنا لا أسعى إلى ٱلْٱستقراء عبر الزّمان ، بل إنّ ٱلْٱستقراءَ يشمـل مصطلحات هذا ٱلرّجل ، مع محاولة ٱلْوقوف على ٱلْٱستعمالاتِ الأُولـى للمصطلح سواءٌ أكان ٱلْٱستعمالُ على وفق ٱلْكلام عند الرّضيّ أمْ لا ، لِأنّـني أعتقد أنّ ذلك لا يمنعُ من ٱلْٱستفادة ٱلْٱصطلاحيّة اللفظيّة، وتوظيفها لدلالـة جديدة، أو نحوٍ مِنْ هذا .

ولأجل هذا قمتُ أذكر دائماً في نهاية ٱلْمصطلح رقماً يشيرُ إلى حاشيةٍ أُثْبِتُ فيها ما وقفتُ عليه من ٱستعمالاتِ المصطلح السّابقة لِلرّضيّ أو اللاحقـة عند عدم وجود ٱلْٱستعمال السّابق، أو للايضاح، وٱلْإشارة إلى أثر الرّضيّ فيمن بعده، وسمّيتُ هذه ٱلْحاشية " حاشية ٱلْمصطلح " .

وكانَ ٱلتّوجّه إلى ٱلْوقوف على ٱلْٱصطلاح عند الخليل وسيبويه وغيرهما مـن ٱلْمتقدمين، ثُمّ أتبعهم بذكر متفاوت لبعضٍ ممّن أتى بعدهم ، وقد أعانتني في بعض هذا ٱلرّجوع بعض ٱلدّراسات ٱلّتي ٱهتمت لرصد ٱلْمصطلحات ٱلصّوتيّة أو جزءٍ منها، وهي : ٱلْعمل ٱلْمهم ٱلّذي قامَ به ٱلدّكتور غانم قدوري في كتابه (ٱلدّراسات ٱلصّوتيّة عند علماء ٱلتّجويد)، ورسالة ٱلْماجستير (ٱلْمصطلح ٱلصّوتيّ في ٱلدّراسات ٱلْعربيّة) لعبد ٱلْعزيز سعيد الصّيغ .

كما إنّي عملت على ٱلْإفادة من مجموعة ٱلْمصطلحاتِ ٱلصّوتيّة وٱلصّرفيّة ٱلّتي بيّنها الدكتور هادي نهر في بحثه ٱلْموسوم : بـ (ٱلْمصطلح ٱللّغوي عند ٱبن جنيّ من خلال ٱلْخصائص) ممّا أطلقها ٱبن جني أوّل مرة، وتتبّعت في ذلـك كلّه مواقع ورود المصطلح في كتب ٱلْمتقدّمين مع ٱلْٱستعانة بالفهارس ٱلّتي وضعها محققو تلك ٱلْكتب إنْ وُجِدَتْ ، وٱلرّجوع إلى مواضع الدّراسة ٱلّتي ٱرتبطَ بهـا ٱلْمصطلح ، وما لَم أقف على ٱستعماله عند ٱلْمتقدمين، فإنّي أشيرُ بأنّي لـم أقفْ على من ٱستعمله في نهاية ٱلْمصطلح، فقد يكون من إبداع الرّضـيّ، أو قد فاتَني ٱلْوقوفُ على مصدره .

ورأيتُ لدى وافعَ منهجيّةٍ أنْ أقسّمَ المصطلحاتِ على حقولٍ تنسجمُ مع اتجاهات بحثي ومواضيعه، وهي :

١ـ مصطلحاتٌ مخرجيّةٌ،
٢ـ مصطلحاتُ الصّفاتِ الصّوتيّة ،
٣ـ مصطلحاتُ التّجاورِ والتّركيبِ ،
٤ـ المصطلحاتُ الصّوتيّةُ العامةُ .

وللدّافعِ السّابق قسّمتُ الصّفاتِ الصّوتيّةَ على قسمَيْن : الأوّل منها للصّفات الفضيلة ، والآخرُ لبقيّة الصّفات ، ويوزّع كلٌّ منها على صفاتٍ مجموعاتٍ وصفاتٍ مفردةٍ .

وقد أهملتُ الإشارةَ إلى مصطلحاتِ المخارج الصّوتيّة ومصطلحاتِ أعضاءِ النّطق لتداخلها الشّديد مع كلام ابنِ الحاجب فقد جاء أغلبها في معرض الشّرح والتّعليق ولم يفرّق في استعمالِه بين العضو والمخرج .

مصطلحاتٌ مخرجيّةٌ

آلةُ الحُروفِ : قال الرّضيّ عند كلامه على مراتبِ التّمايز الصّوتيّ : "فَلَوْلَا اخْتِلَافُ أَوْضَاعِ آلَةِ الْحُرُوفِ ـ وَأَعْنِي بِآلَتِهَا مَوَاضِعَ تَكَوُّنِهَا فِي اللِّسَانِ وَالْحَلْقِ وَالسِّنِّ وَالنَّطْعِ وَالشَّفَةِ ، وَهِيَ الْمُسَمَّاةُ بِالْمَخَارِجِ ـ لَمْ تَخْتَلِفِ الْحُرُوفُ "(١) ، والآلةُ عنده هي التي يحصلُ بها الشّيء(٢) ، فآلةُ الحروفِ (كما هو واضحٌ) هي المخارج الّتي هي المرتبة الأولى من مراتب ذلك التّمايز . ويلاحَظُ هنا الإزدواجُ الشّديدُ بين النّاحية العضويّة في إنتاج الأصوات ونظام المخارج الصّوتيّة ، ويبدو هذا المصطلح أقربَ إلى النّاحيةِ المخرجيّة من النّاحية العضويّة(٣) .

آلةُ الصّوتِ : قالَ الرّضيّ : "فَالنّونُ وحروفُ الحلق متساويانِ في الاحتياج

---

(١) ش ش ٣/ ٢٥٠ ـ ٢٥١ .
(٢) ينظر ش ش ١/ ١٨٦ .
(٣) يبدو أنّ أوّل من استعملَ هذا النّمط من هذه المصطلحات هو الجاحظ (٢٥٥هـ) فعنده : "الصّوتُ آلةُ اللّفظِ" (البيان ١/ ٧٩) ووجدت ===

إلى فضل اعتماد، وإعمال لآلة الصوت (١)، ويبدو هذا المصطلح اكثر مساساً بالجانب العضوي لإنتاج الأصوات، فيمكن أن يكون مرادفاً لما اصطلح عليه عند المحدثين بالجهاز الصوتي، أو الأعضاء الصوتية، وغيرها من الاصطلاحات (٢).

آلة الضمة: وهي الشفة، قال الرضي في الإشمام: "لم يجوزه أحد من النحاة إلا في المرفوع والمضموم، لأن آلة الضمة الشفة..." (٣)، ويبدو أنه يقصد بها المخرج لا العضو (٤).

الأدخل: يقتصر استعمال هذا المصطلح مع مصطلحي الأعلى، والأنزل على المخارج الحلقية، وذلك للشكل العمودي الذي يتخذه الحلق، فالصوت الأدخل هو الأعمق مخرجاً نسبة إلى مخرج صوت حلقي آخر؛ قال الرضي: "ولا يدغم حلقي في حلقي أدخل منه" (٥) (٦).

الأعلى: وهو مقابل الأدخل والأنزل، قال الرضي عن الحاء مع العين والهاء: "أما كونه أخفى، فلأنه أعلى منهما في الحلق" (٧)، وقال أيضاً: "فإن اتفق أدغم الأنزل في الأعلى نحو: إجبه حاتماً" (٨). ولم أقف على من سبقه

= = = الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) يستعمل نحوه، فعنده "الحركة آلة الإعراب" (المقتصد: ١/ ٩٩) وعند أهل التجويد (القرطبي ت ٦٦٢هـ) "آلة النطق" في الموضح: ١٤٠ و ١٧٢، وابن البناء (ت ٤٧١ هـ)، ينظر هنا: الدراسات الصوتية: ٩٤ ـ ٩٥، وبخصوص هذه المصطلحات فالرضي يعدّ مبدعاً.

(١) ش ش ٣/ ٢٧٢.
(٢) ينظر: حاشية مصطلح آلة الحروف.
(٣) ش ش ٢/ ٢٧٦.
(٤) ينظر: حاشية مصطلح آلة الحروف.
(٥) ش ش ٣/ ٢٦٤، وينظر: ٣/ ٢٦٥.
(٦) من مصطلحات الخليل عن التهذيب: ١/ ٤١، شرح المفصل: ١٠/ ١٣٦.
(٧) ش ش ٣/ ٢٦٦.
(٨) ش ش ٣/ ٢٧٦، وينظر ٣/ ٢٦٤.

إليه (١) .

الاعتماد : ربما يكون أفضل موضع لتحديد المفهوم الدقيق لهذا المصطلح هو عند أحوال النون ؛ إذ يبدو أنه يعني به الجهد المبذول عند النطق بما فيه الضغط والارتكاز بين الأعضاء الصوتية وذلك لأنه يقسم الحروف على قسمين : "أحدهما يحتاج إلى اعتماد قوي، وهي حروف الحلق ، والآخر لا يحتاج إلى ذلك، وهي حروف الفم والشفة ؛ فالنون وحروف الحلق متساويان في الاحتياج إلى فضل اعتماد، وإعمال لآلة الصوت " (٢) ، ويبدو أن العطف الأخير بين فضل الاعتماد، والأعمال لآلة الصوت أكثر توضيحاً لمفهومه بهذا المصطلح . وهنا تتوارد مصطلحات من نحو : قوة الاعتماد (وهو شدة هذا الضغط) وأقل اعتماد (أي : أقل ضغطاً وجهداً (٣)) وإشباع الاعتماد (يعني به طول المدة الزمنية للجهد، وذلك لا يترتب بوجود قوة في الاعتماد) (٤)، وعكسه ضعف الاعتماد (٥)

الأنزل : يرادف مصطلح الأدخل ؛ قال الرضي في الحروف الحلقية : " لأن أنزلها في الحلق أعلاها ... " (٦) وقال أيضاً : " وكان حق الحاء أن تكون أقل في باب التضعيف من الغين والخاء ؛ لأنه أنزل منهما في الحلق " (٧) ولم أقف على من سبقه إليه .

أوضاع آلة الحروف : يعني به المراتب المختلفة للتمايز الصوتي بما تتخذه آلة النطق أو المخارج من هيئات متعددة ، قال الرضي : " ويمكن أن يكون اختلافهما (يعني : الأصوات) قد يحصل مع اتحاد المخرج بسبب اختلاف وضع الآلة من شدة الاعتماد، وسهولته، وغير ذلك " (٨) ، وقال أيضاً : " فلولا اختلاف أوضاع

---

(١) في الكتاب: ٤/ ٤٤٩، وشرح المفصل: ١٠/ ١٣٦ (الأقرب إلى الفم).

(٢) ش ش ٣/ ٢٧٢ .

(٣) على ما يستفاد من مصطلح الاشباع وتعريفه للجهر والهمس (ينظر ش ش ٣/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٤) من مصطلحات سيبويه ، ينظر الكتاب: ٤/ ٤٣٤، وينظر: إعجاز القرآن: ٤٤ ، المقرب: ٧ ٣٥ .

(٥) ش ش ٣/ ٢٦٥ .

(٦) ش ش ٣/ ٢٧٥ .

(٧) ش ش ٣/ ٢٥١ .

آلةِ ٱلْحُرُوفِ ... لَمْ تَخْتَلِفِ ٱلْحُرُوفُ (*) ، ويبدو أنّه أوّل من استعمله .

ٱلْحَيِّـــزُ : يصطلحُ به ٱلرّضيّ على مجموعة ٱلمخارج ٱلمتقاربة ، إذْ قالَ : " ... ٱلْأَلِفُ مِنْ حُرُوفِ ٱلْحَلْقِ أَيْضًا ، فَيَكُونُ قَبْلَهَا (يعني : حروف ٱلحلق) جُزْءٌ مِـــنْ حَيِّزِهَا " (١) يقصدُ بذلك ٱلفتحة ، وفي مصطلح ٱلمرتفعة قوله : " ... لِأَنَّ مَوْضِعَيْ ٱلْوَاوِ وَٱلْيَاءِ بِمَنْزِلَةِ حَيِّزٍ وَاحِدٍ ، لِتَقَارُبِ مَا بَيْنَهُمَا ، وَٱجْتِمَاعِهِمَا فِي ٱلْأَرْتِفَاعِ عَنِ ٱلْحَلْقِ ، فَكَأَنَّ ٱلْحُرُوفَ ٱلْمُرْتَفِعَةَ مِنْ حَيِّزٍ وَاحِدٍ " (٢) ، فَٱلحيّز هو ٱلمصطلح ٱلجامع لمخارجَ متعدّدة يمكن أنْ يجمع بينهما جامع مكانيّ (٣) .

ٱلْمَخْـــرَجُ : يستعمله ٱلرّضيّ لِلدّلالة على نقطة ٱلتقاء عضويْ ٱلنّطق ، إذْ قـــال (واصفاً إنتاج صوت ٱللام) : " ... خَرَجَ ٱلصَّوْتُ عِنْدَ ٱلنُّطْقِ بِهِ مِنْ مُسْتَدَقِّ ٱللِّسَانِ فُوَيْقَ مَخْرَجِهِ " (٤) ، وبحسب كلامه ليس ٱلمخرج بٱلضّرورة هو سر هواء ٱلتّصويـــت .

وقال أيضاً : " إِنَّ لِلنُّونِ مَخْرَجَيْنِ : أَحَدُهُمَا فِي ٱلْفَمِ وَٱلْآخَرُ فِـــي ٱلْخَيْشُومِ " (٥) ، ومعلوم عنده إنّ وضع اللسان متّصل بلفويق ٱلثّنايا (ٱللِّثّة) ٱتّصالاً مباشراً ، فَالمخرج إذن هو نقطة ٱلٱتصال ، وبدا لي في قوله : " فِي ٱلْخَيْشُـــومِ " ٱلسّابق مشيراً إلى هذه ٱلنّقطة مع دليل أنّه لم يقلْ : ... والاخر الخيشوم . (٦)

ٱلدَّرَجَـــةُ : جمعها (ٱلمدارج) ، قالَ ٱلرّضيّ (عن ٱلخليل) : " ٱلْأَلِفُ ٱللَّيِّنَةُ ، وَٱلْوَاوُ وَٱلْيَاءُ ، وَٱلْهَمْزَةُ هَوَائِيَّةٌ ، أَيْ أَنَّهَا مِنْ هَوَاءِ ٱلْفَمِ لَا تَقَعُ عَلَى مَدْرَجَةٍ مِـــنْ مَدَارِجِ ٱلْحَلْقِ ، وَلَا مَدَارِجِ ٱللِّسَانِ " (٧) ، يبدو أنّه يشير إلى مناطق ٱلٱحتكـــاك بين ٱلأعضاء ٱلنّطقيّة (٨) .

---

(١) ش ش ١/ ١١٩ .
(*) ش ش ٣/ ٢٥١ .
(٢) ش ش ١/ ١٢٢ .
(٣) في العين: ١/ ٥٧ ، وبحسب (ٱلتّفكير ٱلصّوتيّ عند الخليل) : ٣٦ : " ٱلْفَـــرَاغُ ٱلَّذِي يَشْغَلُهُ عَدَدٌ مِنَ ٱلْأَصْوَاتِ فِي ٱلْحَلْقِ أَوِ ٱلْفَمِ " ، والكتاب: ٤/ ٤٦٤ و ٤٦٥
(٤) ش ش ٣/ ٢٦١ .
(٥) ش ش ٣/ ٢٧١ .
(٦) في العين: ١/ ٥٢ ، الكتاب: ٤/ ٤٣١ ، سر الصناعة: ١/ ٥٢ ، الهمع: ٢/ ٢٢٨ .
(٧) ش ش ٣/ ٢٥١ .
(٨) في العين: ١/ ٥٧ ، التّهذيب: ١/ ٤٤ ، قال في (ٱلتّفكير ٱلصّوتيّ عند الخليل) : ٣٦ : " مدرجة الصـــوت : " ٱلْمَوْضِعُ ٱلَّذِي يَبْدَأُ مِنْهُ ٱلصَّوْتُ مِنْ لَدُنِ ٱلْأَعْرَاضِ ، ٱلْمَخْرَجُ " .

ٱلْمُرْتَفِعَة : مصطلح ٱلْحروف ٱلَّتي ٱرتفعتْ عن ٱلْحلق يقابلُ المستفلة؛ قال ٱلرّضيّ : " ... لأنّ مَوْضِعَيْ ٱلْواوِ وَٱلْياءِ بِمَنْزِلَةِ حَيِّزٍ وَاحِدٍ ؛ لِتَقَارُبِ مَابَيْنَهُمَا، وَٱجْتِمَاعِهِمَا فِي ٱلٱرْتِفَاعِ عَنِ ٱلْحَلْقِ ، فَكَأَنَّ ٱلْحُرُوفَ ٱلْمُرْتَفِعَةَ مِنْ حَيِّزٍ وَاحِدٍ ، بِخِلَافِ ٱلْمُسْتَفِلَةِ - أَيْ ٱلْحَلْقِيَّةِ - " (١) ، يعني به مخارج حروف ٱلفم والشّفة (*)

ٱلْمُسْتَفِلَة : مصطلح ٱلْحروف ٱلّتي سَفَلَتْ مكاناً في آلة الصّوت ، يقابل ٱلْمرتفعة وهي - ٱلْحلقيّة ، والنص أعلاه في ٱلْمرتفعة : " ... فَكَأَنَّ ٱلْحُروف ٱلْمرتفعة من حيِّزٍ وَاحِدٍ ، بِخِلَافِ ٱلْمُسْتَفِلَةِ - أَيْ ٱلْحَلْقِيَّةِ " (١) ، ولم أقف على سابق له في استعمال هذا المصطلح .

ٱلْمَوْضِعُ، جمعها (ٱلْمواضع) : يرادف به ٱلرّضيّ مصطلحَ ٱلْمخرج على ما يبدو لي من كلامه في ٱلْأصوات مابين ٱلشّديدة وَٱلرَّخوة ، إذ قال : " يَنْحَصِرُ الصَّوتُ فِي مَوَاضِعِهَا ؛ لَكِنْ تَعْرِضُ لَهَا أَعْرَاضٌ تُوجِبُ خُرُوجَ ٱلصَّوْتِ مِنْ غَيْرِ مَوَاضِعِهَا " (٢) ، ومن هذه ٱلْحروف ٱللام والنّون (ينظر مصطلح ٱلْمخرج) (٣) .

مصطلحاتُ ٱلصّفات ٱلصّوتيّة :

١ـ ٱلصّفاتُ ٱلصّوتيّةُ أَوِ ٱلْفَضيلة :

فَضِيلَةُ ٱلْحَرْفِ : هي أَنْ يَتَّصِفَ أحدُ ٱلْأصوات أو مجموعةٌ من ٱلْأصوات بإحدى ٱلصّفات تمنعُهُ من أَنْ يُدغمَ في صوتٍ آخرَ لا يمتلكُ تِلْكَ الصّفة إبقاءً عليها (٤) وقد مُثِّلَت في حروف (ضَوِيَ مِشْفَرٌ) ماعدا صفة الصّفير وٱلْإطباق، وهذا يؤكد نضجَ فكرة تميّز هذه ٱلصّفات (ٱلْفضيلة) عند الرّضيّ ٱلّتي وُجِدَتْ بُذورُها وتَصوّراتُها عند ٱلسّابقين، فوضعوا لها ما سبقَ من جمع حروفها، فجاء الرّضيّ وأدخل فيها

---

(١) ش ش ١/ ١٢٢ .
(٢) ش ش ٣/ ٢٦٠ .
(٣) في العين : ١/ ٥٨ ، الكتاب: ٤/ ٤٣٤ ، الرعاية : ١١٠ .
(٤) ش ش ٣/ ٢٧٠ .
(*) في الكتاب : ٤/ ١٠١ : " والحروف المرتفعة حيز واحد " .

ٱلصَّفْتَيْنِ ، وٱصطلح عليها بهذا ٱلْإِصْطلاح ٱلَّذي لم يقعْ نظري على استخدام سابق له ، قال ٱلرَّضيّ في إدغام حروف ٱلْإطباق : " فالافصح إبْقَاءُ ٱلْإِطْبَاقِ لِئَلَّا تَذْهَبَ فَضِيلَةُ ٱلْحَرْفِ " (١)

آ ـ صفات ٱلْمَجْمُوعَاتِ :

ٱلْإِسْتِطَالَةُ : فضيلة ٱلضّاد وٱلشّين ، قالَ الرّضيّ : " وَفَضِيلَةُ ٱلضَّادِ ٱلْإِسْتِطَالَةُ " (٢) ، وقال فيها : " ٱسْتَطَالَتَا حَتَّى قربتا من حروف طرف ٱللِّسَانِ " (٣) ، وهي تعبّر عن هيئتهما ٱلمخرجيّة ، فٱلضّاد " لِأَنَّهُ مِنْ أَقْصَى ٱلْحَافَّةِ إِلَى أَدْنَى ٱلْحَافَّةِ : أي أوّلِ مَخْرَجِ ٱللَّامِ ، فَٱسْتَغْرَقَ أَكْثَرَ ٱلْحَافَّةِ (يعني : حافة اللسان) " (٤) ، ولهذا يُقال لِلضّاد : طويلٌ ، (٤) وقال الرّضيّ : " ... وَكَذَا ٱلشِّينُ حَتَّى ٱتَّصَلَتْ بِمَخْرَجِ ٱلطَّاءِ " (٥) والرّضيّ يُهمِل ٱلْإشارة إلى كون هذه ٱلصّفة فضيلة لِلشّين مستعيضاً عنها بفضيلة ٱلتّفشي وَٱلرّخاوة (٦) .

ٱلْإِطْبَاقُ : قالَ الرّضيّ : " وَفِي ٱلطَّاءِ وَٱلظَّاءِ وَٱلصَّادِ وَٱلضَّادِ وَٱلسِّينِ وَٱلزّاي لَا يَجُوزُ قَلْبُ ٱلْأَوَّلِ إِلَى ٱلثَّانِي ، لِئَلَّا تَذْهَبَ فَضِيلَةُ ٱلْإِطْبَاقِ وَٱلصَّفِيرِ (٧) ، وفي آليتها قال : " لِأَنَّكَ تَرْفَعُ ٱللِّسَانَ إِلَيْهِ (يعني : ٱلحنك) ؛ فَيَصِيرُ ٱلْحَنَكُ كَٱلطَّبَقِ عَلَى ٱللِّسَانِ " (٨) ، وقد أعتقد ٱبنُ ٱلحاجب أنّها

---

(١) ش ش ٣/٢٨١ (٢) ش ش ٣/٢٧٠ .

(٣) ش ش ٣/٢٨٢ .

(٤) ش ش ٣/٢٥٣ .

(٥) ش ش ٣/٢٧٩ .

(٦) في الكتاب : ٤/٤٧٠ ، ٤٦٦ ، ٤٣٢ ، ٤٥٧ ، المقتضب : ١/٢١١ ، الرّعاية : ١٣٤ ، (يقتصر بها على ٱلضّاد)

(٧) ش ش ٣/٢٨٦ .

(٨) ش ش ٣/٢٦٢ .

من جملة مخرج هذه الأصوات، إذ قال : " الْمُطْبَقَةُ مَا يَنْطَبِقُ عَلَى مَخْرَجِهِ الْحَنَكُ "(١) فردّ عليه الرّضيّ بعدم اطراد ذلك ؛ " لِأَنَّ مَخْرَجَ الضَّادِ حَافَّةُ اللِّسَانِ، وَحَافَّةُ اللِّسَانِ تَنْطَبِقُ عَلَى الْأَضْرَاسِ ... وَبَاقِي اللِّسَانِ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ الْحَنَكُ "(٢)، فهو عند الرّضيّ تهيئة أخرى زيادة على التّهيئة تلحق هذه الأصوات .(٣)

الصَّفِيرُ : وهي فضيلةُ أصوات (س / ص / ز)، ويبدو أنّ وضوح هذه الصّفة كان وراء إهمال الرّضيّ لها في كلامه على الصّفات . قال الرّضيّ في هذه الأصوات : " لَمْ تُدْغَمْ حُرُوفُ الصَّفِيرِ فِيمَا لَيْسَ فِيهِ صَفِيرٌ إِلَّا فِي بَابِ افْتَعَلَ كَاسَّمَّعَ وَازَّانَ "(٤)، مع أنّ قياس الإدغام عكس هذا ؛ وذلك لئلّا تذهب فضيلة الصّفير .(٥) (٦)

الْغُنَّةُ : فضيلة (م / ن)، قال الرّضيّ : " وَفَضِيلَةُ الْمِيمِ الْغُنَّةُ "(٧)، وفي جواز إدغام النّون في اللام والرّاء : " فَاغْتُفِرَ ذَهَابُ الْغُنَّةِ مَعَ كَوْنِهَا فَضِيلَةً لِلنُّونِ ؛ لِلْقُرْبِ فِي الْمَخْرَجِ وَالصِّفَةِ "(٨)، وسبب الغنّة " أَنَّ الصَّوْتَ لَا يَخْرُجُ مِنْ مَوْضِعَيْهِمَا مِنَ الْفَمِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ لَهُمَا مَخْرَجَانِ فِي الْفَمِ، وَفِي الْخَيْشُومِ جَرَى بِهِ الصَّوْتُ مِنْ

---

(١) ش ش ٣/ ٢٥٨، وقد ورد كلام ابن الحاجب خطأ في (ش ش ٣/ ٢٦٢) إذ جاء على الشّكل الآتي : " الْمُطْبَقَةُ مَا يَنْطَبِقُ مَعَهُ الْحَنَكُ عَلَى اللِّسَانِ "، وينظر (الشّافية: ٢٥٢)

(٢) ش ش ٣/ ٢٥٨ .

(٣) استعمله الخليل للميم، العين: ١/ ٥٨، والتّهذيب: ١/ ٤٩، والكتاب ٤/ ٤٣٦ (لهذه الاصوات)، والمقتضب: ١/ ١٩٤، وكتاب الحروف: ١٣٤، ١٤٠، واعجاز القرآن : ٤٥ .

(٤) ش ش ٣/ ٢٧٠ . (٥) ش ش ٣/ ٢٨٦ .

(٦) في الكتاب: ٤/ ٤٦٤، المقتضب: ١/ ١٩٣، ٢٢٥، الرعاية : ١٢٤، كشف الشكل: ٢/ ٢٨٣، يقول د . غانم قدوري : " ولم يذكر سيبويه هذه الصّفة " الدّراسات الصّوتيّة : ٣١٤ (يبدو أنّه لم يقف عليها) .

(٧) ش ش ٣/ ٢٧٠ .

(٨) ش ش ٣/ ٢٧٣ .

مِنَ ٱلْأَنْفِ دُونَ ٱلْفَمِ ، لِأَنَّكَ لَوْ أَمْسَكْتَ أَنْفَكَ لَمْ يَجْرِ ٱلصَّوْتُ بِهِمَا "(١) ، وقد يقتصر نطقُ ٱلنّون على ٱلْخيشوم فقطْ ، فتسمّى عندئذٍ : ٱلنّون ٱلْخفيّة (٢) (٣) .

ٱلْلِينُ : قال الرّضيّ : "وَفَضِيلَةُ ٱلْوَاوِ وَٱلْيَاءِ ٱللِّينُ "(٤) ، وَجاز إدغامهما مجتمعتين " لِأَنَّ فَضِيلَةَ ٱللِّينِ ٱلَّتِي فِي أَحَدِهِما لَاتَذْهَبُ بِإِدْغَامِهِ فِي ٱلْآخَرِ ، إِذِ ٱلْمُدْغَمُ فِيهِ مُتَّصِفٌ بِٱللِّينِ "(٥) ، وهذه ٱلصّفة تنتج بمرور ٱلْهواءِ عند نطقها حرًّا مع بعض ٱلْإعاقة ٱلَّتي تميّزُ الواو والياء عند قلّة المدّ عن الواو والياء المدّيّة ، ولكنَّ ٱلرّضيّ يطلقُ ٱللِّينَ على ٱلْأصوات ٱلْمدّيّة أيضاً ، وذلك في مواضع أبرزها في ٱلتقاءِ ٱلسّاكنين ، ومع هذا ٱلْاختلاط فإنّه على وعيٍ تامٍّ لِلطّبيعة ٱلصّوتيّة لكلا ٱلْقسمين ، وهو عندما يعني المدّيّة يذكرُ أنَّ حركةَ ماقبلها من جنسها ، وعندما يعني شبه ٱلْمدّيّة (قلّة ٱلْمدّ) يذكر أنَّ حركةَ ماقبلها من غير جنسها ، وكلّ هذا مع الواو والياء أمّا مع ٱلْألف فلاحاجة لِأنّه مدٌّ فقطْ ، ويجب أنْ تسبقَه ٱلْفتحة دائماً (بحسب ٱعتقاده)(٦) (٧) .

ب ـ ٱلصّفات ٱلْمفردة :

ٱلتّأفيف : قالَ الرّضيّ : "وَفَضِيلَةُ ٱلْفَاءِ ٱلتَّأْفِيفُ ، وَهُوَ صَوْتٌ يَخْرُجُ مِنَ ٱلْفَمِ مَعَ ٱلنُّطْقِ بِٱلْفَاءِ "(٨) ، يبدو أنّه ذلكَ ٱلْانطباعُ ٱلسّمعيّ ٱلنّاتج مِن ٱستمرار خروج ٱلْهواءِ ، لِأنّ الفاءَ رخوةٌ (احتكاكيّة)(٩) .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٦١ .

(٢) ش ش ٣/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥ و ٢٧٢ .

(٣) في الكتاب : ٤/ ٤٣٥ ، الجمهرة : ١/ ٤٥ ، المقرب : ٣٥٩ ، الكشف : ١/ ١٦٤ ، لطائف الاشارات : ١/ ١٩٥ ، وقد وصف الحيدرة اليمنيّ بهما صوتيْ (الواو واليـاء) كشف المشكل : ٢/ ٢٨٣ .

(٤) (٥) ش ش ٣/ ٢٧٠ وينظر : ٢٧١ .

(٦) في العين ١/ ٥٧ والتهذيب ١/ ٤٨ والكتاب : ٤/ ٤٣٥ ، التبصرة : ٢٥٧ ، كتاب الحروف : ١٤٠ ، التعريفات : ٥٢ .

(٧) ينظر : ش ش ١/ ١٢٣ .

(٨) ش ش ٣/ ٢٧٠ .

(٩) لم يذكره سيبويه ، يبدو أنّه قد ٱقتبسه عن أهل ٱلتّجويد ، ينظر : الدّراسات الصّوتيّة : ٣١٩ .

ٱلتَّفَشِّي وَٱلرَّخَاوَةُ : وهي عنده هكذا مركّبة ، فضيلةٌ لِلشّين، حيثُ قالَ : "وَفَضِيلَةُ ٱلشِّينِ ٱلتَّفَشِّي وَٱلرَّخَاوَةُ "(١)، ويبدو أنّها تعبّر عن ذلك ٱلصّوت ٱلمميّز عند ٱلنّطق بٱلشّين ٱلنّاتج عن ٱنتشار ٱلصّوت في ٱلمنطقة مابعد ٱلمخرج(٢)، إذ لم يقدِّم لنا الرّضيّ إيضاحاً لهذهِ ٱلفضيلة عند ما أشار إلى ٱتّصاف أكثر صوت بها حين قالَ (في إدغام أبي عمرو ٱلشّين في ٱلشّين) : "لِكَوْنِهِمَا مِنْ حُرُوفِ ٱلتَّفَشِّي، وَٱلصَّوْتِ "(٣)، ولكنّني أميل إلى أنّه قد أشار بها إلى صفة ٱلرّخاوة، وبٱلصّوت إلى صوتِ ٱلصّفير خاصة، أوعموم ٱستمرار ٱلتّصويت ٱلّذي تتميّز بها الرّخوة، ولم يستعملها مَن سبقه مركّبةً بل ٱكتفوا بالتفشي(٤).

ٱلتَّكْرِيرُ : قالَ الرّضيّ : "وَفَضِيلَةُ ٱلرّاءِ ٱلتَّكْرِيرُ "(١) ويبدو أنّ هذه ٱلفضيلة تنتج عن تكرار ٱلوضع ٱلمخرجيّ عند ٱلنّطق ٱلّذي أدركه الرّضيّ فقال : " وَسُمِّيَ ٱلرّاءُ مُكَرَّراً، لِأَنَّ طَرَفَ ٱللِّسَانِ إِذَا تُكِلِّمَ بِهِ كَأَنَّهُ يَتَعَثَّرُ : أَيْ يَقُومُ فَيَعْثُرُ ؛ لِلتَّكْرِيرِ ٱلَّذِي فِيهِ "(٥)، وفي موضوع ٱلإمالة يجعلُ حركةَ ٱلرّاء كحركتين فمعه تُمال الكسرة، على ٱلرّغم من وجود مانع ٱلإمالة (ٱلحرف ٱلمستعلي)(٦) وٱعتقاده بكونها حركتين يفيد أنّ تكرر ٱلوضع ٱلمخرجيّ يحدث مرتين، ولهذا "فَإِذَا تَكَرَّرَ جَرَى ٱلصَّوْتُ مَعَهُ أَثْنَاءَ ٱلتَّكَرُّرِ"(٧)(٨).

---

(١) ش ش ٣/ ٢٧٠ .

(٢) عرف د . عبد ٱلصّبور شاهين ٱلتّفشي بـ " أنْ يشغل أثناء ٱلنّطق بٱلصّوت مساحة أكبر مابين ٱللّغار وٱللّثة ، ولَولا ٱلتّفشي لصارت ٱلشّين سيناً " عن علم ٱلأصوات : المبرج ؛ ١١٠ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٧٨ .

(٤) في الكتاب: ٤/ ٤٤٨ ، المقتضب: ١/ ٢١١ وهي الاستطالة والرّعاية : ١٢٤ ، ١٧٥ .

(٥) ش ش ٣/ ٢٦٤ .

(٦) ش ش ٣/ ٢٠ .

(٧) ش ش ٣/ ٢٦١ .

(٨) الكتاب: ٤/ ٤٣٥ ، سر الصناعة: ١/ ٧٢ وٱرتشاف ٱلضّرب: ١/ ١١ ، النشر: ١/ ٢٠٤ .

٢ـ الصّفات الصّوتيّة غير ٱلْفضيلة :

آـ صفات ٱلْمجموعات :

ٱلْاسْتِعْلَاءُ : يجمع حروف (قِظْ خُصَّ ضَغْطٍ) ، ويقابل هذا ٱلْمصطلح ٱلْمنخفضة ، قال الرّضيّ : "أقُولُ : يَعْنِي حُرُوفَ ٱلْاسْتِعلاءِ، وهي ما يَرْتفِعُ بِها ٱللِّسانُ" (١) وقال أيضاً : " مَا يَرْتفِعُ بِسَبَبِهَا ٱللِّسانُ ، وهي ٱلْمُطْبقةُ وٱلْخَاءُ والغَيْنُ وٱلْقافُ ؛ لِأنَّهُ يَرتفِعُ ٱللسانُ بِهذِهِ ٱلثّلاثةِ أيضاً ، لكِنْ لا إلى حَدِّ ٱنْطِباقِ ٱلْحَنَكِ عَلَيْهَا" (٢) ، حيث يبدو ٱلرّضيّ على وعي بمرتبتين من رفع ٱللسان : ٱلْأولى في ٱلْإطباق ، والثّانية دونه ، ورفع ٱللسان في الثّانية يعدّ من صميم هيئتها ٱلْمخرجيّة ، أمّا في ٱلْمطبقة ، فمع نقطة ٱلْمخرج هناك منطقة ٱحتكاك مع ظهر ٱللسان ، وعلى هذا فبٱلْإمكان أن تُوصف ٱلْمستعلية بأُحاديّة ٱلْمخرج ، امّا ٱلْمطبقة ، فتوصف بمزدوجة المخرج (٣) (٤) .

ٱلْإطْلَاقُ : قال ٱلرّضيّ (في ٱلْوقف بالتّضعيف) : " لٰكِنَّهُم جَوَّزُوا فِي ٱلْقَوافِي خَاصّةً بَعْدَ ٱلْحَرْفِ ٱلسّاكِنِ أنْ يُحَرَّكَ ٱلْمُضَعَّفُ لِقَصْدِ ٱلْإتْيانِ بِحَرْفِ ٱلْإطْلَاقِ ، لِأنَّ ٱلشِّعْرَ مَوْضِعُ ٱلتَّرَنُّمِ وٱلْغِنَاءِ وتَرْجِيعِ ٱلصَّوْتِ ، ولِاسِيَّمَا فِي أوَاخِرِ ٱلْأبْيَاتِ ؛ وَحُروفُ ٱلْإطْلاقِ : أي ٱلْألِفُ وٱلْواو ، وٱلياء هيَ ٱلمتعيّنة بين الحُروفِ لِلتّرديدِ ، وٱلتّرجيع الصّالحة لها ، فَمِن ثَمَّ تلحقُ في ٱلشّعرِ لِقَصْدِ ٱلْإطْلاقِ كَلِماتٍ لَا تَلْحَقُهَا فِي غَيْرِ ٱلشِّعْرِ" (٥) وقال أيضاً : " فَلمّا جاز لهم في ٱلشّعرِ أنْ يحرّكوا لأجل المجيء بِحَرْفِ ٱلْإطلاقِ ... " (٦) ، ويُلحظ هٰهنا أنّ الرّضيّ قد ربط ٱستعمال ٱلْمصطلح بمواضع ٱلشّعر فقط ، ودلالة ٱلْمصطلح واضحة إذ هي تشير إلى ما تتمتّع به هذه ٱلْأصوات من إمكانية ٱلْأمتداد ٱلصّوتيّ عند التّصويت . (٧)

ٱلْإنْحِرَافُ : صفةُ ٱللام وٱلضّاد ، قال ٱلرّضيّ : " وَإنَّمَا سُمِّيَ ٱللَّامُ مُنْحَرِفاً ؛ لِأنَّ ٱللِّسَانَ يَنْحَرِفُ عِنْدَ ٱلنُّطْقِ بِهِ " (٨) ، وقال في هيئته : ... بَل ٱنْحَرَفَ طَرَفُ اللِّسَانِ عِنْدَ ٱلنّطقِ بِهِ خَرَجَ ٱلصّوْتُ عِنْدَ ٱلنّطْقِ بِهِ مِنْ مُسْتَدَقِّ ٱللِّسَانِ فُوَيْقَ مَخْرَجِهِ" (٩) ، فالرّضيّ يُسند ٱلْإنحراف إلى ٱللسان ، ٱلّذي ينبغي أنْ يُسندَ إلى النّفس أو ٱلصّوت ، وإنْ كان هذا لم يمنعه من إدراك حقيقة ٱلْأمر ٱلّذي يعززه بقوله : " وَلَيْسَ يَخْرُجُ ٱلصّوْتُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلْمَخْرَجِ بَلْ يَتَجافَى ناحيتها (خطأ : ناحيتيْ) مُسْتَدَقِّ ٱللِّسَانِ ، وَلا تَعْتَرِضَانِ ٱلصّوْتَ ، بَلْ تَخْلِيانِ طَرِيقَهُ ، وَيَخْرُجُ ٱلصّوْتُ مِنْ تَيْنِكَ ٱلنّاحِيَتَيْنِ " (١٠) ، أمّا ٱلضّاد ، فقد قال الرّضيّ : " وَمِثْلُهُ ٱلطَّجَعَ بِإبْدَالِ ٱللّامِ مَكَانَ ٱلضّادِ لِمُشَابَهَتِهَا لَهَا بِٱلْإنْحِرَافِ" (١١) (١٢) .

---

(١) ش ش ٣/ ١٤ . (٢) ش ش ٣/ ٢٦٢ .
(٣) ينظر : الحقائق التاريخية وأثرها في النظم اللغوية الصيغية : ١٢٠ .
(٤) في التهذيب : ١/ ٥١ (عن الخليل) ، الكتاب : ٤/ ١٢٨ـ ١٢٩ ، كشف المشكل : ٢/ ٢٨٣ ، كتاب الحروف : ١٣٤ ، المقرب : ٣٥٩ .
(٥) ش ش ٢/ ٣١٦ . (٦) ش ش ٢/ ٣١٧ ، وينظر ايضا للمصطلح : ٢/ ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ .
(٧) في : منازل الحروف : ٢٨ ، شرح الحدود : ١٣٩ .
(٨) ش ش ٣/ ٢٦٣ (٩) ش ش ٣/ ٢٦١ . (١٠) ش ش ٣/ ٢٦٠ (١١) ش ش ٣/ ٢٩٤
(١٢) في : العين : ١/ ٥٢ ، الكتاب : ٤/ ٤٣٥ ، المقتضب : ١/ ٢١٣ ، الرعاية : ١٣ ، التحديد : ٩٢ الموضح : ٩٢ .

التَّفْخِيمُ : وصف به لام التّفخيم وألف التّفخيم عند أهل الحجاز، وهما من المتفرعات المستحسنة، ويبدو لي أنّ لها قيمتين: الاولى مع اللام حيثُ تقتربُ من قيمة الإطباق؛ إذ قال الرّضيّ : " وَيَعْنِي بِهَا اللامَ الَّتِي تَلِي الصّادَ أَوِ الضّادَ أَوِ الطّاءَ ، إِذَا كَانَتْ هٰذِهِ الْحُرُوفُ مَفْتُوحَةً أَوْ سَاكِنَةً ، كَالصَّلٰوةِ وَيَصْلَوْنَ ، فَإِنّ بعضهم يفخّمها وكذا لام (اللّٰهِ) إِذَا كَانَ قَبْلَهَا ضَمَّةٌ أَوْ فَتْحَةٌ " (١) ، والثّانية : قيمةٌ صائتيّةٌ وهي في ألف التّفخيم الّتي يقولُ عنها الرّضيّ : " وَهِيَ الْأَلِفُ الَّتِي يُنْحَى بِهَا نَحْوَ الْوَاوِ كَالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ وَالْحَيٰوةِ ، وَهِيَ لُغَةُ الْحِجَازِ ، وَزَعَمُوا أَنّ كَتْبَهُمْ لِهٰذِهِ الْكَلِمَاتِ بِالْوَاوِ عَلَى هٰذِهِ اللُّغَةِ " (٢) ، فالألف ههنا يُنطَق بارتفاع مؤخرة اللسان قليلاً مع تدوير الشّفاه ، فيدخل على القيمة الأولى الّتي سببها ارتفاع اللسان تدويرُ الشّفتين، والرّضيّ لم يتعدَّ في ذكره للتّفخيم غير هذيْن المتفرعين (٣) .

تُرقَّقُ : مقابل التّفخيم، قالَ الرّضيّ : " ... وَأَيْضاً فِيما فَعَلُوا حُصُولُ التَّفْخِيمِ فِي لامِ اللّٰهِ إِذْ هِيَ تُفَخَّمُ بَعْدَ الْفَتْحِ وَالضَّمِّ، وَتُرَقَّقُ بَعْدَ الْكَسْرِ (٤) " ويبدو أنّها مقابلةُ التّفخيم السّلبيّة، وهي أيضاً تعبير عن الحالة الاعتياديّة لنطق اللام . ولَم يتجاوزِ الرّضيّ هذا الموضعَ في ذكره لهذا المصطلح (٥) .

الْجَهْرُ (وَالْهَمْسُ) : قال الرّضيّ : " وَالْجَهْرُ : رَفْعُ الصَّوْتِ ، وَالْهَمْسُ : إِخْفَاؤُهُ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مَجْهُوراً، لِأَنَّكَ تُشْبِعُ الْاعْتِمَادَ فِي مَوْضِعِهِ ، فَمِنْ إِشْبَاعِ الْاعْتِمَادِ يَحْصُلُ ارْتِفَاعُ الصَّوْتِ، وَمِنْ ضَعْفِ الْاعْتِمَادِ يَحْصُلُ الْهَمْسُ وَالْإِخْفَاءُ " (٦) ، وقال أيضاً : " وَالْجَهْرُ : رَفْعُ الصَّوْتِ بِالْحَرْفِ : سَوَاءٌ جَرَى الصَّوْتُ ، أَوْ لَمْ يَجْرِ ، وَعَلَامَتُهُ عَدَمُ جَرْيِ النَّفَسِ " (٧) ، فالرّضيّ يستفيد من الدّلالة اللغوية في إطلاق الدّلالة الاصطلاحيّة للجهر والهمس، وقد استعمل الدّلالة اللغوية للمصطلحَيْن حيثُ قال

---

(١) ش ش ٣/ ٢٢٥ ، وينظر ش ش ٢/ ٢٣٦ .
(٢) ش ش ٣ / ٢٥١ .
(٣) في: الكتاب : ٤/ ٤٣٢ ، المقتضب: ١/ ١٩٤ (التَّفَخُّمُ) ، سر الصناعة : ١/ ٥١ ، مفتاح العلوم : ١٧٤ .
(٤) ش ش ٢/ ٢٣٦ (جاء ذكره لها استطراداً ليس غير)
(٥) عند أهل القراءات والتّجويد ، التّبصرة : ١٤٤ ، الموضح : ١٠٦ ، ١١٠ ، منهاج التوفيق : ٣٣٩ .
(٦) ش ش ٣/ ٢٥٨ .
(٧) ش ش ٣/ ٢٦٠ .

عند الابتداء بالساكن : " أنّك تتوصّل إلى النّطق بذلك الساكن بهمزة مكسورة في غاية الخفاء حتّى كأنّها من جملة حديث النّفس ؛ فلا يدركها السّامع ، ثمّ تجهر بالحرف الساكن في أوّل الكلمة " (١) . وقال في الهمس عند تعليله لإبدال التّاء من الواو : " لكون التّاء من أصول الثّنايا ، والواو من الشّفتين ، ويجمعهما الهمس " (٢) لما فيهما من اللّين ؛ لأنّه يقرر أنّها مجهورة في غير مرّة ، فيذكر الهمس مستفيداً من دلالته اللّغويّة ، والرّضيّ يبيّن أنّ إشباع الاعتماد هو سبب الجهر (رفع الصّوت) ، وعدمه يعني حصول الهمس (ضعف الصّوت والإخفاء) ؛ فإشباع الاعتماد يمنع النّفس من الجريان إلى أن يتمّ النّطق ثمّ يجري النّفس ؛ لزواله (وقد توصّلت إلى أنّ إشباع الاعتماد عند الرّضيّ يعني : طول المدّة الزّمنيّة للضّغط من قبل العضو المتحرك دون أن يعني ذلك غلق المجرى الهوائي بالتقاء العضوين ، وهي حال المجهورة ، ضدّها المهموسة) . وينقل الرّضيّ محاولةً أخرى لفهم سبب الجهر والهمس حيث قال : " قيل : والمجهورة تخرج أصواتها من الصّدر ، والمهموسة تخرج أصواتها من مخارجها في الفم ؛ وذلك ممّا يرخّي الصّوت ، فيخرج الصّوت من الفم ضعيفاً ، ثمّ إن أردت الجهر بها ، وإسماعها ، أتبعت صوتها بصوتٍ من الصّدر ليفهم " (٣) ، فكأنّ من قال هذا (وهو على ما يبدو سيبويه بحسب رواية السّيرافيّ (٤)) يدرك أنّ هناك منطقتين لإنتاج الأصوات : الأولى في الصّدر ، والثّانية في المخارج المعروفة ، ويقتصر في المهموسة على الصّوت النّاتج من المخارج ، أمّا مع المجهورة فيتتبّع هذا الصّوت صوتٌ آخر ناتج من الصّدر ؛ وبهذا فإنّ صوت الصّدر أساسٌ في إنتاج الجهر ؛ وهذا التّصوّر غيرُ بعيد عن إدراك الآليّة الجهريّة الخاصة بتذبذب الأحبال الصّوتيّة ؛ لأنّ الصّدر عندهم تعبيرٌ عمّا تحت الحلق ، ولا يعدُ إدراكه لصوت الذّبذبة .

---

(١) ش ش ٢/ ٢١١ .

(٢) ش ش ٣/ ٨٠ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

(٤) ينظر : العربيّة الفصحى : ١٩٨ ، مذكرة رقم ٣ (نصّ ينقله هنري فليش عن مخطوطة شرح الكتاب للسّيرافي) .

كذلك تشير المقولة السابقة إلى إيجابية الجهر، وهو فضلة على الهمس تزاد، فيدرك لزيادتها صوتٌ آخرُ هو المجهور. وتلك ملاحظة وقف عندها الرضيّ في مستهلّ كلامه على المجهور والمهموس؛ قال: "أقولُ: إنّما سُمِّيَتِ الحُروفُ المَذْكُورَةُ مَجْهُورَةً، لأنّهُ لابُدَّ في بَيانِها وإخْراجِها مِنْ جَهْرِ ما، ولا يَتَهَيَّأُ النُّطْقُ بِها إلّا كذلكَ، كالقافِ والعَيْنِ بِخِلافِ المَهْمُوسِ، فإنّهُ يُتَهَيَّأُ لكَ أنْ تَنْطِقَ بِهِ ويَسْمَعَ مِنْكَ خَفِيًّا كما يُمْكِنُكَ أنْ تَجْهَرَ بِهِ"[1]، فهو يفهم أنّ المهموس يمكن أن يُجهر به بخلاف المجهور، فلا يُهْمَسُ لأنّه بذلك يفقد تمايزه عن مقابله، ويبدو أنّ هذا يعزّز ما فهمناه من اصطلاحه بالجهر على رفع الصّوت، وبالهمس على خفض الصّوت[2]، (ولي وقفة مع هاتين الصّفتين في الفصل القادم، إنْ شاء الله).

الخفاء: يصفُ الرّضيّ بهذه الصّفة أصوات المدّ والهمزة والهاء والنّون، وتكون أيضاً صفةً عارضةً في جميع الأصوات عند الوقف لأنّه موضع الاستراحة[3]، قال: "وبالوَقْفِ يَصِيرُ الحَرْفُ المَوْقُوفُ عَلَيْهِ أخْفَى مِمّا كانَ في الوَصْلِ، وذلكَ لأنَّ الحَرْفَ، أوِ الحَرَكَةَ تُبَيِّنُ جَرْسَهُ"[4]، ويبدو أنّ المعنى المتبادر إلى الذّهن من هذا المصطلح يعني ما يُطْلَق عليه المحدثون بدرجة إسماع واطئة، وفي كلامه ما يؤكّد هذا المعنى، وذلك حين وصف همزة الوصل قائلاً: "...بِهَمْزَةٍ مَكْسُورَةٍ في غايَةِ الخَفاءِ، حَتّى كأنّها مِنْ جُمْلَةِ حَدِيثِ النَّفْسِ، فَلا يُدْرِكُها السَّمْعُ" وهو المعنى الجامع، غير أنّ هناك اعتبارات أخرى وقفتُ عليها تجعلني أقدمها على هذا النحو:

١- ما كان الخفاء فيه صفةً ذاتيّةً محضة، وذلك مع الهاء والهمزة، قال الرّضيّ: "لأنّ الهاءَ خَفِيَّةٌ"[5] وقد كثُرتْ إشارته إلى ذلك[6]، وهي صفة تعبّر عن ذلك الصّامت الضّعيف الذي أشبهُ ما يكون بصوت النّفس الخارج من الفم. أمّا الهمزة فهي صوت انفجاريّ (شديد، بحسب اصطلاح الرّضيّ)، فهي من مجموعة الأصوات الّتي تتميّز بأنّها ذات درجة إسماع واطئة[7]، ويقتصر كيانها على ذلك الانفجار

---

(١) ش ش ٣/ ٢٥٨.
(٢) في الكتاب: ٤/ ٤٣٤، المقتضب: ١/ ١٩٤، أبو الحسن بن كيسان: ٢١٨ "مَالَزِمَ مَوْضِعَهُ إلى انْقِضاءِ حُرُوفِهِ وحَبَسَ النَّفَسَ أنْ يَجْرِي مَعَهُ فَصارَ مَجْهُوراً، لأنّهُ لَمْ يُخالِطْهُ شَيْءٌ بِغَيْرِهِ".
(٣) ش ش ٢/ ٢٨٩.
(٤) ش ش ٢/ ٣١١.
(٥) ش ش ٢/ ٢٤٥.
(٦) ينظر ش ش ٢/ ٢٤٦، ش ك ٢/ ٤٠٨، ٢/ ٤١٠.
(٧) دراسة الصّوت: ٢٤٤.

الهوائي عند فتح الأحبال الصوتيّة بسرعة، ويلحقها مع هذه الطّبيعة الصّوتيّة إعتبار آخر يعد و أنّ الرضي يُدخِله في حسابه، وهو كون الهمزة أقصى الأصوات مخرجاً قال الرّضيّ : " إعلم أنّ الْهَمْزَةَ هِيَ أَبْعَدُ الْحُرُوفِ، وَأَخْفَاهَا ، لِأَنَّهَا مِنْ أَقْصَى الْحَلْقِ فَإِذَا وَقَفُوا عَلَيْهَا ـ وَبِالْوَقْفِ يَصِيرُ الْحَرْفُ الْمَوْقُوف عَلَيْهِ أَخْفَى مِمَّا كَانَ فِي الْوَصْلِ ... " (١)

٢ـ ماكان الخفاءُ فيه قياساً إلى غيره ، وذلك في الخفاء الذي وُصِفَتْ به النّونُ فاصطُلِحَ عليها من بين سيبويه بالخفيّة أو الخفيفة (٢) قال الرّضيّ : " ... أَخْفَى النُّونَ بِقِلَّةِ الْاعْتِمَادِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَحَدِ مَخْرَجَيْهِ ... فَيَقْتَصِرُ عَلَى مَخْرَجِ الْخَيْشُومِ فَيَحْصُلُ النُّونُ الْخَفِيَّةُ " (٣)، وقد نَقَلَ عن السّيرافيّ في الحروف المتفرّعة نحواً من هذا، فهي إذن فرع عن النّون الأصليّة الّتي مع حروف الحلق المعتمد فيها على مَخْرجين : أحدهما في الفم، والآخر في الخيشوم (٤).

٣ـ ماكانَ الخَفاءُ فيه تعبيراً عن اللّين بخروج الهواء حرّاً دونَ إعاقةٍ مع قلّة ما يُبْذَل من جهدٍ عند إنتاجها مقابلاً تلك الإعاقة، وبذل الجهد في غلق المَجرى، أو تضييقه في الصّوامت، وقد أشار الرّضيّ إلى ذلك بقوله : " فَأَوْسَعُهُنَّ مَخْرَجاً الْأَلِفُ، ثُمَّ الْيَاءُ ، ثُمَّ الْوَاوُ ، وهذه الْحُرُوفُ أَخْفَى الْحُرُوفِ لاتّساع مَخارجها ، وَأَخْفَاهُنَّ الْأَلِفُ ، لِأَنَّ سِعَةَ مَخْرَجِهَا أَكْثَرُ " (٥)، وبيّن واضحاً كيف يربط الرّضيّ بين خفائها وسعة مخرجها .

أقول : إنّ الّذي دعاني لِمَا تقدّم في فهم الخفاء و جعله فهم الرّضي لهذا المصطلح أيضاً ، أنّه يذكر هنا أصواتاً تتميّز بامتلاكها لأعلى درجات الإسماع، والوضوح السمعي، وهي أصواتُ المدّ، والنّون (٦) (٧) .

---

(١) ش ش ٢/ ٣١١

(٢) ينظر : الكتاب ٤/ ٤٣٢ ، ش ش ٣/ ٢٥٤ـ ٢٥٥ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٧٢

(٤) ش ش ٣/ ٢٧١

(٥) ش ش ٣/ ٢٦١

(٦) ينظر : دراسة الصوت ص ٢٤٤ـ ٢٤٥ .

(٧) في الكتاب : ٢/ ٤٢١ و ٢٦٢ ، ٤/ ١٦٥ و ١٦١ ، الرعاية : ، الموضح : ٩٧ .

الذَّلاقَـــةُ : وهي صفةُ حروف (مُرْ بِنَفَلٍ)،وضادتُها الصمتـــة ،قال الرَّضِيُّ : " الذَّلاقَةُ : الفَصاحَةُ والخِفَّةُ في الكَلامِ ،وهٰذِهِ الحُرُوفُ أَخَفُّ الحُرُوفِ ، وَلا يَنْفَكُّ رُباعِيٌّ وَلا خُماسِيٌّ مِنْ حَرْفٍ مِنْها إلاَّ شاذّاً ... ؛ وذلك لِأَنَّ الرُّباعِيَّ والخُماسِيَّ ثَقيلانِ ؛ فَلَمْ يُخْلَيا مِنْ حَرْفٍ سَهْلٍ عَلَى اللِّسانِ خَفيفٍ " (١) ، ويبدو أنَّ هـٰذه الصفة تعتمد على المرونةِ الحَركيّة التي يَتَمتعُ بها طرفُ اللِّسانِ مع امتلاكِها لخصائصَ وظيفيةٍ واضحةٍ تشكِّلُ صفاتٍ متمايزةً في النِّظامِ الصَّوتي العَربي مِنْ نحوِ:الغُنة والتكرير والجانبية والتأفيف ،وفي الباء لَمْ تَجعلْ العربيةُ لَها مقابِلاً مستعمَلاً ،فتفرَّدَتْ بمَخرجِها ؛ ولهذا كَثُرَ دورانُها في الأبنيةِ (٢) .

الرَّخـــاوَةُ : صفةُ حروفِ (ض / ظ /ذ /ز/س/ش/ص/ح /خ /غ/ث/ف)،وقـــد حدَّدها الرَّضيّ،فقال : " لِأَنَّ الرَّخاوَةَ : أَنْ يَجْري الصَّوْتُ بِالْحَرْفِ عِنْدَ إسْكانِهِ كَالنَّبْرِ " (٣) ،وضادتُها الشّدّة ،فالرَّخاوةُ اذن:ذلكَ الانطباعُ السّمعيّ النّاتجُ عن استمراريـــةِ خروجِ الهواءِ عندَ النُّطق بها،وقد أهملَ الإشارةَ إلى هيئتِها المخرجية،ولكنّهُ علـــى مايبدو مِنْ ادراكه لِلْهيئةِ المخرجيّة لِمابين الشّديدة والرّخوة،قد أدركَ هيئةَ هـٰذه الأصواتِ إدراكاً تاماً (٤) .

الشِّـــدَّةِ : صفةُ حروفِ (أَجِدُكَ قَطَبْتَ)،ضادتُها الرّخاوة ،قال الرضي فيها : " مَاإذَا أَسْكَنْتَهُ وَنَطَقْتَ بِهِ لَمْ يَجْرِ الصَّوْتُ "(٣) وهو هنا كذلك يَعتمِدُ الانطباعَ السّمعـيَّ عندَ إنتاجِها،وهويُدْرِكُ ماتتميزُ بِهِ من قُصْرٍ زمنيّ ؛ أَيْ : امتلاكِها صفةَ الآنيـــة ؛ فقدقال : " إنَّ الشَّديدَةَ لَا يَجْري الصَّوْتُ عِنْدَ النُّطْقِ بِها ؛ بَلْ إنَّكَ تَسْمَعُ بِهِ فـي آنٍ ثُمَّ يَنْقَطِعُ " (٣) أمّا تهيئتُها،فمثلَ ماسبقَ في (الرّخاوة) ؛ وقال الرّضـــيّ :

---

(١) ش ش ٣/ ٢٦٢ .

(٢) في العين :١/ ٥١ ، التهذيب:١/ ٤٤و ٤٦ ،الكتاب:٤/ ٤٣٥،سر الصناعة : ١/ ٧٤ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٦٠ .

(٤) في الكتاب ٤/ ٤٣٤،المقتضب ١/ ١٩٤ ،أسباب حدوث الحروف : ٦٠ (المركّبة) والفراءُ يستعملُ لها مصطلح الصَّوْت، ينظر:(ماذكره الكوفيون من الإدغـــام ٥٩ ، الموضح : ٧٧،جهود الكوفيين في علم الاصوات : ١٥٠،من فكرالفـــراء الصّوتيّ : ١٩٦).

"وَالْهَمْسُ وَالرَّخَاوَةُ أَسْهَلُ عَلَى النَّاطِقِ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْجَهْرِ " (١) (٢) .

شِبْهُ التَّفْخِ : صفةٌ تتصفُ بها أصوات: (ظ/ذ /ض/ز) في الوقف ،وهي: ذلك الصوت الضعيف جدا المنتج عن استمرار خروج الهواء ، قال الرضي : "وَبَعْضُ الْحُرُوفِ إِذَا وَقَفْتَ عَلَيْهَا خَرَجَ مِثْلُ النَّفْخَةِ وَلَمْ تَنْضَغِطْ ضَغْطَ الْأَوَّلِ (يعني : القلقلة) ، وهي: الظاء والذال والضاد والزاي ، فَإِنَّ الضَّادَ تَجِدُ الْمَنْفَذَ بَيْنَ الْأَضْرَاسِ وَالظَّاءَ وَالذَّالَ وَالزَّايَ مِنْ بَيْنِ الثَّنَايَا " (٣) . وجاء استعماله للمصطلح عند ما ذكر وجوه الوقف مرتبةً بحسب قوتها ،ووضوحها السَّمعي ،حيث قال : " وَبَعْضُ الْحُرُوفِ لَا يَصْحَبُهَا فِي الْوَقْفِ لَا صَوْتٌ كَمَا فِي الْقَلْقَلَةِ ، وَلَا نَفْخٌ كَمَا فِي الْهَمْوَسَةِ ، وَلَا شِبْهُ نَفْخٍ كَمَا فِي الْحُرُوفِ الْأَرْبَعَةِ " (٤) ، وَالْحروفُ الأربعةُ هي هذهِ الحروف (٥) .

الصَّحِيحُ : صفة جميع الأصوات خلا أصوات اللين أو العلّة (أي : المدّيّة ، وشبه المدّيّة) ،وهو على هذا مرادف لمصطلح الصّامت ،والمصطلح هذا أكثر تقابلاً مع العلّة (يُنظر: مصطلح العلة) فأصواته ثابتةٌ لا تتغيرُ ،وأبرزُ موارد استعماله عند الرضي الذي يوضحُ هذه الدلالة في (موضوع التقاء الساكنين) عند ما يقابل به مصطلحات: اللين والعلّة والمدّ وقلّة المدّ ، قال الرضي : " اعْلَمْ أَنَّ الْحَرْفَيْنِ السَّاكِنَيْنِ إِذَا كَانَ أَوَّلُهُمَا حَرْفاً صَحِيحاً لَا يُمْكِنُ الْتِقَاؤُهُمَا ... نَحْوَ بَكْرْ بِشْرْ ، بِسْرْ ... وَأَمَّا إِذَا كَانَ أَوَّلُهُمَا حَرْفَ لِينٍ (يُنظَر: تكملة النّص في مصطلح العلّة) " (٦) (٧) .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٧٥ .

(٢) في الكتاب : ٤/ ٤٣٤ ،وعند الفراء (الاخرس) (ينظر حاشية مصطلح الرّخاوة الخاص بالصوت) ودقائق التّصريف: ٥٤٨ (مصطلح الصّلبة) ،وفي الكشف: ١/ ١٣٥ (التّشديد) .

(٣) ش ش ٣/ ٢٦٣ .

(٤) ش ش ٣/ ٢٦٣ .

(٥) استعمل صاحب الكتاب : ٤/ ١٧٤ (نحو النفخ) ، والموضح : ٩٣ ، التحديد: ١١١ ، وينظر التمهيد : ١٠٥ .

(٦) ش ش ٢/ ٢١٠ ـ ٢١١ .

(٧) مصطلح الدّراسات اللغوية عامة العين : ١/ ٥٧ و ٥٨ ،والتهذيب : ١/ ٤٤ ، ٥٠ قال في الموضح : ٩١ : " وللحروف قسمة أخرى إلى الصّحة والاعتلال ، فجميع الحروف صحيح إلّا الألف والياء والواو " ، القرب: ٣٧٦ .

العِلَّـــةُ : حروفُها (الألف والواوُ والياءُ) ، وسُمِّيَتْ حروفُ العِلَّةِ وحروفَ الإعلال " لِأَنَّهَا تَتَغيَّرُ، ولا تَبْقى عَلَى حَالٍ كَالْعَلِيلِ الْمُخْرِفِ الْمِزاجِ، الْمُتَغيِّرِ حَالاً بِحَـــالٍ "(١) على ما قال الرَّضِيُّ، وقالَ أيضاً : " لِأَنَّهَا لَا تَسْلَمُ وَلَا تَصِحُّ : أَيْ لَا تَبْقَى عَلَى حَالٍ فِي كَثِيـــرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ بَلْ تَتَغَيَّرُ بِالْقَلْبِ وَالْإِسْكَانِ وَالْحَذْفِ "(٢) ، وقد جاءَتْ استعمالاتُ الرَّضـــي في موضوعِ الإعلالِ لِتُحَدِّدَ حروفَه بالواو والياء غيرِ المدَّيتين إلّا إنَّه مِنَ النّاحيـــة النظريّة لهذا الموضوع مع تطبيقاتٍ أُخرى خارجه يَعُمُّ بالمُصطلح المدِّيّة وغيـــرَ المدّيّة، من ذلكَ ما ذكرَه في التقاءِ السّاكنين، حيث قال : " وَأَمَّا إِذَا كَانَ أَوَّلُهُمَـــا حَرْفَ لِينٍ، فَإِنَّهُ يُمْكِنُ التقاؤُهُما لكِنْ مَعَ ثِقَلٍ مَا ، وإنَّما أُمْكِنَ ذَلِكَ مَعَ حُرُوفِ الْعِلَّـــةِ لِأَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ هِيَ الرَّوابِطُ بَيْنَ حُرُوفِ الْكَلِمَةِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّكَ تَأْخُـــذُ أَبْعَاضَهَا (أعني الحَرَكاتِ) فَتَنْظِمُ بِهَا بَيْنَ الْحُرُوفِ، وَلَوْلَاهَا لَمْ تَتَّسِقْ ؛ فَإِذَا كَانَـــتْ أَبْعَاضُهَا هِيَ الرَّوابِطُ ، وَكَانَتْ إِحْدَاهَا، وَهِيَ ساكنةٌ قَبْلَ سَاكِنٍ آخَرَ مَدَدْتَهَا، وَمَكَّنْتَ صَوْتَكَ مِنْهَا حَتَّى تَصِيرَ ذَاتَ أَجْزَاءٍ ، فَتَتَوَصَّلُ بِجُزْئِهَا الْأَخِيرِ إِلَى رَبْطِهَا بِالسَّاكِـــنِ الَّذِي بَعْدَهَا وَلِذَلِكَ وَجَبَ الْمَدُّ التَّامُّ فِي أَوَّلِ مِثْلِ هَذَيْنِ السَّاكِنَيْنِ "(٣) ، ونَجِدُ تكراراً لمصطلحاتِ هذه الحروف في الصَّفحاتِ التّالية لهذا النَّصِّ(٤) .

القَلْقَلَـــةُ : وهو مصطلح لِمَا يصحب حروفَ (قُدْ طُبَجٍ) عِنْدَ الوقف ، وفـــي سبب التّسمية، قال الرّضيّ : " إِنَّمَا سُمِّيَتْ حُرُوفَ الْقَلْقَلَةِ، لِأَنَّهَا يَصْحَبُهَا ضَغْـــطُ اللِّسَانِ فِي مَخْرَجِهَا فِي الْوَقْفِ مَعَ شِدَّةِ الصَّوْتِ الْمُتَصَعِّدِ مِنَ الصَّدْرِ ، وَهَذَا الضَّغْطُ التَّامُّ يَمْنَعُ خُرُوجَ ذَلِكَ الصَّوْتِ ، فَإِذَا أَرَدْتَ بَيَانَهَا لِلْمُخَاطَبِ احْتَجْـــتَ إِلَى قَلْقَلَـــةِ اللِّسَانِ، وَتَحْرِيكِهِ عَنْ مَوْضِعِهِ حَتَّى يَخْرُجَ صَوْتُهَا، فَيُسْمَعُ "(٥) ، ويبدو أنّ الرّضـــيَّ يُدرِكُ ممّا تقدّم أنّ هذه الأصوات الشّديدة (الانفجارية) يذهبُ الوقفُ بكيانهـــا ؛ لأنّه موضعُ الإسكان، واللّسانُ معَها يَتّخذُ وضعاً يمنعُ مرورَ الهواء منعاً تامـــاً إذَنْ

---

(١) ش ش ٣/ ٦٨ .
(٢) ش ش ١/ ٣٣
(٣) ش ش ٢/ ٢١١ وينظر: ١/ ١١٩ .
(٤) العين : ١/ ٥٥ ، ٥٩ ، التهذيب : ١/ ٤٩ ، ٥٠ ، الكتاب: ٤/ ٣٦٠ ، (ربما كان يعني بها صفة للواو والياء غير المديتين) .
(٥) ش ش ٣/ ٢٦٣ .

مكتبة لسان العرب
https://lisanarabs.blogspot.com

فـ (شدّةُ الصّوتِ المتصعّدِ منَ الصّدر ، وهذا الضغطُ التّام (يعني ضغطَ اللسانِ) يَمنعُ خروجَ ذلكَ الصّوتِ) مع حالة الوقف ، تشتركُ كلها في زيادةِ ضغطِ الهواءِ الخارجِ منْ الصّدر خلفَ نُقطةِ الاعتراضِ فيؤدي إلى إزالةِ الإعاقةِ بقوّةٍ فيخرجُ الهواءُ بشدّةٍ واضحةٍ ، مُحدِثاً صوتاً آنياً ، ثمّ يتدخّلُ النّاطقُ للمحافظةِ على كيانِ هذه الأصواتِ بإخراجِ صوتٍ بعدَها ، لأنّها أصواتٌ ذاتُ إسماعٍ واطيءٍ . وصوتُ القلقلةِ أظهرُ من بقيةِ الأصواتِ التي تصحبُ غيرَ هذه الحروفَ عند الوقف . (١) (٢)

القـــوّة : صفةُ الواوِ والياءِ (نصفيْ المدّ) ، ويرمزلهما (W ، Y) ، وهي عند الرضي يُشار بها الى سلوكٍ صوتيٍّ العلّة هذين مسلكَ الأصوات (الصّامتة) وظيفيّاً (Phonological) ، وذلك في حالةِ التّشديد ، وعندما تعقبهما حركةٌ ، قال الرّضيّ : " وإنْ كانتْ الواوُ المضمومةُ مشدّدةً كالتّقوالِ لمْ تُقلبْ أيضاً همزةً ، لقوّتِها بالتّشديد ، وصيرورتِها كالحرفِ الصّحيح " (٣) ، وقال : " الواوُ والياءُ المتحرّكتان قويّتان بالحركة ، لتحصّنِهما بها " ، (٤) وأتبعَهُ بقولِه : " ... لمشابهتِهما للحروفِ الصّحيحةِ بقلّةِ المدّ فيهما " (٤) ، وهما لا يُعلّان ، إذْ يعتقدُ الرضي " إنّما لمْ تُقلبِ المتحرّكةُ (يقصدُ الواو) التي ليستْ إلاّ ياءً لكسرةِ ماقبلَها بالحركة ، فلا تجذبُها حركةُ ماقبلَها إلى ناحيتِها ، مع كونِها في غيرِ موضعِ التّغيير ، وكذا إذا كانتْ مدغمةً نحوَ اجلوّاذ ، لأنّها إذنْ قويةٌ فصارتْ كالحرفِ الصّحيح " (٥) ، إذن فهذهِ الصفةُ صفةُ الثباتِ وعدمِ التغيير في السّياقِ الصّوتيّ ، والواو أوِ الياء هنا صوت شبه صحيح . (٦)

---

(١) ينظر النص آخر مصطلح (شبه النفخ) .

(٢) في الكتاب : ٤/ ١٧٤ ، سر الصناعة : ١/ ٧٣ ، المقتضب : ١/ ١٩٦ ، الايضاح : ٢/ ٤٤٨ .

(٣) ش ش ٣/ ٧٨ .

(٤) ش ك ١/ ١٥٢ .

(٥) ش ش ٣/ ٨٤ ـ ٨٥ ، وينظر : ش ش ١/ ٢٤٩ (الواو المشددة) .

(٦) الخليل عن التهذيب : ١/ ٥٢ قال : " الواوُ والياءُ إذا جاءتا بعدَ فتحةٍ قويتا ، وكذا إذا انفتحَ ما قبلَهما كانتا أقوى " ، التصريف الملوكيّ : ٨٧ ، ابن سينا في أسباب حدوث الحروف : ٨٣ و ٨٤ ، يطلق عليهما الواو الصامتة ، والياء الصامتة ، وينظر التحديد : ١٣٤ " صارا بمنزلة الحروف الجامدة " .

مابين الشديدة والرخوة :

صفة حروف (لم يروعنا) يقال الرضي : " إنّما جعل حروف (لم يروعنا) بين الشديدة والرخوة لأنّ الشديدة هي التي ينحصر الصوت في مواضعها عند الوقف ، وهذه الأحرف الثمانية ينحصر الصوت في مواضعها عند الوقف ، لكن تعرض لها أعراض توجب خروج الصوت من غير مواضعها (١) " ثمّ بعد ذلك يأتي إلى هذه الحروف حرفاً حرفاً موضحاً ما يقصده من كلام مع إعطاء تصوّر عن الهيئة المخرجية لكلّ منها مما يشكّل وعياً تاماً لما يحدث في آلة الصوت من إعاقة تامة أو جزئيّة للهواء ليس في هذه الصفة فقط بل في صفتي الشدّة والرخاوة .

ولكنّ هذا المصطلح لا يعدو في اعتقادي سليماً ليطلق هنا ، إذ يوحي المصطلح بوجود صفة بين الشدّة والرخاوة بمعنى وجود آليّة بين آليتي هاتين الصفتين من حيث الإعاقة في نقطة المخرج ، لذا أرى أنّ الأنسب أن يُطلق هنا (مصطلح الشدّة ـ الرخاوة) ، وأصواتها (الشديدة ـ الرخوة) ، وأعتقد أنّ الرضي هنا قد تكلّف وضع الياء والواو والالف مع هذه الأصوات على الرغم من ادراكه أنّ هذه الحروف اخفى الحروف لاتساع مخارجها على حدّ قوله الذي وقفنا عليه في مصطلح الخفاء ، وسيأتي مصطلح المدّ (٢) .

المَدُّ :

وهو مصطلح يستعمله الرضيّ على ما يبدو داخل مصطلحي العلّة واللين للاشارة إلى ماتتمتّع به أصوات (الالف والواو والياء) من امتداد نطقي ، واستمراريّة في التصويت بسعة مخارجها ، ويتصور الرضي وجود حركة مجانسة تسبق هذه الأصوات حتى تتمكّن من المدّ . قال : " ونعني بالمدّة ألفاً أو واواً أو ياءً

---

(١) ش ش ٣ / ٢٦٠ .

(٢) في الكتاب : ٤ / ٤٣٥ ، وعنده هي صفة لصوت العين فقط . وأوّل من قال بشمول هذه الاصوات (لم يروعنا) لهذه الصفة المبرد في المقتضب : ١ / ١٩٦ ، إمّا اجتهاداً منه ، وإمّا توهماً لكلام سيبويه ، وهو الارجح عندي لان سياق ذكرها في الكتاب يساعد كثيراً على مثل هذا الفهم ، وقد أوقعت متابعة الرضي للمبرد في التكلّف المشار اليه ، وربّما يكون أيضاً متوهماً لكلام سيبويه (ينظر الكتاب : ٤ / ٤٣٤ ـ ٤٣٥)

سَاكِنَيْنِ مَاقَبْلَهُمَا مِنَ الْحَرَكَةِ مِنْ جِنْسِهَا "(١)، وقال أيضاً : " وَنَعْنِي بِالْمَدَّةِ: حَرْفَ لِينٍ سَاكِناً، حَرَكَةُ مَاقَبْلَهُ مِنْ جِنْسِهِ "(٢)، وَفِي الْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ يَستعملُ اللِّينَ، والعلّةَ فيقولُ : " إِذَا كَانَ أَلِفاً (يعني : أَوَّلَ السَّاكِنَيْنِ) فَالْأَمْرُ أَخَفُّ لِكَثْرَةِ الْمَدِّ فِي الْأَلِفِ، إِذْ هُوَ مَدٌّ فَقَطْ ... ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا كَانَ أَوَّلُهُمَا وَاواً أَوْ يَاءً مَاقَبْلَهُمَا مِنَ الْحَرَكَاتِ مِنْ جِنْسِهِمَا ... "(٣)، فالمدُّ عند الرّضيّ يُشير إلى قيمةٍ صوتيّةٍ مرادفةٍ لِمَا تعارفَ عليه المحدثون في الصّوائتِ الطويلة، إلّا أنّه يربطَ نشأتَها بإشباعِ الحركةِ السّابقةِ المُجانسة، ووجودُ حركةٍ غيرُها في مكانها يؤدّي إلى قلّةِ المدِّ فيها، لاختلاطِ المدّين، فلا يحدثُ المدُّ التّامُّ لهذه الأصوات، قالَ الرّضيّ : " وَيَقِلُّ الْمَدُّ فِي حُرُوفِ اللِّينِ إِذَا كَانَتْ حَرَكَةُ مَاقَبْلَهَا مِنْ غَيْرِ جِنْسِهَا، نَحْوَ: قَوْلٌ وَبَيْعٌ، بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ مَاقَبْلَهَا مِنَ الْحَرَكَاتِ مِنْ جِنْسِهَا، نَحْوَ: قُول وَبِيع، وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي نَحْوِ قُول الْمَضْمُوم قَافُهُ تَتَهَيَّأُ بَعْدَ النُّطْقِ بِالْقَافِ لِلْوَاوِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الضَّمَّةَ بَعْضُ الْوَاوِ، فَيَسْهُلُ عَلَيْكَ الْمَجِيءُ بَعْدَ الضَّمَّةِ بِالْوَاوِ كَامِلَةً، لِأَنَّهُ لَمْ يُخَالِطْهَا إِذْ نَ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الْمَدِّ كَمَا خَالَطَهَا فِي قَوْلِ الْمَفْتُوحِ قَافُهُ، فَإِنَّكَ إِذَنْ تَهَيَّأْتَ فِيهِ بَعْدَ الْقَافِ لِلْمَدِّ الْأَلِفِيِّ : أَيِ الْفَتْحَةِ، ثُمَّ انْتَقَلْتَ فِي الْحَالِ إِلَى الْمَدِّ الْوَاوِيِّ شَيْئاً شَيْئاً مِنَ الْمَدِّ الْأَوَّلِ بِالْمَدِّ الثَّانِي، وَمَيْلِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَدَّيْنِ إِلَى جَانِبٍ غَيْرِ جَانِبِ الْآخَرِ، فَلَا جَرَمَ لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ إِشْبَاعِ الْمَدِّ الْوَاوِيِّ تَمَامَ التَّمَكُّنِ "(٤) وتكون الواوُ والياءُ معَها في هذهِ الحالةِ في قلّةِ المدِّ، أو شبهِ المدِّ، وبحسبِ المحدثينَ حالةُ نصفِ الصّائتِ، أو نصفِ الصّامتِ(٥).

الصَّمْتَةُ : يقابلُ الذّلاقةَ، وهي صفةُ جميعِ الحُروفِ سوى حروفِ (مُرْبُنْفَلٍ)، قالَ الرّضيُّ : " الصَّمْتَةُ : ضِدُّ حُرُوفِ الذَّلَاقَةِ، وَالشَّيْءُ الْمَصْمَتُ : هُوَ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، فَيَكُونُ ثَقِيلاً، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِثِقَلِهَا عَلَى اللِّسَانِ، بِخِلَافِ حُرُوفِ الذَّلَاقَةِ "(٦).

---

(١) ش ك ١/١٥٢، وينظر ش ش ٣/٣٣ و ٢٤٩.
(٢) ش ش ٢/٢٥٢
(٣) ش ش ٢/٢١٢ و ١/١١٩.
(٤) ش ش ٢/ ٢١١ ـ ٢١٢.
(٥) في الكتاب : ٤/٤٤١، ٤٣٥، المقتضب : ١/٢١٠، الخصائص : ٣/١١٤، منازل الحروف : ٨٣، أسباب حدوث الحروف : ٨٤.
(٦) ش ش ٣/٢٦٢.

يُراعى في هذهِ الصِّفةِ قلّةُ المرونةِ الحركيَّةِ للِّسانِ ، والرَّضيُّ يرى أنَّ ماتقدَّمَ أنسبُ من قولِهم : "إنَّما سُمِّيَتْ بذلكَ لأنَّها أُصمِتَتْ عَنْ أنْ يُبْنَى مِنْها وَحْدَها رُباعيٌّ أوْ خُماسيٌّ"(١) إذْ قالَ عنه : " الأوَّلُ أوْلَى ، لأنَّها ضِدُّ حُروفِ الذَّلاقةِ في المَعْنَى ، فَضادَتْهَا لَهَا في الاسْمِ أنْسَبُ "(٢)(٣) .

المُنْخَفِضَةُ : قالَ الرَّضيُّ : " والمُنْخَفِضَةُ : مَا يَنْخَفِضُ مَعَهُ اللِّسانُ ، ولَا يَرْتَفِعُ ، وهيَ كُلُّ مَاعَدَا المُسْتَعْلِيَةِ "(١) ، وهي حروف ماعدا : قِظْ خُصَّ ضَغْطٍ (٤) .

المُنْفَتِحَةُ : وصفَ الرَّضيُّ هذهِ فقالَ : " قولُهُ : (والمُنْفَتِحَةُ بِخِلافِهَا) ؛ لأنَّهُ يَنْفَتِحُ مابَيْنَ اللِّسانِ والحَنَكِ عِنْدَ النُّطْقِ بِهَا "(١) ، ويُفْهَمُ من كلامه أنَّها صفةُ ماعدا المُنْطَبِقَةِ بِمافيهَا المُسْتَعْلِيَةُ (٥) .

النَّفْخُ : وهي صفةٌ وقفيّةٌ يخرجُ صُوَيْتٌ عندَ المهموسةِ دُونَ القَلْقَلَةِ ، قالَ الرَّضيُّ : " وأمَّا الحُروفُ المَهْمُوسَةُ فَكُلُّهَا تَقِفُ عَلَيْهَا مَعَ نَفْخٍ ، لأنَّهُنَّ يَجْرِينَ مَعَ النَّفَسِ "(٢) ، ويبدو لي أنَّ سببَ هذا التَّصويتِ هو المحافظةُ على كيانِ هذهِ الأصواتِ في الوقفِ ويعضّدهُ قولُه : " وبَعْضُ العَرَبِ أشَدُّ نَفْخاً ، كأنَّهُمْ يَرُومُونَ الحَرَكَةَ في الوَقْفِ "(٦) .

الهَمْسُ : صفةُ حُروفِ (سَتَشْحَثُكَ خَصَفَهْ) بالهاءِ ، ضِدُّ الجَهْرِ ، وقَدْ تقدَّمَ الكلامُ عَنْ هذهِ الصِّفةِ في مصطلحِ الجَهرِ ؛ لأنَّ الضِّدَّ بالضِّدِّ يُعْرَفُ

---

(١) ش ش ٣/٢٦٢ .
(٢) ش ش ٣/٢٦٣ .
(٣) في العَيْن : ١/٥٤ (الصُّتَم) ، التَّهذيب : ١/٥١ : " المُصْمَتة هي الصُّتَمُ " ، الرعاية ١٣٥ ، اللسان : ١٢/٣٣٣ (الصُّتَم) .
(٤) في التهذيب : ١/٥١ " (عن الخليل : الاخْتِفَاض) ، سر الصناعة : ١/٧١ ، سر الفصاحة : ٢١ ، كتاب الحروف : ١٣٤ ، الهمع : ٢/٢٣٠ .
(٥) في الكتاب : ٤/٤٣٦ ، الموضح : ٩٠ ، كتاب الحروف : ١٣٤ ، المقرب : ٢/٣٥٩
(٦) في الكتاب : ٤/١٧٥ ، سر الصناعة : ١/٧٣ ، الموضح : ٩٣ يستعملُ مكانَهُ النَّفس .

(١)
(علم سيبويه في مصطلح الجهر)

الصِّفَاتُ الْمُفْرَدَةُ :

الْمَهْمُوسُ : صفةُ التَّاءِ ، قالَ الرَّضِيُّ : " وَإِنَّمَا سُمِّيَ التَّاءُ مَهْمُوسًا ؛ لِأَنَّ الْمَهْسَ سَرْدُ الْكَلَامِ عَلَى سُرْعَةٍ ، فَهُوَ حَرْفٌ خَفِيفٌ لَا يَصْعُبُ التَّكَلُّمُ بِهِ عَلَى سُرْعَةٍ "(٢) ، يُبْدو لي أَنَّ هٰذا الْمصطلحَ يُمثِّل مجملَ الانطباعِ السَّمعي والنُّطقي لِهٰذا الصَّوت من خلال مايتمتَّع به طرفُ اللِّسان من مرونةٍ في الْحركة عِنْد إنتاجه(٣) .

الْهَاوِي : صفةُ الأَلِف ، قالَ الرَّضِيُّ : " ... وَاتِّسَاعُ مَخْرَجِ الْأَلِفِ لِهَوَاءِ صَوْتِهِ أَكْثَرُ مِنِ اتِّسَاعِ مَخْرَجَيِ الْوَاوِ وَالْيَاءِ لِهَوَاءِ صَوْتِهِمَا ، فَلِذٰلِكَ سُمِّيَ الْهَاوِي : أَيْ ذَاتَ الْهَوَاءِ (الْأَصَحُّ : ذَا الْهَوَاءِ)(٤) ، كَالنَّاشِبِ وَالنَّابِلِ . وَإِنَّمَا كَانَ الْاتِّسَاعُ لِلْأَلِفِ أَكْثَرَ ؛ لِأَنَّكَ تَضُمُّ شَفَتَيْكَ لِلْوَاوِ ، فَيَتَضَيَّقُ الْمَخْرَجُ ، وَتَرْفَعُ لِسَانَكَ قِبَلَ الْحَنَكِ لِلْيَاءِ ، وَأَمَّا الْأَلِفُ فَلَا تَعْمَلُ لَهُ شَيْئًا مِنْ هٰذا ، بَلْ تَفْرِجُ الْمَخْرَجَ ؛ فَأَوْسَعُهُنَّ مَخْرَجًا الْأَلِفُ ، ثُمَّ الْيَاءُ ، ثُمَّ الْوَاوُ .. "(٥)

ويلحظُ هُنا إدراكُ لِطبيعة الجَرى الهَوائيّ عِنْد التَّصْويت بالألف ، ويبرزُ فيها أيضاً إدراكُهُ لحالاتِ المخرج بَيْن الإفراج التَّام والتَّضيق الجزئيّ ، زيادةً على إدراك الغَلْق التَّام لَهُ في الشَّديدة(٦) .

مُصْطَلَحَاتُ التَّجَاوُرِ وَالتَّرْكِيبِ :

الْابْتِدَاءُ : مُصطلحُ بداية العَمليّة الْكَلاميّة ، الَّذي يَرى الرَّضيُّ اسْتِحالتَه بوجود

---

(١) في الكتاب ٤/ ٤٣٤ ، أبو الحسن بن كيسان : ٢١٩ " حَرْفٌ لِأَنَّ مَخْرَجَهُ دُونَ الْمَجْهُورِ وَجَرَى مَعَهُ النَّفَسُ " الجمهرة : ١/ ٤٦ ، سر الفصاحة : ٢٠

(٢) ش ش ٣/ ٢٦٤ .

(٣) في العين : ١/ ٥٧ ، ٥٨ (للهاء والهمزة) ، التّهذيب : ١/ ٤٨ ، سر الصّناعة : ١/ ٧٤ ، الموضح / ٩٤ .

(٤) وقد ورد الاستعمال صحيحا في ش ش ٣/ ٢٦٤ بقوله : " وَمَعْنَى الْهَاوِي : ذُو الْهَوَاءِ "

(٥) ش ش ٣/ ٢٦١ .

(٦) في الكتاب : ٤/ ١٧٦ ، ٤٣٥ ، جهود الكوفيين في علم الاصوات : ٥٣ (الراء واللام وبه قال فريق من أهل التّجويد) .

السّاكن، قال الرضي : " ٱلْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ ٱلْابْتِدَاءَ بِٱلسَّاكِنِ مُتَعَذِّرٌ ... وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مُسْتَحِيلٌ، وَلَابُدَّ مِنْ ٱلْابْتِدَاءِ بِمُتَحَرِّكٍ "(١) .

ٱلْإِبْدَالُ: يبدو الرّضيّ موافقاً لابن الحاجب في حدّه للإبدال بأنّه " جَعْلُ حَرْفٍ مَكَانَ حَرْفٍ غَيْرِهِ "(٢)، لأنّه اكتفى به، وقال معلّقاً : " ٱلْإِبْدَالُ فِي ٱصْطِلَاحِهِمْ أَعَمُّ مِنْ قَلْبِ ٱلْهَمْزَةِ، وَمِنْ قَلْبِ ٱلْوَاوِ وَالْيَاءِ وَٱلْأَلِفِ "(٢) ، والإبدالُ في ظاهرة الإبدال عند الرّضيّ المقصود به ما لا يكونُ لأجل الإدغام ، ويستعمل الرّضيّ القلبَ بمعنى الإبدال، إذْ قالَ : " وَٱلْقَلْبُ ٱلَّذِي لِلْإِدْغَامِ لَيْسَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ "(٣)(٤)

ٱلْإِتْبَاعُ: مُصطلح المُماثلة الكُلّيّة بين الحركات، قال الرضي : " يَجُوزُ فِي نَحْوِ يَقِلُّ ـ بِكَسْرِ ٱلْقَافِ ـ أَنْ تَكْسِرَ ٱلْبَاءَ إِتْبَاعاً لِلْقَافِ، فَتَقُولَ : يِقِلُّ كَافِي مِنْخِرٍ وَمِنْتِنٍ، وَمِنْهُ فِي قِرَاءَةِ (أَمْ مَنْ لَا يِهِدِّي) بِكَسْرِ ٱلْيَاءِ وَٱلْهَاءِ(٥)، وقال أيضاً : " وَرُبَّمَا كُسِرَ مِيمُ مُفْعِلٍ إِتْبَاعاً لِلْعَيْنِ أَوْ يُضَمُّ عَيْنُهُ إِتْبَاعاً لِلْمِيمِ، قَالُوا فِي مُنْتِنٍ : مِنْتِنٍ وَمُنْتُنٍ "(٦) وقد تكرر هذا المصطلح كثيراً عند الرّضيّ، وأغلب مظاهره تفرّدت بها ٱللّهجاتُ المتداولة حتّى كاد يقتصرُ عليها (٧) .

أَحْوَالُ ٱلْأَبْنِيَةِ: قالَ الرّضيُّ (وهو يميّز الموضوعاتِ الصّرفيّة) : " وَإِنَّمَا يَدْخُلُ فِي أَحْوَالِ ٱلْأَبْنِيَةِ : ٱلْابْتِدَاءُ وَٱلْإِمَالَةُ وَتَخْفِيفُ ٱلْهَمْزَةِ وَٱلْإِعْلَالُ وَٱلْإِبْدَالُ وَٱلْحَذْفُ،

---

(١) ش ش ٢/ ٢٥١ .

(٢) ش ش ٣/ ١٩٧ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٢٧ .

(٤) الخليل عن (الدراسات اللغوية : ٤٠٨، الكتاب: ٣/ ٥٤١، والأشموني والصّبان : ٤/ ٢٧٩ : وَإِنَّمَا ٱلْمُرَادُ ٱلْبَدَلُ فِي غَيْرِ ٱلْإِدْغَامِ .

(٥) ش ش ٣/ ٢٨٥ . والآية (٣٥) من سورة يونس . والقراءة في المحتسب: ١/ ٣٢٥.

(٦) ش ك ٢/ ١٩٩ وينظر في الاتباع : ٣١٢ و ١٩٠، وش ش ٢/ ٢٣٨ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٧ .

(٧) في الكتاب : ١/ ٤٣٦، ٤/ ١٩٦، وفي الخصائص ٢/ ١٤٣ عبّر عنه بتقريب الصّوت من الصّوت، والأصوات : ٢/ ٧٣٧ .

وَبَعْضُ ٱلإدْغَامِ ، وَهُوَ إدْغَامُ بَعْضِ حُرُوفِ ٱلْكَلِمَةِ فِي بَعْضٍ ، ... وَكَذَا بَعْضُ ٱلْتِقَاءِ ٱلسَّاكِنَيْنِ ، وَهُوَ إذَا كَانَ السَّاكِنَانِ مِنْ كَلِمَةٍ كَمَا فِي قُلْ ، وَأَصْلُهُ قَوْلٌ (١) " ، حيثُ يستعمل الرّضيّ هذا المصطلحَ للدلالةِ على التّحولاتِ الصّوتيّةِ الّتي يرتبط وجودُها بالبِنْيَةِ الصّرفيّة (عاملٌ صرفيٌّ) ، ويمكنُ أنْ يكون هذا المصطلح مرادفاً جيّداً لما عُرف في الدّرس الحديث بأصطلاح التّغيير الصّرفيّ الصّوتيّ (٢) (Morphophonemic)

وقدْ تفرّد الرّضيّ بالدّلالة الاصطلاحيّة لهذا المصطلح الّذي أستعمله ابنُ الحاجب بشكلٍ عامٍّ لموضوعات الصّرفيّة كافةً .

أجْتِمَاعُ ٱلْمِثْلَيْنِ (ٱلْمُتَمَاثِلَيْنِ) وَٱلأَمْثَالِ : مصطلح التّجاور بينَ الأصواتِ المتماثلة معَ إهمالِ وجودِ الحركاتِ فاصلةً بينهما ، وفي المستوى الصّائتيّ يستعمله مشيراً إلى تشابهِ الجنسِ لا التّماثل التّام ، قالَ الرّضيُّ : " وَيُكْرَهُ أجْتِمَاعُ ٱلأَمْثَالِ ، لِزِيَادَةِ ٱلاسْتِثْقَالِ فِي قصيت وَتَقَضَّيَ " (٣) ، والأمثال هنا صحاحٌ ، وقد قُلِبَ الثّالثُ منها ياءً ، وقالَ أيضاً : " أجْتِمَاعُ ٱلْمُتَمَاثِلَيْنِ أعْني الْيَاءَ وَالْكَسْرَةَ سَبَبُ فَتْحِ : أيْنَ وَكَيْفَ " (٤) ، ويَنقلُ عن الْخَليل أنّه أسْتَكْرَهَ أجْتِماعَ المثلين في مَامَا ، فأصْبَحَتْ مَهْمَا (٥) ، وهُوَ مُسْتَقْبَحٌ لَفْظاً وَمَعْنًى (٦) (٧) .

ٱلإخْفَاءُ : وهُو أنْ لا يُمَكَّنَ النُّطق بالحرفِ تمكّناً كاملاً ، وهُوَ عند المثليْنِ كأنّه أدْغِمَ الخفيُّ ، وبذلك وصفَ الرّضيُّ ما يُنْسَبُ من إدغامٍ لأبي عَمْرو في نحوقولِه تعالى : (خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ) و (شَهْرُ رَمَضَانَ) ، وقالَ عَنْهُ : " لَيْسَ بِإدْغَامٍ حَقِيقِيٍّ بَلْ هُوَ إخْفَاءُ أَوَّلِ ٱلْمِثْلَيْنِ إخْفَاءً يُشْبِهُ ٱلإدْغَامَ (٨) " ، حيثُ يبدو أنَّ هذا الإخفاءَ درجةٌ بَيْنَ الخَفَاءِ التّامِ (في الإدغامِ) والتّبْيينِ ؛ وقال في تثنية الحيا أيْ حَيَيَانِ :

---

(١) ش ش ١ / ٥٠ .
(٢) ينظر : أُسسُ علمِ اللّغة : ١٠٦ ، وينظر: تمهيد الفصلِ الثّالث .
(٣) ش ش ٣ / ٢١٠ .
(٤) ش ش ٢ / ٢٤٧ .
(٥) ش ك ٢ / ٢٥٣ .
(٦) ش ك ٢ / ١٨ .
(٧) في الكتاب: ٣ / ١٩٥ يُعبّر عن الفكرة ولا يستعمل المصطلح ، وفي ٣ / ٢٦٥ (أجْتِمَاعُ ٱلنُّونَاتِ) ، الخصائص : ٢ / ١٣٩ ، ١٤١ .
(٨) ش ش ٣ / ٢٤٧ .

" جاز الإخفاء والتبيين ، والتبيين أولى ، لعدم الاستثقال ، ولا يجوز ها هنا الإدغام " (١) . وقد وصف به أيضاً ما ورد من إدغام بعض الحروف في بعض عن بعض القراء حين قرأ : (لبعض شأنهم ، واغفر لي ، ونخسف بهم) (*) ، فقال : " حذاق أهل الأداء على أن المراد بالإدغام في مثله الإخفاء ، وتعبيرهم عنه بلفظ الإدغام تجوز ، لأن الإخفاء قريب من الإدغام ، ولو كان ذلك إدغاماً ، لالتقى ساكنان لا على حدّه في نحو : لبعض شأنهم " (٢) .

وقد وصف به أيضاً النطق بالنون مع الأصوات غير الحلقية حين يقتصر فيها على الغنة فتحصل ما يعرف بالنون الخفية ، قال الرضي : " فإذا كانت ساكنة ، وبعدها غير حرف الحلق ، فهناك داعيان إلى إخفائها " (٣) ، هما السكون ، والحرف غير الحلقي ، وهذه الظاهرة ساهمت في إغناء مباحث أهل التجويد بشكل واضح (٤) (٥) .

الإدغام : قال الرضي : " ... والذي أرى : أنه ليس الإدغام الإتيان بحرفين ، بل هو الإتيان بحرف واحد مع اعتماد على مخرجه قوي ، سواء كان ذلك الحرف متحركاً نحو : يمدّ زيد ، أو ساكناً نحو : يمدّ وقفاً " (٦) ، وما يذكر من إدغام المتقاربين ، فالرضي لا يقبل به ، لأنه يرى : أنه لا يمكن إدغام المتقاربين إلا بعد جعلهما متماثلين ، لأن الإدغام إخراج الحرفين من مخرج واحد دفعة واحدة باعتماد تام ، ولا يمكن إخراج المتقاربين من مخرج واحد ، لأن لكل حرف مخرجاً على حدة (٧) ، فهو بالأحرى يقتضي تعديلاً للفهم المتبادر من إدغام المتقاربين (٨) .

(١) ش ش ٣/ ١١٦ .
(٢) ش ش ٣/ ٢٧٤ .
(٣) ش ش ٣/ ٢٧٢ وينظر منه ٣/ ٢٧١ ـ ٢٧٤ .
(٤) ينظر من مصادر البحث : كتب التجويد الموضوع الخاص بأحوال النون والتنوين
(٥) في الكتاب : ٤/ ٤٣٨ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ ، إدغام القراء : ٦٨ ، الكشف : ١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١ وعن منهاج التوفيق : ٣٣٥ : " المخفى شيئان : حرف وحركة ، فإخفاء الحرف نقصان صوته ، وإخفاء الحركة نقصان تمطيطها " وهو قول الداني في التحديد : ٦٩٨ ، وقال في كشف المشكل : (٢/ ٣٩١) : " والإخفاء لا يستهلك معه الحرف الخفي ، ولكن يغلب عليه الذي قابله في النطق من غير إدغام " وفي مرتبة هذا الإخفاء ، قال القرطبي في الموضح : ١٥٧ : " منزلة بين الإظهار والتشديد " .
(٦) (٧) ش ش ٣/ ٢٣٥ .
(٨) يقول شاده : " أهم المدارك التي وصل إليها علم الأصوات العصري في هذا ===

(*) الآيات : النور : ٦٢ ، وإبراهيم - ٤١ ، وسبأ - ٩ (على الترتيب) .
وهي قراءة مشهور للبزي (ت ٢٥٠هـ) ينظر : طبقات القراء : ١/ ١١٩ .

الْاِزْدِوَاجُ : أنْ تنتهي القاطع والفواصل (أي نهايات السلاسل الصوتية) في السياق الواحد بجنس واحدٍ من الأصواتِ ، قالَ الرّضيّ : " الْحَذْفُ في الْفَواصِلِ وَالْقَوافِيِّ لَيْسَ بِنادِرٍ طَلَباً لِلْاِزْدِواجِ "(١) ، وقال أيضاً : " فَإذا وَقَعَ الْواوُ وَالْياءُ الْمَذْكُورانِ فِي الْفَواصِلِ وَصْلاً جازَ حَذْفُهُما ، وَالْاِجْتِزاءُ بِحَرَكَةِ ما قَبْلَهُما كَقَوْلِهِ تَعالى : (وَاللَّيْلِ إذا يَسْرِ) ، وَذَلِكَ لِمُراعاةِ التَّجانُسِ وَالْاِزْدِواجِ . . . ، وَكَذا فِي الْقَوافِيِّ يُحْذَفُ فِيهَا كَثِيراً مِثْلُ ذَلِكَ لِلْاِزْدِواجِ لا لِلْوَقْفِ "(٢) .

ويظهرُ أنَّ تقصير الصوائت هو وسيلةُ هذا الازدواجِ الذي عبَّر عنه بالحذف (٣) .

الْاِسْتِثْقالُ (الثِّقَلُ) : قالَ الرَّضِيُّ : " إعْلَمْ أنَّهُمْ يَسْتَثْقِلُونَ التَّضْعِيفَ غايَةَ الْاِسْتِثْقالِ إذْ عَلَى اللِّسانِ كُلْفَةٌ شَدِيدَةٌ في الرُّجُوعِ إلَى الْمَخْرَجِ بَعْدَ انْتِقالِهِ عَنْهُ "(٤) ، وقالَ (في السين وقبلها صوتٌ مستعلٍ) : " وَلا يَثْقُلُ ذَلِكَ ثِقَلَ التَّصَعُّدِ مِنْ مُنْخَفِضٍ "(٥) ، حَيْثُ الاستثقالُ والثقل نطقيّان(٦) .

=== الْبابِ قاعِدَةٌ وُفِّقَ الى إثْباتِها مُنْذُ خَمْسِينَ عاماً إسْوَسْرِيٌّ يُدْعَى (ثُنْتَلَر) ، وَمَآلُها أنَّ النّاطِقَ بِحَرْفَيْنِ مُتَواليَيْنِ يَقْتَضِيانِ حَرَكَةً مُشْتَرَكَةً بَيْنَهُما مِنْ حَرَكاتِ آلاتِ النُّطْقِ لا يَجِيءُ بِهَذِهِ الْحَرَكَةِ إلّا مَرَّةً واحِدَةً " عن (علم الأصوات عند سيبويه وعندنا : ١٥) وقد استفاد منه في التعريفات : (١٦) فقال عن الادغام : " وَقِيلَ : هُوَ إلْباثُ الْحَرْفِ فِي مَخْرَجِهِ مِقْدارَ إلْباثِ حَرْفَيْنِ نَحْوَ امَّ وَعَدَّ " .

(١) ش ك ١/ ١٤٨ .
(٢) ش ش ٢/ ٣٠٢ . و الآية (٤) / الفجر .
(٣) من مصطلحات البلاغيين ، الصناعتين : ٢٦ ، سر الفصاحة : ١٦٣ .
(٤) ش ش ٣/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .
(٥) ش ش ٣/ ٢٣٠ .
(٦) في الكتاب : ٤/ ٤١٧ ، الخصائص : ٣/ ١٨ .

الإشـــراب : يستعمله الرّضيّ فيما يبدو بوصفه ظاهرةً تحدُث بأنْ يكتسب أحد الأصوات صفةً صوتيّةً أو اكثرَ تقرّبهُ من نطق صوتٍ آخرَ ، وقد وجدتُ بفعل هذه الظّاهرة مجموعةُ المتفرعات ، قالَ الرّضيّ : " يعْني بالمتفرّعِ حَرْفاً يتفرّعُ عَنْ هذهِ الحُروفِ المذْكورةِ ، قيل بإشرابِها صَوْتاً مِنْ غيْرِها " (١) إذ نَ فبعضُ مظاهره هنا مِمّا يُعرفُ عند المحدثين بالمماثلة الجزئيّة ، كما في الصّاد كالزاي في يَصْدُقُ صَدَقَ وأيضا " إشْرَاب الْجِيمِ وَالشِّينِ الْمُعْجَمَتَيْنِ الْوَاقِعَتَيْنِ قَبْلَ الدَّالِ صَوْتَ الزَّايِ " (٢) ، في أَشْدَقَ وأَجْدَرَ - وهو يرادفُ المُضارعة وهو سبيل التّجانُس والتناسب (أحد مصطلحات المُضارعة والتّجانس والتّناسب) (٣) .

الاشمـــام : يَرِدُ هذا المُصطلح عند الرّضيّ في دلالتين : الأُولى ، خاصّةً بالوقف وهي : " تَصْوِيرُ الضَّمِ عِنْدَ حَذْفِ الْحَرَكَةِ بِالصُّورَةِ الَّتِي تَعْرِضُ عِنْدَ التَّلَفُّظِ بِتِلْكَ الْحَرَكَةِ بِلَا حَرَكَةٍ ظَاهِرَةٍ وَلَا خَفِيَّةٍ " (٤) ، وهو مقتصرٌ على الحركات ، وبالأخصّ (الضّمّ والرّفع) أمّا الثّانية فقد عبّر عنها بقوله : " .... لِأَنَّ الْإِشْمَامَ هٰهُنَا حَرَكَةٌ بَيْنَ حَرَكَتَيِ الضَّمِّ وَالْكَسْرِ بَعْدَهَا حَرْفٌ بَيْنَ الْوَاوِ وَالْيَاءِ " (٥) ، فالإشمامُ هنا يعبّر عن متفرع صائت ، وقد قال في المتفرّعة : " وَمِنْهَا أَيْضًا الْيَاءُ كَالْوَاوِ فِي قِيلَ وَبِيعَ - بِالْإِشْمَامِ " (٦) فهذا متفرع آخر صائت طويل ، وهو هنا أشبه ما يكون بظاهرة الإشراب ، ويقول أيضاً " إِذَا تَحَرَّكَتْ الصَّادُ ، وَبَعْدَهَا دَالٌ أُشِمَّ الصَّادُ صَوْتَ الزَّايِ " (٧) ، والاشمام هنا جاء على موضوع المُضارعة ، وعلى ما تقدّم ، فإنّ الإشمام والاشراب والمُضارعة ، ويتّصل بهما التّجانسُ والتّناسبُ تدوركلها في حلقة المماثلة الجزئية مع اختلاف الاعتبارات وخاصّة في التّجانسِ والتّناسب (٨) .

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥٤ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٣٣

(٣) قال سيبويه (الكتاب : ٤ / ١٧٤) بخروج صوتٍ مع الحروف عند الوقف (الحروف المشربة) وأوّلُ من استعملَهُ بهذا المعنى مكي في الرعاية (١٣٠) الموضح : ١١٨ .

(٤) ش ش ٢ / ٢٧٥

(٥) ش ش ٢ / ٢٧٠ ، وينظر المصطلح ش ش ٢ / ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٦) ش ش ٣ / ٢٥٧

(٧) ش ش ٣ / ٢٣٢ .

(٨) على ما يبدو ، فإنّ ابنَ مجاهدٍ أوّلُ من استعملَ الدلالة الثانية ، السبعة : ١٠٥ ، ١٠٦ ، سر الصناعة ١ / ٥٧ ، اما الاولى فينظر : الكتاب ٤ / ١٧١ .

الإظهار: مقابل الإدغام، قال الرضيّ: "فإن كان المثلان في أوّله، فإمّا أن يكون ماضيًا كتترّس وتتارك، أو مضارعًا كتتنزّل وتتثاقل، فالأولى في الماضي الإظهار، ويجوز الإدغام، مع اجتلاب همزة الوصل في الابتداء... وإن كان المثلان في وسط ذي الزيادة، فلك الإظهار والإدغام نحو: اقتتل وقتّل"(١) إذن فالإظهار إخراج الحرفين مستقلّين عند النطق(٢).

الاعتدال: وهو مصطلح التناسب الصوتيّ بين طرفي الكلمة، قال الرضيّ في إعلال الناقص على (فعلى): "والواوىّ لا تقلب واوه ياءً، لا في الاسم كالدعوى والفتوى، ولا في الصفة نحو: شهوى مؤنث شهوان لاعتدال أوّل الكلمة وآخرها بالفتحة والواو، فلو قلبت ياءً لصار طرفا الكلمة خفيفين، وأمّا اليائيّ منه فقصد فيه التعديل أوّلًا، فعدّل الاسم الذي هو أسبق من الصفة بقلب يائه واوًا..."(٣) وكذلك لم تعلّ فعلى لحصول الاعتدال بالضمة في أوّلها، وبالياء في آخرها"(٤) وفي (فعلى) أيضًا، فالكسرة في الثقل بين الضمة والفتحة، فيحصل الاعتدال مع الياء أو الواو، فلا يعلّ(٥). وفي نحو حمراوان لم تقلب الهمزة ياءً في الأغلب طلبًا للاعتدال؛ لأنّ الياء قريبة من الألف، فكان إيقاع الياء بين الألفين جمعًا بين ثلاث ألفات، فاستثقل من توالي الأمثال..."(٦). والمصطلح كما يبدو قائم على علاقة واضحة بين البنية والصوت وفي كلّ هذا، فهو يقتصر على الصوائت، ولم أقف على من سبقه الى هذا المصطلح.

---

(١) ش ش ٣/ ٢٤٠.

(٢) التهذيب: ١/ ١، بمعنى النطق بالحرف، وبالدلالة أعلاه في الكتاب ٤/ ٤٤٥، الكشف: ١/ ١٣٤، شرح المفصل: ١٠/ ١٢٢، المقرب: ٣٦٨.

(٣) ش ش ٣/ ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٤) ش ش ٣/ ١٧٨.

(٥) ش ش ٣/ ١٧٩.

(٦) ش ش ٣/ ٦٠.

الإعلال : قال الرضيّ : "إعلم أنّ لفظ الإعلال في اصطلاحهم مختصّ بتغيير حرف العلّة : أي الألف والواو والياء ، بالقلب أو الحذف ، أو الإسكان ؛ ولا يقال لتغيير الهمزة بأحد الثلاثة إعلال" (١) ؛ ومع استعمال الرضيّ المصطلح على ما هو عند علماء العربيّة ، فقد استعمله في غيره مستفيداً من دلالته على مطلق التغيير ، حيث قال في (الأمّ) : "تُقلب ألفاً ، وتُدغم العين ، وهما إعلالان" (٢) ؛ لأنّها من أوم أو أيم على أفعل . كذلك وصف حذف التاء به فقال : "وأمّا نحو قمْ وشِمْ فليس فيهما إلّا إعلال واحد ؛ لأنّه مأخوذ من تقي وتشي" (٢) (٣) .

التقاء الساكنين : وهو تتابع ساكنين عند النطق (بحسب مصطلح الساكن) وهذا الالتقاء بحسب تصوّره يتمّ على شكلين هما : (٤)

١ـ صحيح ساكن + صحيح ساكن ٢ـ لين ساكن + صحيح ساكن . وفي اللين الساكن يَرِدُ المدّ وشبه المدّ ؛ لأنّ الرضيّ يعامل شبه المدّ في هذه الظاهرة التي تشكّل صميم البنية المقطعيّة للعربيّة ، ويرى الرضي أنّ التتابع يتحقق في الشكل الثاني بشرطين ، ولا يتحقّق أبداً في الشكل الأول (٥) .

التقاء المثلين : قال الرضيّ في الثقل : "لثقل البناءين ، وثقل التقاء المثلين" (وهو كما في الاستثقال واجتماع المثلين) .

الإمالة : قال الرضيّ : "وإنّما تسمّى إمالة إذا بالغت في إمالة الفتحة نحو الكسرة" (٦) وقال أيضاً : "وهذا العمل شبيه بالإمالة في تقريب

---

(١) ش ش ٣/ ٦٦ـ ٦٧ .
(٢) ش ش ٣/ ٩٤ .
(٣) ينظر: حاشية مصطلح (العلّة) واعراب القرآن المنسوب: ١/ ٢٤٥ .
(٤) ينظر (مقدمة التقاء الساكنين في ش ش ٢/ ٢١٠ ومابعدها .
(٥) في الكتاب ٣/ ٥٣٢ الخصائص ٢/ ٤٩٣، القرب ٣٦٩ .
(٦) ش ش ٣/ ٤ .

الصَّوْتِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ " (١) ، حَيْثُ يُنْحَى بالفَتْحة نحوَ الْكسرةِ أى: إلى جانبِ الْكَسْرة (*) ، وتُعَدُّ الْإِمَالةُ على وجهِ العمومِ مظهراً من مظاهرِ الْمُماثلةِ الْجُزئيّة بين الصَّوائتِ، وذلك لأنّ بعضَ مظاهرِها تُعَدُّ من ضمن المُماثلة الكلّيّة، وأخرى من العادات النّطقيّة لمن الإمالةُ في لُغتِه، وذلك فيما كانتْ فيه إمالةٌ فاصلةٌ لفاصلةٍ مُمالةٍ، أو لمناسبةِ إمالةٍ سابقةٍ . أمّا ما كان من الْعادات النُّطقيّة فهو إشارة الرّضيّ لبعضِ الإمالة الّتي يُنبّهُ فيها على أصلِ الْألفِ الْمُمالة (٢) (٣) .

الْبَيَانُ : يقابلُ الرّضيّ بهذا المصطلحِ حالةَ الإدغامِ الّذي يعني به المحافظة على استقلاليّة الْحرفِ، عكس ما يحصلُ عِنْد الإدغام ، وقد أكثرَ في هذا المصطلح الاعتمادَ على مقولاتِ سيبويه في تقويمه الإدغامَ في حروفِ الْحلق، وما جاورَها من أقصى اللّسان، من ذلكَ قولُ الرّضيّ عن إدغامِ الغَيْن في الخَاء : " قَالَ سِيبَوَيْهِ : الْبَيَانُ أَحْسَنُ، وَالْإِدْغَامُ حَسَنٌ " (٤) ، وقالَ الرّضيّ في إدغامِ الْهاء في الحاء نحو إجْبَهْ حَاتِماً : " وَالْبَيَانُ أَحْسَنُ " (٤) ، كما أنّ الرّضيّ قد يعبّرُ به عمّا يقابلُ أيّ تغيير قد يطرأُ على الصّوتِ، حيثُ قال : " وَيَعْنِي بِالْبَيَانِ الْإِتْيَانَ بِالصَّادِ وَالسِّينِ صَرِيحَيْنِ بِلَا قَلْبٍ وَلَا إِشْرَابِ صَوْتٍ " (٥) (٦) .

بَيْنَ بَيْنَ الْمَشْهُورِ : نُطْقٌ خاصٌّ بالهمزةِ المتحرّكة عنْد التّخفيفِ ويدور لُبّيّ وجهه: أنْ تُنطق الْهمزة بعد الْألف خالصة بينها وبين حرفِ حركتها ، لامتناع سائر وجوه التّخفيف الْأخرى، قال الرّضيّ : " وَإِنْ كَانَتْ الْهَمْزَةُ بَعْدَ الْأَلِفِ وَقَصَدْتَ التَّخْفِيفَ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا جَعْلُهُ بَيْنَ بَيْنَ الْمَشْهُورِ، لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَرِيبًا مِنَ السَّاكِنِ إِلَّا أَنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ

---

(١) ش ش ٣/ ٢٣٠ (وينظر مصطلح التجانس) .

(٢) ينظر ش ش ٣/ ٥ .

(٣) الكتاب ٣/ ٢٧٨ (الخليل يسمّاها الإجْنَاحَ) ، شرح المفصل ١٠/ ٥٢، قال في مفتاح العلوم : ١٧٣ : " الْإِمَالَةُ ، وَهِيَ أَنْ تَكْسِيَ الْفَتْحَةَ كَسْرَةً فَتَخْرُجَ بَيْنَ بَيْنَ . " الحدود النحوية : ١٤٧ " وَذَلِكَ أَنْ تَشْرَبَ الْفَتْحَةَ شَيْئاً مِنْ صَوْتِ الْكَسْرَةِ، فَتَصِيرَ الْفَتْحَةُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْكَسْرَةِ " .

(٤) ش ش ٣/ ٢٧٦ .

(٥) ش ش ٣/ ٢٣٣

(٦) الكتاب: ٤/ ٤٥١ ، ٤٤٥ ـ ٤٥٢، إعراب القرآن المنسوب: ١/

(*) ش ش ٣/ ٤ .

حَالٍ مُتَحَرِّكٌ ، وَهٰذَا أَمْرٌ مُضْطَرٌّ إِلَيْهِ عِنْدَ قَصْدِ ٱلتَّخْفِيفِ بِٱلْإِسْكَانِ وَسَائِرِ أَبْوَابِ وُجُوهِ ٱلتَّخْفِيفِ "(١) (فهو على باقي التسهيل) . ويبدو أنّه أوّلُ مَنْ ٱصطلح عليه هكذا (٢) .

بَيْنَ بَيْنَ ٱلْبَعِيدُ : أَنْ تُنْطَقَ الهمزةُ المتحرِّكةُ على ما أرى بَيْنَهَا وبَيْنَ حرفِ حَرَكَةِ ماقبلَها ، يقول الرَّضِيّ : " وَكَذَا ٱلْمَجْهُولَةُ بَيْنَ بَيْنَ ٱلْبَعِيدُ تُدَبَّرُ بِحَرَكَةِ مَاقَبْلَهَا "(٣) وقالَ أيضاً " لَمْ يَكُنْ بَيْنَ بَيْنَ ٱلْبَعِيدُ ، إِذْ لَا حَرَكَةَ لِمَا قَبْلَهَا "(٤) ، وذٰلك في سببِ نُطقِ بَيْنَ بينَ المَشْهُورِ، ويبدو أنّه أوّل من ٱصطلحَ عليه هكذا (٥) .

بَيْنَ ٱللَّفْظَيْنِ : قالَ الرَّضِيُّ في ٱلْإِمَالَةِ : " وَمَالَمْ تُبَالِغْ فِيهِ (يعني: ما لم تبالغ فيه إمالةَ الفتحةِ نحوَ الكسرةِ) يُسَمَّى بَيْنَ ٱللَّفْظَيْنِ "(٦) (٧) .

ٱلتَّبْيِينُ : يُرادِفُ به الإظهار ، إذْ هو نطقُ المثلين مستقلَّين دُونَ إدغامٍ أوإخفاءٍ قال في حَيَّانَ : " جَازَ ٱلْإِخْفَاءُ وَٱلتَّبْيِينُ ، وَٱلتَّبْيِينُ أَوْلَى ، لِعَدَمِ ٱلْاسْتِثْقَالِ وَلَا يَجُوزُهَا هُنَا ٱلْإِدْغَامُ "(٨) ، ولم أقفْ على مَن سَبَقه .

تَجَانُسُ ٱلصَّوْتِ : هو مايحدثُ بين الأصواتِ المُتجاورة مِنْ مَيلٍ إلى التَّشابُهِ في صفاتِها الصَّوْتيَّة ، قالَ الرَّضِيُّ (في إبْدالِ سينٍ يَسْدُلُ زايًا) : " فَقَرَّبُوا

---

(١) ش ش ٣/ ٣٩ ـ ٤٠ وينظر ٣/ ٤٣ .
(٢) وينظر شرح المراح : ١٧٧ ، والتّعريفات : ٣٣ .
(٣) ش ش ٣/ ٣١ .
(٤) ش ش ٣/ ٤٠
(٥) ينظر شرح المراح : ١٧٧ .
(٦) ش ش ٣/ ٤
(٧) يبدو أنّ المصطلح من إبداعات أهل التّجويد ، ينظر التحديد : ١٠٣ : "وَهِيَ تَسْمِيَةُ ٱلْقُرَّاءِ" ومنهاج ٱلتّوفيق : ٣٣٨ .
(٨) ش ش ٣/ ١١٦ .

السِّينَ مِنَ الدَّالِ ، بِأَنْ قَلَبُوهَا زَايًا ؛ لِأَنَّ الزَّايَ مِنْ مَخْرَجِ السِّينِ وَمِثْلُهَا فِي الصَّفِيرِ ، وَتُوَافِقُ الدَّالَ فِي الْجَهْرِ ؛ فَيَتَجَانَسُ الصَّوْتَانِ " (١) ، وَقَالَ أَيْضًا فِي إِبْدَالِ السِّينِ صَادًا قَبْلَ الْأَصْوَاتِ الْمُسْتَعْلِيَةِ : " فَأَبْدَلُوا مِنَ السِّينِ صَادًا ، لِأَنَّهَا تُوَافِقُ السِّينَ فِي الْهَمْسِ وَالصَّفِيرِ ، وَتُوَافِقُ هٰذِهِ الْحُرُوفَ فِي الْاِسْتِعْلَاءِ ، فَتَجَانَسَ الصَّوْتُ بَعْدَ الْقَلْبِ " (٢) ، وَيَصِفُ هٰذَا الْعَمَلَ بِقَوْلِهِ : " وَهٰذَا الْعَمَلُ شَبِيهٌ بِالْإِمَالَةِ فِي تَقْرِيبِ الصَّوْتِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ " (١٠) ، وَذٰلِكَ يَجْعَلُ التَّجَانُسَ مَظْهَرًا وَاضِحًا مِنْ مَظَاهِرِ الْمُمَاثَلَةِ الْجُزْئِيَّةِ . (٣)

التَّخْفِيفُ : يَرَى الرَّضِيُّ أَنَّ التَّخْفِيفَ هُوَ الْهَدَفُ مِنْ مَجْمُوعِ التَّحَوُّلَاتِ الصَّوْتِيَّةِ جَمِيعًا ، بَلْ الْأَسَاسُ فِي أَيَّةِ عَمَلِيَّةٍ لُغَوِيَّةٍ . وَعَلَى هٰذَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ التَّخْفِيفُ أَحَدَ الْقَوَانِينِ الَّتِي تُرَاعَى فِي التَّطَوُّرَاتِ الصَّوْتِيَّةِ مِنْ نَحْوِ : الْإِعْلَالِ ، وَتَخْفِيفِ الْهَمْزَةِ ، وَبَعْضِ مَظَاهِرِ الْإِبْدَالِ ، وَكَذٰلِكَ يَكُونُ فِي الْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ ، وَلَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ تَكُونَ الْحَالَةُ السَّابِقَةُ لِلتَّخْفِيفِ مُسْتَثْقَلَةً ؛ وَمِنَ التَّخْفِيفِ مَا ذَكَرَهُ قَائِلًا : " وَذٰلِكَ لِأَنَّ الْهَمْزَةَ حَرْفٌ مُسْتَثْقَلٌ ، فَطُلِبَ التَّخْفِيفُ مَعَهَا أَكْثَرُ بِتَعْدِيلِ الصَّوْتِ فِي مَجْمُوعِ الْكَلِمَةِ " (٤) ، وَقَالَ فِيهِ : " التَّخْفِيفُ بِالْآخِرِ أَوْلَى " (٥) ، وَقَالَ أَيْضًا " الظَّرْفُ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ التَّخْفِيفِ " (٦) وَهُوَ سَبَبُ الْإِعْلَالِ . (٧) (٨)

---

(١) ش ش ٣/ ٢٣١ .

(٢) ش ش ٣/ ٢٣٠ .

(٣) يَسْتَعْمِلُ الزَّمَخْشَرِيُّ مُصْطَلَحَ الْتِجَانُسِ بِمَعْنَى الْتِمَاثُلِ ، الْمُفَصَّل : ٢٩٣ ، وَشَرْحُ الْمُفَصَّلِ : ١٠/ ١٢١ ، ٥٢٦ ، شَرْحُ الْجَارْبَرْدِي وَحَاشِيَةُ ابْنِ جَمَاعَةَ : ١/ ٢٣٥ .

(٤) ش ش ٣/ ١٣ .

(٥) ش ش ٣/ ٩٥

(٦) ش ش ٣/ ٨٦ .

(٧) يُنْظَرُ ش ش ٣/ ٦٧ .

(٨) الْكِتَابُ ٤/ ٤٨١ ، ١١٣ .

تَخْفِيفُ الْهَمْزَةِ : وهو مصطلحٌ لسُلوكِ العربيّة الحِجازيّة في التّخلّص من الْهَمْزة حيث يشملُ إبْدالَها والحذفَ وبَيْنَ بَيْنَ (١) ، وزادَ الرّضيُّ عليه مظهراً آخرَ في غيرِ هذا الموضع وهو التّخفيف بالقلب ، قالَ الرّضيُّ : " فيُقَالُ فِي يَسْأَلُونَ : يَأْسَلُونَ ، لِأَنَّ تَخْفِيفَهَا إِذَنْ بِالْقَلْبِ لَا بِالْحَذْفِ (٢) " ، وهذا التّخفيفُ في نظرِ العربيّة الْفصحى موضعَ استحسانٍ ، قالَ الرّضيُّ : " وَالتَّخْفِيفُ اسْتِحْسَانٌ " (٣) و جَعَلَها أُولى المتفرعاتِ ومن المستحسن في قراءة القُرآنِ والأشعار " (٤) (٥) .

التَّرْقِيقُ : وهو أحدُ مظاهرِ الإمالة ، قال الرّضيُّ : " التَّرْقِيقُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْفَتْحَةِ قَبْلَ الْأَلِفِ فَقَطْ " (٦) ، حيثُ يُنحَى بها نحو الكسرة . وهو هنا ليس مقابلاً لصفة التّفخيم (٧) .

التَّسْهِيلُ : قالَ الرّضيُّ : " وَمَعْنَى التَّسْهِيلِ أَنْ تَأْتِيَ بِهَا (يعني : الْهَمْزَةَ) بَيْنَ الْهَمْزَةِ وَبَيْنَ حَرْفِ حَرَكَتِهَا ، وَتَجْعَلَ الْحَرَكَةَ عَلَيْهَا مُخْتَلَسَةً سَهْلَةً بِحَيْثُ تَكُونُ كَالسَّاكِنَةِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْهَا " (٨) (٩) .

التَّضْعِيفُ : وهو تكرارُ الْحرف بمجيئه بعدَ مماثله سواءٌ على مستوى الْبِنْية الصّرفيّة ، أوْ مستوى النُّطقِ بها (الْمستوى الصّوتي) ، وسواءٌ أكانَ الصّوتانِ مدغمَيْنِ أمْ غيرَ مدغمَيْنِ ، فإنّه يُطلَق عليها هذا المصطلح ، فمنه قَوْلُ الرّضيِّ : " وَكَانَ حَقُّ الْحَاءِ أَنْ تَكُونَ أَقَلَّ فِي بَابِ التَّضْعِيفِ مِنَ الْغَيْنِ وَالْخَاءِ ، لِأَنَّهُ أَنْزَلُ مِنْهُمَا فِي الْحَلْقِ لَكِنَّهُ إِنَّمَا كَثُرَ نَحْوَ بَحَّ ، وَزَحَّ ، وَصَحَّ ، وَفَحَّ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ لِكَوْنِهِ مَهْمُوسًا رَخْوًا " (١٠) ، وقالَ أيضاً

---

(١) ش ش ٣/ ٣٠ ومابعدها .
(٢) ش ش ٣/ ٣٩ .
(٣) ش ش ٣/ ٣٢ .
(٤) ش ش ٣/ ٢٥٤ .
(٥) في الكتاب : ٣/ ٥٤١ ، الشافية : ٢٤١ ، الايضاح : ٢/ ٣٣٣ ، مفتاح العلوم : ١٧٤ .
(٦) ش ش ٣/ ٤
(٧) لم اعثر على من أطلق هذه التسمية ، ولعلّه أفاد من إطلاقهم التّفخيم على الفتح ، شرح المفصل : ٩/ ٥٤
(٨) ش ش ٣/ ٤٥ .
(٩) ينظر التّحديد : ٩٩ ، منهاج التّوفيق : ٣٣٦
(١٠) ش ش ٣/ ٢٧٥ .

"اعْلَمْ أَنَّهُمْ يَسْتَثْقِلُونَ التَّضْعِيفَ غَايَةَ الِاسْتِثْقَالِ، إِذْ عَلَى اللِّسَانِ كُلْفَةٌ شَدِيدَةٌ فِي الرُّجُوعِ إِلَى الْمَخْرَجِ بَعْدَ انْتِقَالِهِ عَنْهُ، وَلِهَذَا الثِّقَلِ لَمْ يَصُوغُوا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ رُبَاعِيًّا أَوْ خُمَاسِيًّا فِيهِ حَرْفَانِ أَصْلِيَّانِ مِثْلَانِ، لِثِقَلِ الْبِنَاءَيْنِ، وَثِقَلِ الْمِثْلَيْنِ" (١) وَذَلِكَ فِي نَحْوِ دَدَنَ وَبَرَ، وَيَدُو. وَالتَّضْعِيفُ أَكْثَرُ تَعْبِيرًا عَنِ الْحَالَةِ قَبْلَ الإِدْغَامِ، وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "بَلْ إِنَّمَا ضَعَّفُوا حَيْثُ يُمْكِنُهُمُ الإِدْغَامُ؛ وَذَلِكَ بِتَمَاثُلِ الْعَيْنِ وَاللَّامِ، إِذِ الْفَاءُ لَوْ أُدْغِمَ فِي الْعَيْنِ وَجَبَ إِسْكَانُهُ، وَلَا يُبْتَدَأُ بِالسَّاكِنِ" (٢) (٣).

تَقْرِيبُ الصَّوْتِ: وَهُوَ المماثلة بشكلها العام والجزئيّة على وجه الخصوص؛ إِذْ قَالَ (مُشَبِّهًا عملَ تَجَانُسِ الصَّوْتِ بالإمالة): "وَهَذَا الْعَمَلُ شَبِيهٌ بِالْإِمَالَةِ فِي تَقْرِيبِ الصَّوْتِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ" (٤)، فهو (٥) بتعبيرٍ دقيقِ الِانْسِجَامُ الصَّوتيُّ.

تَنَاسُبُ الأَصْوَاتِ: وجودُ علاقةٍ صوتيّة سواءٌ في المخرج، أَمْ في الصِّفة في عمليّة تجانس الصّوت بين الصّوتين المتجاورَيْنِ مَعَ الصَّوتِ المختارِ، لِأَنْ يكونَ بديلاً لِأَحدِهما، فهذه العلاقةُ بينَ هذه الأصواتِ الثّلاثة هي (التَّناسُبُ)، قالَ الرَّضيُّ في بَدْءِ (بابْدالِ الصّادِ زايًا): "فَتَنَاسُبُ الْأَصْوَاتِ، لِأَنَّ الزَّايَ مِنْ مَخْرَجِ الصَّادِ، وَأُخْتُهَا فِي الصَّفِيرِ، وَهِيَ تُنَاسِبُ الدَّالَ فِي الْجَهْرِ، وَعَدَمِ الْإِطْبَاقِ" (٦) (٧).

تَنَافُرٌ: يُشيرُ الرَّضيُّ بهذا المصطلح إلى تَبايُنٍ في صِفاتِ صَوتيْنِ مُتجاوِرَيْنِ، وذلك مما يَتَكَلَّفُ اللِّسانُ في إخراجِهما، فيتمُّ لأَجْلِ هذا التَّخلُّصِ من هذا التَّنافُرِ بقلبِ أحدِهما الى صوتٍ يُناسبُ الآخرَ، قالَ الرَّضيُّ (في أحوالِ النُّون): (ثُمَّ

---

(١) ش ش ٣/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩.
(٢) ش ش ٣/ ٢٣٩.
(٣) في الكتاب: ٤/ ٤١٧ و ٣/ ٥٢٩ ـ ٥٣٠، شرح المفصل: ١٠/ ٥٥: "ومَعْنَى التَّضعيفِ أَنْ يَتَجاوَرَ الْمِثْلَانِ".
(٤) ش ش ٣/ ٢٣١.
(٥) في الكتاب ٤/ ١١٧، الخصائص: ٢/ ٤٣، ٣/ ٦٦، التصريف الملوكي: ٩٣
(٦) ش ش ٣/ ٢٣١ ـ ٢٣٢.
(٧) ينظر شرح المفصل: ٩/ ٥٥، وتناسب الكلام في: سر الفصاحة: ١٧٧، ١٨٣.
وينظر المماثلة التناسبية في الفصل الثاني والثالث: ١٠٤ و ١٦١.

بعدَ ذَلِك (يعني بعدَ الإخفاءِ) إِنْ تَنَافَرَتْ هِيَ وَٱلْحَرْفُ ٱلَّذِي يَجِيءُ بَعْدَهَا، وَهِيَ ٱلْمِيمُ . . . " (١). ولم أجِدْ من ٱستعملَه غيرَه .

ٱلْحَذْفُ ٱلْإِعْلَالِيُّ : وهوسقوطُ الصَّائتِ لعلّةٍ ، قالَ الرَّضِيُّ : " يَعْنِي بِٱلْحَذْفِ ٱلْإِعْلَالِيِّ: مَاحُذِفَ مُطَّرِدًا لِعِلَّةٍ ، كَعَصًا وَقَاضٍ ". (٢) وهو ٱصْطِلاحُ ٱلْعلماءِ قبلَه حيثُ قَالَ: " وَقَدْ ٱشْتَهَرَ فِي ٱصْطِلَاحِهِمْ ٱلْحَذْفُ ٱلْإِعْلَالِيُّ لِلْحَذْفِ ٱلَّذِي يَكُونُ لِعِلَّةٍ مُوجِبَةٍ عَلَى سَبِيلِ ٱلْإِطِّرَادِ كَحَذْفِ أَلِفِ عَصًا، وَيَاءِ قَاضٍ " (٣) (٥) .

حَذْفُ ٱلْإِعْتِبَاطِ : (يُرادُ فيهِ مصطلحُ الحذفِ التَّرخيميِّ) وهوَ ٱلْحذفُ بِلا علّةٍ في نحوِ يَدٍ ودَمٍ يَقولونَ عنه: "حذفُ ٱلْإِعْتِبَاطِ " (٤) (٥) .

ٱلْحَذْفُ ٱلتَّرْخِيمِيُّ : قالَ الرَّضِيُّ في الحذفِ في نحوِ يدٍ ودمٍ " . . . وَٱلتَّرْخِيمِيُّ مَاحُذِفَ غَيْرَ مُطَّرِدٍ كَمَا فِي يَدٍ وَدَمٍ " (٦) ، وهوٱصْطِلاحُ العلماءِ المشهورُ عنهم ، وقالَ أيضًا : "وَيَقُولُونَ لِهٰذَا أَيْضًا حَذْفٌ بِلَا عِلَّةٍ وَحَذْفُ ٱلْإِعْتِبَاطِ " (٤) ، ومنه أيضًا " حَذْفُ ٱلْعَيْنِ فِي سَهٍ وَمُذْ " (٧) (٨) .

ٱلْحَذْفُ نَسْيًا : من تتبعي لورود هذا المصطلحِ تبيّنَ لي:أنّ الرّضيّ يقصدُ بِه مايَعنيه من ٱلْحذفِ بلا علّةٍ أوْ الحذفِ التّرخيميّ والاعتباطيّ،فمثلاً في (فَم) سقطتْ لَامُهُ نَسْيًا (٩) ،وفي تصغيرِ عَطَاءٍ أيْ : عُطَيٌّ فإنّ سقوطَ ٱلْيَاءِ الثّالثةِ كانَ نَسْيًا (١٠) وفي ٱلاسماءِ الْعَشرة الّتي تردُ فيها ٱلْهمزةُ وصلاً حيثُ لَامُها قدْ حُذِفَتْ نَسْيًا (١١) (٥) .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣، وينظر: ٣/ ٢١٦

(٢) ش ش ٣/ ٢٩٢

(٣) ش ش ٣/ ٦٧ .

(٤) ش ك ١/ ١٤٩

(٥) استعماله لها يشير الى وجودها قبله،ولكني لم أقف على ذلك .

(٦) ش ش ٣/ ٢٩٢ وينظر ٣/ ٦٧ .

(٧) ش ش ١/ ٢١٩ .

(٨) في الكتاب ٢/ ٢٣٩ .

(٩) ش ك ١/ ٢٩٧ .

(١٠) ش ش : ١/ ٢٣١، ٢٣٢ ـ ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٥٨ .

(١١) ش ش ٢/ ٢٥١ .

حَرْفٌ مُنَاسِبٌ (مُتَوَسِّطٌ) : وهو الحرف الذي يمتلك صفاتٍ منسجمةً مع ما قُلِب عنه، ومع الصوت المجاور الذي استدعى هذا القلب لتنافر صفتي الصوتين الأصليين؛ قال الرضيّ في (معهم) بعد أن ذكر تنافر العين والهاء : " فَطَلَبُوا حَرْفاً مُنَاسِباً لَهُمَا أُخِفَّ مِنْهُمَا، وَهُوَ الْحَاءُ . . وأَمَّا مُنَاسَبَتُهُ لِلْعَيْنِ فَلِأَنَّهُمَا مِنْ وَسَطِ الْحَلْقِ ، وَأَمَّا الْهَاءُ فَبِالْهَمْسِ وَالرَّخَاوَةِ "(١) وقال في أحوال النون : " . . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ تَنَافَرَتْ هِيَ وَالْحَرْفُ الَّذِي يَجِيءُ بَعْدَهَا ، وَهِيَ الْبَاءُ فَقَطْ ، كَمَا فِي عَنْبَرٍ، قُلِبَتْ تِلْكَ النُّونُ الْخَفِيَّةُ إِلَى حَرْفٍ مُتَوَسِّطٍ بَيْنَ النُّونِ ، وَذَلِكَ الْحَرْفِ ، وَهِيَ الْمِيمُ "(٢) وقال أيضاً : " وَالنُّونُ الْخَفِيَّةُ لَيْسَتْ إِلَّا فِي الْغُنَّةِ الَّتِي مُعْتَمَدُهَا الْأَنْفُ فَقَطْ ، وَالْبَاءُ مُعْتَمَدُهَا الشَّفَةُ، وَيَتَعَسَّرُ اعْتِمَادُ انِ مُتَوَالِيَانِ عَلَى مَخْرَجَيِ النَّفَسِ الْمُتَبَاعِدَيْنِ فَطُلِبَتْ حَرْفٌ قُلِبَ النُّونُ إِلَيْهَا مُتَوَسِّطَةً بَيْنَ النُّونِ وَالْبَاءِ ، فَوُجِدَتْ هِيَ الْمِيمُ ، لِأَنَّ فِيهِ الْغُنَّةَ كَالنُّونِ ، وَهُوَ شَفَوِيٌّ كَالْبَاءِ "(٣) ولم أقف على من سبقه إلى هذا الإصطلاح .

السَّاكِنُ : تستند فكرة هذا المصطلح على وجود الحركة بعد الحرف أو عدمها، فالحرف الذي لم تعقبه إحدى الحركات يُوصَف بأنّه ساكن أمّا إذا أعقبته إحداها فهو متحرّك ، وعلى هذا الأساس بنى الرضيّ وبقيّة علماء العربيّة فكرتهم عن الساكن ، بل إنّ نظرتهم إلى البنية المقطعيّة تمّ على هذا الأساس ، وعليه فإنّ المصطلح يشمل بالضرورة أصوات المدّ التي لا يُمكن أن تعقبها أيّة حركة ، قال الرضي : " السَّاكِنُ إِمَّا حَرْفُ الْعِلَّةِ أَوْ حَرْفٌ صَحِيحٌ "(٤) ومثّل لحروف العلّة بالمدّيّات في (الْقَاضِي وَالْعُلَيُّ وَيَغْزُو) ، ولأجل عدم تحرّكها أبداً فهو يصفها بأنّها عَرِيقَةٌ فِي السُّكُونِ "(٥) وقال الرضيّ : " فَمِمَّا لَا يَجُوزُ تَحْرِيكُهُ الْأَلِفُ وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ الزَّائِدَتَانِ فِي بِنْيَةِ الْكَلِمَةِ إِذَا كَانَتَا مَدَّتَيْنِ "(٦) ، وهو مصطلح كثير التداول في الدرس اللغوي .

السَّلَاسَةُ : قال الرضيّ في سبب استهجان المتفرع الصوتيّ (الجيم كالشين في نحو: اجْتَمَعُوا، وأجدر) : " وَلَيْسَ بَيْنَ الْجِيمِ وَالدَّالِ، وَلَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ التَّاءِ تَبَايُنٌ

---

(١) ش ش ٣/ ٢٦٦ .
(٢) ش ش ٣/ ٢٧٢ .
(٣) ش ش ٣/ ٢١٦ .
(٤) ش ك ٢/ ٤١٠ .
(٥) للألف ش ش ١/ ٢١٤، وللواو والياء ش ش ٢/ ٢٢٩، قال " وَاوُ الضَّمِيرِ وَيَائُهُ فَإِنَّهُمَا عَرِيقَانِ فِي السُّكُونِ ".
(٦) ش ش ٣/ ٣٣ .

بَلْ هُمَا شَدِيدَتَانِ ، لٰكِنَّ ٱلطَّبْعَ رُبَّمَا يَمِيلُ لِٱجْتِمَاعِ ٱلشَّدِيدَيْنِ إِلَى ٱلسَّلَاسَةِ وَٱللِّينِ ، فَيُشْرِبُ ٱلْجِيمَ مَا يُقَارِبُهُ فِي ٱلْمَخْرَجِ ، وَهُوَ ٱلشِّينُ " (١) ، فَٱلْمُصْطَلَحُ يُعَبِّرُ عَنْ مَيْلٍ نَحْوَ ٱلْحَدِّ ٱلْأَدْنَى مِنَ ٱلْجَهْدِ بِٱلتَّخَلُّصِ مِنَ ٱلشَّدِيدَيْنِ ٱلْمُتَجَاوِرَيْنِ إِلَى تَتَابُعِ : رِخْوٍ وَشَدِيدٍ . وَلَمْ أَقِفْ عَلَى مَنْ ٱسْتَعْمَلَهُ قَبْلَهُ فِي مِثْلِ هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ .

ٱلْفَصْلُ : ٱلنُّطْقُ بِٱلْمِثْلَيْنِ مُسْتَقِلَّيْنِ مِنْ غَيْرِ إِدْغَامٍ لِوُجُودِ ٱلْحَرَكَةِ ٱلْفَاصِلَةِ قَالَ (مُعَلِّقاً عَلَى كَلَامِ ٱلْمُصَنِّفِ إِنَّ ٱلْإِدْغَامَ يَتِمُّ بِإِتْيَانِ حَرْفَيْنِ سَاكِنٍ وَمُتَحَرِّكٍ : " يَعْنِي أَنَّ ٱلْمُتَحَرِّكَ يَكُونُ بَعْدَ ٱلسَّاكِنِ ، وَإِلَّا لَيْسَ بِثَمَّ مِنَ ٱلْفَصْلِ : أَيْ فَكِّ أَحَدِ ٱلْحَرْفَيْنِ مِنَ ٱلْآخَرِ ، لِأَنَّ ٱلْحَرَكَةَ بَعْدَ ٱلْحَرْفِ " (٢) (٣) .

فَكُّ ٱلْحَرْفَيْنِ : وَهُوَ يُرَادِفُ ٱلْفَصْلَ (٤) .

ٱلْقَلْبُ : وَهُوَ مُصْطَلَحٌ ذُو دَلَالَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، تَرْتَبِطُ بِدَلَالَةٍ عَامَّةٍ عَلَى مُطْلَقِ إِبْدَالِ حَرْفٍ مِنْ حَرْفٍ ، قَالَ ٱلرَّضِيُّ فِي قَلْبِ ٱلصِّحَاحِ : " فَطُلِبَتْ حَرْفٌ تُقْلَبُ ٱلنُّونُ إِلَيْهَا " (٥) ، وَقَالَ (يَسْتَعْمِلُ ٱلْقَلْبَ بِمَعْنَى ٱلْإِعْلَالِ) : " قَلْبُ ٱلْعَيْنِ فِي فَعَلٍ نَحْوُ : دَارٍ وَنَارٍ وَنَابٍ " (٦) ، وَقَدْ كَثُرَ ٱسْتِعْمَالُهُ بِهَاتَيْنِ ٱلدَّلَالَتَيْنِ فِي مَوْضُوعَاتِ كِتَابَةِ : ٱلْإِبْدَالِ وَٱلْإِعْلَالِ وَٱلْإِدْغَامِ) .

وَيَسْتَعْمِلُهُ ٱلرَّضِيُّ بِدَلَالَةٍ أُخْرَى مُحَدَّدَةٍ ، وَقَدْ خَصَّصَ لَهُ جُزْءاً مِنْ كِتَابِهِ ، وَهُوَ ذٰلِكَ ٱلْقَلْبُ ٱلَّذِي عُرِفَ (بِٱلْقَلْبِ ٱلْمَكَانِيِّ) حَيْثُ حَدَّهُ قَائِلاً : " أَقُولُ : يَعْنِي بِٱلْقَلْبِ تَقْدِيمَ بَعْضِ حُرُوفِ ٱلْكَلِمَةِ عَلَى بَعْضٍ ، وَأَكْثَرُمَا يَتَّفِقُ ٱلْقَلْبُ فِي ٱلْمُعْتَلِّ وَٱلْمَهْمُوزِ " (٧) . وَمَثَّلَ لَهُ بِـ (أَكْرَهَفَّ وَٱضْمَحَلَّ أَمَامَ أَكْفَهَرَّ وَٱضْمَحَلَّ) ، وَعَلَى هٰذَا فَإِنَّهُ لَا يُسَلِّمُ بِمَا ٱصْطَلَحَ عَلَيْهِ ٱلصَّرْفِيُّونَ مِنْ دَلَالَةِ ٱلْقَلْبِ ٱلَّذِي ذَكَرَهُ فِي مُقَدِّمَةِ ٱلْإِعْلَالِ حَيْثُ قَالَ :

---

(١) ش ش ٣/ ٢٥٦ .
(٢) ش ش ٣/ ٢٣٤ .
(٣) فِي ٱلْكِتَابِ : ٤/ ٤٣٨ و ٤٤٣ ، شَرْحُ ٱلْمُفَصَّلِ : ١٠/ ١٢١ .
(٤) فِي ٱلْكِتَابِ : ١/ ٤١٣ .
(٥) ش ش ٣/ ٢١٦ ، وَيُنْظَرُ : ٣/ ٢٦٤ ، " ٱلْقَلْبُ مُقَدَّمٌ لِلْإِدْغَامِ " .
(٦) ش ش ٣/ ٢٤٢ ، وَيُنْظَرُ : ٣/ ٩٥ و ١٥٧ .
(٧) ش ش ١/ ٢١ .

" لَفْظُ ٱلْقَلْبِ يَخْتَصُّ فِي ٱصْطِلَاحِهِم بِإِبْدَالِ حُرُوفِ ٱلْعِلَّةِ وَٱلْهَمْزَةِ بَعْضِهَا مَكَانَ بَعْضٍ " (١) (٢) .

لَا أَبْنِيَةٍ وَلَا أَحْوَالِ أَبْنِيَةٍ: قال ٱلرَّضِيّ (وهو يقسّم موضوعات علم ٱلصّرف) : "فَهٰذِهِ ٱلْمَذْكُورَاتُ (يعني : ٱلِٱبْتِدَاء وَٱلْإِمَالَة ...) أَحْوَالُ أَبْنِيَةٍ ، وَبَاقِي مَاذَكَرَ هُوَ ٱلْأَبْنِيَةُ إِلَّا ٱلْوَقْفَ وَٱلْتِقَاءَ ٱلسَّاكِنَيْنِ فِي كَلِمَتَيْنِ وَٱلْإِدْغَامَ فِيهِمَا، فَإِنَّ هٰذِهِ ٱلثَّلَاثَةَ لَا أَبْنِيَةَ وَلَا أَحْوَالَ أَبْنِيَةٍ" (*) ، إذْ يشير به إلى مجموعة التّحولات الصّوتيّة الّتي تتجاوز مستوى ٱلْبِنَاء المفرد إلى مستوى التّركيب (ٱلنّحو) ، ويمكن أنْ يكون ٱلْمصطلح مرادفاً ماعُرِف عند ٱلْمحدثين بالظّاهرة ٱلنّحويّة ٱلتّشكيليّة (**) ؛ ولم يسبق الرّضيّ إلى مثل هذا بحسب تتبعي .

ٱلْمُتَقَارِبَةُ : يقصد ٱلرّضيّ بهذا ٱلْمصطلح ماكان من ٱلْأصوات متقارباً مخرجياً ؛ إذْ هو ٱلْأساس في هذا ٱلتّقارب ، وماكان من ٱلتّقارب في الصّفات ، فإنّه يُحمل عليه ، قال ٱلرّضيّ (في ادغام السين في الشين) "لِكَوْنِهِمَا مِنْ حُرُوفِ ٱلتَّفَشِّي وَٱلصَّوْتِ ، فَكَأَنَّهُمَا مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ ، وَإِنْ تَبَاعَدَ مَخْرَجَاهُمَا " (٣) ، وقال أيضاً : " فَجَعَلَ ٱلتَّقَارُبَ فِي ٱلصِّفَةِ كَٱلتَّقَارُبِ فِي ٱلْمَخْرَجِ " (٤) ، وقد جعل قياس إدغام حروف ٱلْحلق مستنداً الى هذا ٱلتّقارب ٱلْمخرجيّ بإدغام ٱلْأدخل في ٱلْأعلى (٥) ، وقال في مقدمة إدغام ٱلْمتقاربين : " أَقُول : شَرَعَ فِي بَيَانِ إِدْغَامِ ٱلْمُتَقَارِبَةِ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ ... " (٦) وقال أيضاً : "إِذَا ٱجْتَمَعَ مِنَ ٱلْمُتَقَارِبَةِ شَيْئَانِ : فَإِنْ كَانَا فِي كَلِمَتَيْنِ نَحْوُ : مَنْ مِثْلُكَ ، فَإِنَّهُ يُدْغَمُ أَحَدُهُمَا فِي ٱلْآخَرِ ... " (٧) (٨) .

ٱلْمُتَحَرِّكُ : (ينظر مصطلح ٱلسّاكن) ، ويمكن أنْ تُوصف به جميع ٱلْحروف الصّحاح من النّاحية النّظريّة ، وكذلك تُوصف به ٱلْواو وٱلْياء في حالة قلّة مدّهما ، ويرى ٱلرّضيّ : " ... إِنَّ ٱلْحَرَكَةَ فِي ٱلْحَقِيقَةِ بَعْضُ حُرُوفِ ٱلْمَدِّ بَعْدَ ٱلْحَرْفِ ٱلْمُتَحَرِّكِ بِلَا فَصْلٍ " (٩) ، وهو من ٱلْإِصْطلاحات ٱلشّائعة في الدّرس اللغوي .

ٱلْمُجَانَسَةُ : بمعنى ٱلْإتباع ، فعند الرّضيّ أنّ كسر ميم (عليهم) بعد ٱلْهاء ٱلْمضمومة للمجانسة مع ٱلْيَاء (١٠) (١١)

ٱلْمُضَارَعَةُ : قال ٱلرّضيّ : " إِذَا تَحَرَّكَتِ ٱلصَّادُ وَبَعْدَهَا دَالٌ أُشِمَّ ٱلصَّادُ صَوْتَ ٱلزَّايِ ، وَلَا يَجُوزُ قَلْبُهَا زَايًا صَرِيحَةً ، لِوُقُوعِ ٱلْحَرَكَةِ فَاصِلَةً بَيْنَهُمَا ، وَأَيْضاً فَإِنَّ ٱلْحَرْفَ يَقْوَى بِٱلْحَرَكَةِ فَلَمْ يُقْلَبْ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ٱلْمُضَارَعَةُ بِٱلْمُجَاوَرَةِ " (١٢) ذلك في صَدَقَ وَصَدَرَ . وقال أيضاً (في يزدل) وإنّه لايجوز " أَنْ تُشْرَبَ ٱلسِّينُ صَوْتَ ٱلزَّايِ ، كَمَا يُفْعَلُ ذٰلِكَ فِي ٱلصَّادِ ، نَحْوَ يَصْدُرُ ، لِأَنَّ فِي ٱلصَّادِ إِطْبَاقاً ، فَضَارَعُوا لِتَلَاذِهَبَ ٱلْإِطْبَاقُ بِٱلْقَلْبِ " (١٣) .

---

(١) ش ش ٣/٦٧ .
(٢) في الكتاب : ٤/ ٣٦٤ ، ٤٤٧ و ٣/ ٣٦٥ ـ ٣٦٨ ، الخصائص : ٢/ ٦٦ و ٦٩ ، ٣/ ١٦٣ ، ١/ ٦٤ ، المفصل : ٣٩٦ ، الايضاح : ٢/ ٤١٩ ، ٤٩٢ .
(٣) ش ش ٣/ ٢٧٨ .
(٤) ش ش ٣/ ٢٧١ .
(٥) (٦) ش ش ٣/ ٢٦٤ .
(٧) ش ش ٣/ ٢٦٧ .
(٨) في الكتاب : ٤/ ٤٤٧ ، الخصائص : ٢/ ٤٩٦ ، الايضاح : ٢/ ٤٨٠ ، المقرب : ٣٦٠
(٩) ش ش ١/ ١١٨ .
(١٠) ش ش ٢/ ١٢ . (١١) في الانصاف : ٢/ ٧٣٨ . (١٢) ش ش ٣/ ٢٣٢ .
(١٣) ش ش ٣/ ٢٣١ .
(*) ش ش ١/ ١٥ .
(**) اسس علم اللغة : ١٠٧ ، حاشية (٢) .

فالضارعة الظاهرة الصوتية التي وسيلتها الإشمام أو الإشراب، وهي عنده قريبة على خط الإمالة فقد قال : " جعل الصاد ضارعاً للزاي ، بأن ينحى بالصاد نحو الزاي (١) كما ينحى بالفتحة نحو الكسرة . (٢)

مقاطع الكلام : وهي نهايات السلاسل الصوتية (أي : فواصلها) ، قال الرضي : "يعني بالكلام ما لا وقف فيه، وبالفواصل رؤوس الآي ومقاطع الكلام " (٣) (٤) .

المناسبة : يستعمل الرضي هذا المصطلح للاشارة إلى مطلق التشابه الصوتي، كما في الإمالة التي قال فيها : " وسبب الإمالة إما قصد مناسبة صوت نطقك بالفتحة لصوت نطقك بالكسرة التي قبلها كعماد ، أو بعدها كعالم ، أو لصوت نطقك بالياء كسيال وشيبان ، أو قصد مناسبة فاصلة لفاصلة ممالة ، أو قصد مناسبة إمالة لإمالة قبل الفتحة، أو قصد مناسبة صوت نطقك بالألف بصوت نطقك بأصل تلك الألف " (٥) وقال الرضي : " مناسبة حروف العلة بعضها لبعض أكثر " (٦) (٧) .

نسق واحد : وهو تساوي الجهد المبذول عند النطق بصوتين متتاليين ، حيث قال الرضي في سبب إظهار النون مع حروف الحلق : " لأن حرف الحلق يحتاج إلى فضل اعتماد، فتجري النون على أصلها من فضل الاعتماد ليجري الاعتماد على نسق واحد " (٨) ولم أقف على سابق له في استعماله ههنا .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٣٢ .

(٢) في الكتاب: ٤/ ٤٧٧، سر الصناعة : ١/ ٥٨، الشافية : ٢٥٠ ، شرح الجاربردي : ١/ ٣٢٥، وحاشية ابن جماعة: ١/ ٣٢٥ .

(٣) ش ش ٢/ ٣٠٢ .

(٤) ينظر : الصناعتين : ٤٣٨ .

(٥) ش ش ٣/ ٥ .

(٦) ش ك ٢/ ١٦٢ .

(٧) استعملها أولاً ابن الحاجب في الشافية : ٢٣٩ ، ش ش ١/ ٤، قب (المتن) .

(٨) ش ش ٣/ ٢٧٣ .

نَقْلُ الْحَرَكَةِ : وهو مصطلح الْقلب الْمكانيّ بين الصّحاح والْحركات، وهو سلوك واضح في ظاهرة الْإعلال، وفي الوقف مع سكون الْحرف السّابق . قال الرّضيّ : " ... وَكَذَا فِي نَقْلِ حَرَكَةِ الْعَيْنِ الْمَزِيدِ فِيهِ إِلَى السَّاكِنِ ، كَمَا ذَكَرْنَا إِلَّا فِي الْإِقَامَةِ وَالْاِسْتِقَامَةِ ، فَإِنَّ فِيهِ قَلْبًا وَنَقْلًا ... " (١) ، وقال : " ... وَبَعْدَ الْإِسْكَانِ تُنْقَلُ الْحَرَكَةُ إِلَى ذَلِكَ السَّاكِنِ الْمُتَقَدِّمِ تَنْبِيهًا عَلَى الْبِنْيَةِ " (٢) ، وقال في أنواع الْوقف: " ... وَهِيَ : الْإِسْكَانُ ، وَالرَّوْمُ ، وَالْإِشْمَامُ ، وَ... نَقْلُ الْحَرَكَةِ " (٣) ، وقال أيضا: " فَإِنْ كَانَ مَاقَبْلَهَا سَاكِنًا نَقَلُوا حَرَكَتَهَا إِلَى مَاقَبْلَهَا وَحَذَفُوهَا " (٤) (٥) .

الْوَقْفُ : قال الرّضيّ بعد ذكر وجوه الْوقف: " ... فَإِنَّ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ أَحْكَامُ الْوَقْفِ : أي السّكون عَلَى آخِرِ الْكَلِمَةِ مُخْتَارًا ، لِتَمَامِ الْكَلَامِ " (٦) وفي حدّ ابن الْحاجب : " قَطْعُ الْكَلِمَةِ عَمَّا بَعْدَهَا " ، قال الرّضيّ : " قَوْلُهُ: (عَمَّا بَعْدَهَا) يُوهِمُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ الْوَقْفُ عَلَى كَلِمَةٍ إِلَّا وَبَعْدَهَا شَيْءٌ " (٦) (٧) .

الْوَقْفُ الصِّنَاعِيُّ : وهو الوقف الّذي يعمله المتكلم الّذي لا يفيد الْانتهاء من الكلام، قال الرّضيّ : " وَلَا يُرِيدُ بِالْوَقْفِ الْوَقْفَ الصِّنَاعِيَّ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ إِلَّا عَلَى السَّاكِنِ أَوْ شِبْهِهِ مِمَّا يُرَامُ حَرَكَتُهُ ، بَلْ يُرِيدُ بِهِ السُّكُوتَ وَالْاِنْتِهَاءَ " (٨) (٩) .

الْمُصْطَلَحَاتُ الصَّوْتِيَّةُ الْعَامَّةُ :

الْإِشْبَاعُ : وهو مصطلح مطل الْحركات بإطالة التّصويت بها فيتولّد عنها أصوات الْمدّ الْمجانسة لها ، قال الرّضيّ : " الْفَتْحُ يُشْبَعُ فَيَتَوَلَّدُ الْأَلِفُ " (١٠) ، وقال : " ... وَإِشْبَاعُ الضَّمِّ وَإِشْبَاعُ الْكَسْرِ ... " (١١) ، وقال (في الْمجهورة) :

---

(١) ش ش ٣/ ١٥٦ ـ ١٥٧ .
(٢) ش ش ٢/ ٣٢١ .
(٣) ش ش ٢/ ٢٧١ .
(٤) ش ش ٢/ ٣١٤ .
(٥) استعمله ابن الحاجب، ش ش ٢/ ٣٢١ (المتن) ، الايضاح ٢/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦ ، شرح المفصل: ٩/ ٧١ ـ ٧٢ .
(٦) ش ش ٢/ ٢٧١ .
(٧) في الكتاب: ٤/ ١٧٣ ، حاشية الصّبان: ٤/ ٢٠٣ ، التّعريفات : ١٣٨ ، لطائف الإشارات: ٢٤٨ .
(٨) ش ش ٢/ ٢٥١ .
(٩)
(١٠) ش ك ٢/ ١٢ ، وأيضاً ٢/ ٤٠ ، ٢٠٣ ، ٢٣٠ .
(١١) ش ك ٢/ ٩ .

"وتُمْتَحَنُ الْمَجْهُورَةُ بِأَنْ تُكَرِّرَهَا مَفْتُوحَةً أَوْ مَضْمُومَةً أو مَكْسُورَةً رَفَعْتَ صَوْتَكَ بِهَا أَوْ أَخْفَيْتَهُ ؛ سواءٌ أَشْبَعْتَ الْحَرَكَاتِ حَتَّى تَتَوَلَّدَ الْحُرُوفُ ، نَحْوَ قَاقَاقَا ، وقُوقُو قُو ، وقِي قِي قِي ، أَوْلَمْ تُشْبِعْهَا نَحْوَ قَقَقَ ... "(١) ، وقال أيضاً : " وإِنَّمَا جَازَ إِشْبَاعُ الْحَرَكَاتِ بِأَنَّ الْوَاوَ وَالْأَلِفَ وَالْيَاءَ أَيْضاً مَجْهُورَةٌ فَلَا يَجْرِي مَعَ صَوْتِهَا النَّفَسُ "(١) ومنه استفدتُ دلالةَ إشباع الإعتماد كما مرّ في مصطلح الاعتماد(٢) .

التَّصْوِيتُ : وهو عملية إنتاج الصّوت سواءٌ أكان الصّوتُ لغوياً أم غير لغويٍّ ، قال الرّضيّ : " الْمَجْهُورَةُ لَا اعْتِبَارَ فِيهَا بِعَدَمِ جَرْيِ الصَّوْتِ ، بَلْ الْاعْتِبَارُ فِيهَا بِعَدَمِ جَرْيِ النَّفَسِ عِنْدَ التَّصْوِيتِ بِهَا "(٣) ، وقالَ في الأصوات التي يستعملها الإنسان مع الحيوان : " ... مقارناً ذلكَ التَّصْوِيتَ عَلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ ، إِمَّا بِضَرْبِهِ أَوْ تَأْدِيبِهِ "(٤)(٥)

جَرْسُ الْحَرْفِ : يبدو أنّ الرّضيّ يشير بهذا المصطلح إلى الانطباع السّمعيّ المميّز لهذا الصّوت أو ذاك ، فهو لهذا تعبيرٌ عن مجمل صفات الصّوت المنطوق ؛ قال الرّضيّ " وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَرْفَ أَوِ الْحَرَكَةَ الَّتِي تَلِي الْحَرْفَ تُبَيِّنُ جَرْسَهُ "(٦) ، وقال أيضاً : "لِأَنَّ أَخْذَكَ فِي جَرْسِ حَرْفٍ آخَرَ يُبَيِّنُ جَرْسَ الْأَوَّلِ وَإِنْ كَانَ خَفِيّاً "(٧)(٨)

جَرْيُ الصَّوْتِ : وهو استمرار التّصويت بسبب استمرار خروج هواء الزّفير ، وهو من الاعتبارات المهمة في تمايز الاصوات ، قال الرّضيّ : " وَالْمَجْهُورَةُ لَا اعْتِبَارَ فِيهَا بِعَدَمِ جَرْيِ الصَّوْتِ "(٣) ، وقال أيضاً : "فَإِذَا أَشْبَعْتَ الْاعْتِمَادَ ، فَإِنْ جَرَى الصَّوْتُ كَمَا فِي الضَّادِ وَالظَّاءِ وَالزَّايِ وَالْعَيْنِ وَالْغَيْنِ وَالْيَاءِ فَهِيَ مَجْهُورَةٌ رَخْوَةٌ ، وَإِنْ أَشْبَعْتَهُ وَلَمْ يَجْرِ الصَّوْتُ كَالْقَافِ وَالْجِيمِ وَالطَّاءِ وَالدَّالِ فَهِيَ مَجْهُورَةٌ شَدِيدَةٌ "(٩) .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٥٩ .
(٢) في الكتاب: ٤/ ٢٠٢ ، ادغام القراء : ٩ ، إعراب القرآن المنسوب : ١/ ٢٢٠ .
(٣) ش ش ٣/ ٢٦٠ .
(٤) ش ك ٢/ ٨٠ .
(٥) في الايضاح ٢/ ٤٨٦ ، الموضح : ٩٩ .
(٦) ش ش ٢/ ٣١١ .
(٧) ش ش ٢/ ٢٨٦ .
(٨) في العين: ١/ ٥٣ ، ٥٤ ، التهذيب: ١/ ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٥ ، الجمهرة ١/ ٨ ، ينقل عن الإخفش : الألف حرس بلا حرف ، الخصائص: ١/ ٥٧ ، لطائف الاشارات : ١/ ٢٠٢ : "تكأته الحرف الصوتي" .
(٩) ش ش ٣/ ٢٥٨ .

وعدم جري الصّوت لا يعني احتباسه وتوقفه بل إنّه يُسمَعُ في آنٍ ثمّ ينقطع ،قال الرّضيّ : "أنَّ الشّديدةَ لا يَجْرِي الصَّوْتُ عِنْدَ النُّطْقِ بِهَا بَلْ تَسْمَعُ بِهِ فِي آنٍ ثُمَّ يَنْقَطِعُ"(١)(٢) .

جَرْيُ النَّفَسِ : يستعملهالرّضيّ خاصاً به الأصوات المجهورة والمهموسة ؛ فهو ذو دور متميّز في تباين الأصوات اللّغوية ؛ قال الرّضيّ في امتحان المجهورة : " .. فَإِنَّكَ تَرَى الصَّوْتَ يَجْرِي وَلَا يَنْقَطِعُ ،وَلَا يَجْرِي النَّفَسُ إِلَّا بَعْدَ انْقِضَاءِ الِاعْتِمَادِ ، وَسُكُونِ الصَّوْتِ ،وَأَمَّا مَعَ الصَّوْتِ فَلَا يَجْرِي ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ النَّفَسَ الْخَارِجَ مِنَ الصَّدْرِ - وَهُوَ مَرْكَبُ الصَّوْتِ - يَحْتَبِسُ إِذَا اشْتَدَّ اعْتِمَادُ النَّاطِقِ عَلَى مَخْرَجِ الْحَرْفِ ؛ إِذِ الِاعْتِمَادُ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ الْحَلْقِ وَالْفَمِ يَحْبِسُ النَّفَسَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ صَوْتٌ ،وَإِنَّمَا يَجْرِي النَّفَسُ إِذَا ضَعُفَ الِاعْتِمَادُ"(٣) ،وفي علامة الجهر قال : " وَعَلَامَتُهُ عَدَمُ جَرْيِ النَّفَسِ "(٤) فجري النّفس إذن هو خروج الهواء القادم من الصّدر من الممرّ المخرجيّ إلى خارج الفم .(٥)

جَوْهَرُ (الْحَرْفِ) : وهو مصطلح الكيان الأساسي للصّوت المعين المستقلّ عن بقيّة الأصوات ،وهو التّحقيق الفعليّ للصّوت عند النّطق ؛ إذ قال الرّضيّ : " وَالْأَصْلُ عَدَمُ إِخْرَاجِ الْحَرْفِ عَنْ جَوْهَرِهِ "(٦) ،وقلتُ التّحقيق الفعليّ ؛ لأنّ الرّضيّ يقول : " وَالتَّحْقِيقُ هُوَ الْأَصْلُ كَسَائِرِ الْحُرُوفِ "(٧) ، وقال (مشيراً إلى أنّ الجوهر هو صفات الصّوت ؛ وذلك في وصفه للمهموسة) : "إِنَّ جَوْهَرَهَا لِضَعْفِ الِاعْتِمَادِ عَلَى مَخَارِجِهَا لَا يَحْبِسُ النَّفَسَ"(٣) وإذا كانت الأصوات عند الفصل عن بعضها يظهر جوهرها(٨) ؛ فإنّ وجود الحركة تابعة لها تسلبها شيئاً منه ؛ لأنّها كما قال الرّضيّ : " تَفُتُّ فِي عَضُدِهَا ، وَتُشْرِبُهَا شَيْئاً مِنْ جَوْهَرِ نَفْسِهَا ،وَتُمِيلُهَا إِلَى مَخْرَجِهَا قَلِيلاً "(٩) ،وهو إدراك للتّأثيرات الموقعيّة على كيان الأصوات ،وأنّه غير مسبوق بهذا الاصطلاح .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٦٠ .
(٢) في الكتاب: ٤/ ٤٣٤ ،وينظر: حدّ الشّديدة والرّخوة عند متابعي سيبويه .
(٣) ش ش ٣/ ٢٥٩ .
(٤) ش ش ٣/ ٢٦٠ .
(٥) في الكتاب: ٤/ ٤٣٤ ،(وجميع تعريفات المجهور والمهموس للّذين تبعوا سيبويه) .
(٦) ش ش ٣/ ٤٥ .
(٧) ش ش ٣/ ٣٢ .
(٨) ش ش ٣/ ٧ .
(٩) ش ش ٣/ ١٠ .

ٱلْحَـــرْفُ : قالَ الرّضيّ : "وَٱلْحُرُوفُ هَيْئَةٌ عَارِضَةٌ لَهُ (يعني ٱلصّوت ٱلسّاذج)[٢] (ويسأتي ٱلصّوت ٱلسّاذج) فعبر آليّة ٱلْمخارج ٱلصّوتيّة يتمّ إحداث هيئاتٍ[١] للصّوت غير ٱلْمتميّز بعضه عن بعض، وهو مصطلح قديم في ٱلدّرس ٱللّغويّ ٱلعربيّ .

ٱلـــدَّرْجُ : وهو مصطلح لعملية ٱستمرار ٱلْحدث ٱلْكلاميّ ، قالَ الرّضيّ في نحـــو تَتَنَزَّلُ وَتَنَزَّلُ "وَإِذَا أُدْغِمَ لَمْ يَجْتَلِبْ لَهُ هَمْزَةَ ٱلْوَصْلِ كَمَا فِي ٱلْمَاضِي بِخِلَافِ ٱلْمُضَارِعِ بِخِلَافِ ٱلْمَاضِي بَلْ لَا يُدْغَمُ إِلَّا فِي ٱلدَّرْجِ لِيُكْتَفَى بِحَرَكَةِ مَا قَبْلَهُ نَحْوُ: قَالَ تَنَزَّلُ "[٣]، وقال أيضاً: "فَلَابُدَّ مِنْ سُقُوطِ أَلِفِ ٱللَّامِ فِي ٱلدَّرْجِ "[٤] (يَعْنِي ٱلْهَمْزَةَ)[٥]

ٱلصَّـــوْتُ : ويقصد به ٱلْانطباع ٱلسّمعيّ ٱلْمميّز لكلّ حرفٍ من ٱلْحروف، فذلك يرادف ٱلرّضيّ به معنى ٱلْحرف، فنراهُ يُطْلِقُ على ٱلْجهازِ ٱلصّوتيّ مرةً (آلة الحروف)، ومـــرةً أخرى (آلة ٱلصّوت)، وقد ٱستعمله بشكل محدودٍ جداً ما يمكن أنْ يُشير به إلى ٱلصّفير أو ٱلرّخاوة ، حيثُ قال عن الشين والسين : "لِكَوْنِهِمَا مِنْ حُرُوفِ ٱلتَّفَشِّي وَٱلصَّوْتِ"[٦] أو يُشير به إلى مجموعةِ ٱلْأصوات غير ٱللّغويّة كأصوات ٱلْجمادات، وما يُصَوَّتُ به لِلْحيوان، ويأتي مثـــلَ هذا محدداً بما بعده.[٧] (٨) .

ٱلصَّوْتُ ٱلسَّاذِجُ : يعتقد ٱلرّضيّ أنّ ٱلْأصوات في مادّتها الأوّليّة ساذجة بسيطة غير مركّبة، فهي لأجل هذا غير متميّزة عن بعضها ، إذْ قالَ : "لِأَنَّ ٱلصَّوْتَ ٱلسَّاذِجَ ٱلَّذِي هُوَ مَحَلُّ ٱلْحُرُوفِ ـ وَٱلْحُرُوفُ هَيْئَةٌ عَارِضَةٌ لَهُ ـ غَيْرُ مُخَالِفٍ بَعْضُهُ لِبَعْضٍ فِي ٱلْحَقِيقَةِ ... فَإِذَا كَانَ سَاذِجُ ٱلصَّوْتِ ٱلَّذِي هُوَ مَادَّةُ ٱلْحَرْفِ لَيْسَ بِأَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَلَوْلَا ٱخْتِـــلَافُ أَوْضَاعِ آلَةِ ٱلْحُرُوفِ ... لَمْ تَخْتَلِفْ ٱلْحُرُوفُ ، إِذْ لَا شَيْءَ هُنَاكَ يُمْكِنُ ٱخْتِلَافُ ٱلْحُرُوفِ بِسَبَبِهِ إِلَّا مَادَّتُهَا وَآلَتُهَا"[٢] وقال فيما يصوّت به لِلْحيوان : "وَإِنَّمَا وَضَعُوا لِمِثْـــلِ

---

(٢) ش ش ٣/ ٢٥٠ .

(١) يبدو لي أنّ أوّل من قدّم من نحوهذه ٱلصّياغة هو ٱبنُ سينا (أسباب حدوث ٱلحروف: ٦٠)

(٣) ش ش ٣/ ٢٤٠ وينظر ٢/ ٢٢٤ ، ٢٧٦ .

(٤) ش ش ٢/ ٢٩٣ .

(٥) يستعمل الكتاب هنا مصطلح الكلام: (٤/ ١٥٠) وقد ٱستعمله ٱلرّمانيّ في: منازل الحروف : ٢٤ "لِأنّك تثبتُها في درج ٱلكلام ..."

(٦) ش ش ٣/ ٢٧٨ .

(٧) ش ك ٢/ ٨٠ .

(٨) في الكتاب : ٤/ ٤٣٥، سر ٱلصّناعة: ١/ ٩، شرح المفصل : ١٠/ ١٢٤ ، ====

هٰذَا ٱلْغَرَضِ صَوْتاً مُرَكَّباً مِنَ ٱلْحُرُوفِ وَلَمْ يَقْنَعُوا بِسَاذِجِ ٱلصَّوْتِ لِأَنَّ ٱلصَّوْتَ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُشْتَبَهُ ٱلْأَفْرَادِ وَتَمَايُزُهَا بِٱلتَّقْطِيعِ وَٱلاعْتِمَادِ عَلَى ٱلْمَخَارِجِ سَهْلٌ " (١) (٢) .

مَادَّةُ ٱلْحَرْفِ : وهو ٱلصوت ٱلسّاذج جعله مَادَّةً أَوَّلِيَّةً لِلْأَصْوَاتِ ، قَالَ ٱلرَّضِيُّ : " فَإِذَا كَانَ سَاذِجُ ٱلصَّوْتِ ٱلَّذِي هُوَ مَادَّةُ ٱلْحَرْفِ لَيْسَ بِأَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ... " (٣) . وسبق ٱلصوت ٱلسّاذج ولم أقف على من استعمله قبله .

ٱلْمُتَفَرِّعُ : ويصطلح به على مجموعة ٱلأصوات ٱلخارجة عن الأداء الاعتيادي في العربية الفصحى المشتركة ، باخراج حروف بين صوتين من اصوات العربية ويتم ذلك عبر طرق متعدّدة جمعها بقوله : " يَعْنِي بِٱلْمُتَفَرِّعِ حَرْفاً يَتَفَرَّعُ عَنْ هٰذِهِ ٱلْحُرُوفِ ٱلْمَذْكُورَةِ قِيلَ بِإِشْرَابِهَا صَوْتاً مِنْ غَيْرِهَا " (٤) ، وهي :

١ . متفرعات ناتجة عن ٱلتّعامليّة من نحو : (ٱلنّون ٱلْخفيّة ولام ٱلتّفخيم وٱلصّاد كَٱلزّاي ، وغيرها) .

٢ . متفرعات لمستوى لهجيّ (محليّ) من نحو : (ألف ٱلْإِمالة ، وٱلْيَاء كَٱلْوَاو وٱلْوَاو كَالْيَاء) (٥) .

٣ . متفرعات لتداخل أجنبي : من نحو : (ٱلطّاء كَٱلتّاء وٱلْفَاء كَٱلْبَاء وَٱلضّاد ٱلضّعيفة)

ولمّا كانت هذه ٱلْمتفرعات في نظر العربيّة ماهي إلّا اختلافات متفاوتة في ٱلْقيم ٱلصّوتيّة ، ولم يُجعل لها أيّ أثر في تغيير معنى ٱلْكلمة ٱلدّاخلة فيها فإنّه يمكن عدّها بحسب ما يصطلح عليه عند ٱلْمحدثين بـ " ٱلْهيئات ٱلصّوتيّة ـ أو ٱلْألفونات " (٦) (٧) .

مَرْكَبُ ٱلصَّوْتِ : قَالَ ٱلرَّضِيُّ : " ... لِأَنَّ ٱلنَّفَسَ ٱلْخَارِجَ مِنَ ٱلصَّدْرِ ـ وَهُوَ مَرْكَبُ ٱلصَّوْتِ ـ يَحْتَبِسُ إِذَا ٱشْتَدَّ ٱعْتِمَادُ ٱلنَّاطِقِ عَلَى مَخْرَجِ ٱلْحَرْفِ ، إِذِ ٱلْاعْتِمَادُ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ ٱلْحَلْقِ وَٱلْفَمِ يَحْبِسُ ٱلنَّفَسَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ صَوْتٌ " (٨) ويتصوّر ٱلرّضيّ في هذا

= = = = التعريفات : ٧٧ " كيفية قائمة بالهواء يحملها الى الصماخ " وينظر شروح الحدود ٣٨ .

(١) ش ك ٢ / ٨٠ .

(٢) قال ابن جني في سرّ ٱلصّناعة : ١ / ٩ : " فَإِنَّ ٱلصَّوْتَ يَخْرُجُ فِيهِ (يعني : ٱلنّاي) مستطيلاً أملس ساذجاً " .

(٣) ش ش ٣ / ٢٥٠ ـ ٢٥١ .

(٤) ش ش ٣ / ٢٥٤ .

(٥) ش ش ٣ / ٢٥٤ ـ ٢٥٧ .

(٦) الفونيم : ٨٢ النّظريّات الصّوتيّة في كتاب سيبويه : ١٤٨ .

(٧) اصطلاح الكتاب : ٤ / ٤٣٢ : فرع ، وفي الايضاح : ٢ / ٤٨٢ : المتفرع .

(٨) ش ش ٣ / ٢٥٩ .

الصطلح قد بلغ نضجاً كبيراً فيما عبّر به عن "مَرْكَب الصَّوْت" ، فعملية إنتاج الصّوت عند الرّضيّ تتسمُّ بوجود النّفس (الحامل) ، والصّوت (المحمول) ، وهذا التّصور تمثّله أحدث الأبحاث الصّوتية في (نظريّة الحامل) الّتي يقول عنها أحد الباحثين : " تتضمن عملية الكلام الطبيعيّة من وجهة النّظر السّمعيّة (Acoustics) إنتاج مجموعة من الموجات الصّوتيّة ، ومعنى هذا وجود موجة تسمى : موجة الأساس (Fundamental) ، ومجموعة من الموجات الأخرى الّتي تتوافق معها "(١) ، فالموجات المتوافقة في نظر الرّضيّ تكمن في الصّوت المحمول ، وموجة الأساس هو النّفس الخارج من الصّدر والصّفات الصّوتيّة " تتمثّل في عدد الموجات التّوافقيّة الّتي تتّحد مع الحامل ، فترسل الصّفات الصّوتيّة جميعاً في نفس الوقت حسب عدد هذه الموجات التّوافقيّة وصفاتها ، وبهذا تكون الموجة المركّبة الّتي تمثّل الفتحة مثلاً مختلفة عن تلك الّتي تمثّل الكسرة ، لأنّه بالرّغم من اتّحاد الموجة البسيطة الأساسيّة (الحامل) ، فإنّ الموجات الإضافيّة (التّوافقية) في الفتحة تختلف عن تلك الّتي في الكسرة "(٢) .

ويقول أيضاً : وقد وجدنا أنّ جهاز النّطق الإنسانيّ يتكوّن أساساً من مرسل يبث ميكانيكيّاً موجات كهرومغناطيسية تتكون من الموجة الحامل والموجات التّوافقيّة ، ويشتمل على جهاز منظم يشكّل الموجة الحامل بمزجها بالموجات التّوافقيّة الّتي تمثّل الرّسالة (٣) .

النّبْـــرُ : وهو رفع الصّوت ، قال الرّضيّ : " لأنّ للنّون نَبْرَةً : أي رَفْعَ الصَّوْتِ "(٤) ، وقال أيضاً : "لأنّ الرّخاوة أن يجري الصّوت بالحرف عند إسكانه كالنّبْر "(٥) ، ويبدو أنّ الرّضيّ يشير إلى ذلك الإمتداد النّطقيّ عند التّصويت بالحرف ممّا يؤدّي إلى امتلاك الحرف درجة إسماع عالية نوعاً ما أمام الانفجاريّة (الأصوات غير الاستمراريّة) . ويستعمل الرّضيّ النّبْر في اصطلاح آخر وذلك مع الهمزة حيث يقول : " اعلم أنّ الهمزة لمّا كانت أدخل الحروف في الحلق ، ولها نبرة كريهة تجري مجرى التّهوّع ، ثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها ، فخفّفها قوم ... "(٦) ، وكأنّه يشير إلى ذلك الغلق الشّديد للأوتار الصّوتية ، وقد كان لهذه الصّفة في نطق الهمزة دور بارز في أن يعرف الهمز في وقت مبكر بالنّبر ، وفي هذا ينقل الرّضيّ قولاً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السّلام) يقول فيه : " نَزَلَ القُرْآنُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ ، وَلَيْسُوا بِأَصْحَابِ نَبْرٍ ، وَلَوْلَا أَنَّ جِبْرَائِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) نَزَلَ بِالْهَمْزَةِ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَا هَمَزْنَا "(٧) ، وعلى هذا فإنّ دلالتي النّبر يمكن أن تكونا متوافقين مع ماعرف عند المحدثين من نوعي النّبر أعني النّبر الطّوليّ والنّبر التّوتريّ .(٨)(٩) . ولم أقف عند أحد على مثل هذه الدّلالة للنّبر (أعني الأولى) .

النَّفَـــسُ : قال الرّضيّ : ... لأنّ النَّفَسَ الخارجَ مِنَ الصَّدْرِ - وهُوَ مَرْكَبُ الصَّوْتِ - يَحْتَبِسُ إذا اشْتَدَّ اعْتِمَادُ النّاطِقِ عَلَى الحَرْفِ ، إذِ الاعْتِمَادُ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ الحَلْقِ وَالفَمِ يَحْبِسُ النَّفَسَ ، إنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ صَوْتٌ فالنفس إذن هواء الزّفير الخارج عن الرّئتين عبر المجرى الصّوتيّ (١١) .(١٠)

---

(١) الكلام انتاجه وتحليله : ٢٤٦ . (٢) نفسه : ٣٤٧ . (٣) ينظر : نفسه : ٣٤٨ .
(٤) ش ش ٣/ ٢٧١ . (٥) ش ش ٣/ ٢٠٦ (٦) ش ش ٣/ ٣١ .
(٧) ش ش ٣/ ٣٢ (٨) القراءات القرآنية : ١٠٥ .
(٩) في الكتاب : ٣/ ٥٤٨ ، واشار بعض المحدثين الا انه بمعنى (Stress) أي النّبر ينظر علم الاصوات عند سيبويه وعندنا : ٢٦ . اللسان : مادة نبر عن ابن الانباريّ "النّبر عند العرب ارتفاع الصوت" . (١٠) ش ش ٣/ ٢٥٩ .
(١١) في الكتاب : ٤/ ٤٣٥ الايضاح : ٢/ ٤٨٥ ، التحديد ١٠٧ الموضح ٨٧ ، ٨٨ التمهيد : ٧ وجميعهم لم يأتوا بمثل ماقدمه الرضي في ايضاح معنى النفس وخروجه وعمله .

نتائجُ ٱلْفَصلِ ٱلْأَوّلِ :

١ • بعد ٱلْجَردِ الكاملِ لشرحِ الشّافيةِ ،وَلشرحِ ٱلْكافيةِ،وجدتُ أنّ المادةَ الصّوتيّةَ لهذا الدّرسِ تتركزُ في ٱلْقسمِ الأخيرِ من شرحِ الشّافيةِ •

وَقدْ حَصَرْتُ ٱلْمادةَ الصّوتيّةَ في عشرةِ مباحثَ هي : ٱلْإِبْتداءُ،وَٱلْإمالةُ وتخفيفُ ٱلْهمزةِ،والاعلالُ،والإبدالُ،والإدغامُ،وَٱلتقاءُ السّاكنيْنِ، والوقفُ،و القَلْبُ المكانيُّ والحذفُ•

وقد ابرزْتُ من خلالِ ٱلْمبحثِ الأوّلِ ٱلإدراكَ ٱلْواعي للرّضيّ النّاحيةَ الصّوتيّةَ في هذهِ المباحثِ عن بقيةِ ٱلْموضوعاتِ الصّرفيّةِ بما وظّفَ لها من مصطلحيْ(أحْوالِ الأبْنيةِ و (لا أبْنيةَ ولا احوالَ أبنيةٍ)) غيرَ أنّه أخلَّ شيئاً قليلاً عندما لَمْ يصطلحْ مع أحوالِ ٱلْأبنيةِ موضوعَ القلبَ الكانيِّ أوْ (القلْبَ) بحسبِ اصطلاحه •

٢ • كوّنَ النّزاءُ ٱلْمعرفيُّ ٱلسّابقُ للرّضيِّ من موءلفاتِ عُلماءِ العربيّةِ ،وأهلِ التّجويدِ مصدرَ ثراءٍ واسعٍ،وعميقٍ لِلْمادةِ الصّوتيّةِ التي قدّمها عندَ دراسته الظّاهرةَ الصّوتيّةَ المعيّنةَ •

وقد مكّنَه هذا أيضاً منْ أنْ يبنيَ درسَهُ بناءً محكماً على وِفقِ منهجٍ يعملُ على حَصْرِ ٱلْمادةِ ٱلْمقدمةِ من السّابقينَ،وَٱلْمادةِ المُبتدعةِ من قِبَلِهِ ضمنَ نطاقٍ من الحُدودِ،و التّقسيماتِ،والأمْثلةِ التّطبيقيّةِ لكلٍّ منها •

٣ • لقد أكّدتُ في هذا ٱلْفصلِ عبْرَ ما قمتُ بهِ من ٱستقراءٍ للروافدِ الثّقافيّةِ لدرسِ الرّضيّ - ما يشيعُ من دورٍ سيبويهِ فيمن أتى بعْدَه من علماءِ ٱلْعربيّةِ و أهلِ التّجويد بكونه أهمَّ مصادرهم،وارتكازَهم على ما قدّمه من افكارٍ صوتيّةٍ ؛ إذْ تردد ذكرُه في ٱلْمَباحثِ ٱلْعشرةِ ما يزيدُ على مَجموعِ تردد بقيّةِ ٱلْعُلماءِ،و يأتي السّيرافيّ ثانياً لأهميّةِ أفكاره الصوتية، خاصةً في فهْمِ الحروفِ ٱلْمتفرعةِ •

٤ • لقد أفرزَ ٱلْمبحث الثّالثُ عبْرَ ما وضعتُه في مُعالجةِ ٱلْمَنهجِ تعسفاً عند الرّضيّ في فَهْمِ الظّاهرةِ الصّوتيّةِ ،بما وجدتُ من ٱختلافِ الأنماطِ ٱللّغويّةِ الفنيّةِ للعربيّةِ،واختلاطِ الأنماطِ ٱللّغويّةِ الأدائيّةِ المحليّةِ بالعربيّةِ المُشتركةِ •

٥٠ إنّ (١١٢) مصطلحاً صوتيّاً مما قدّمته في (مبحث المُصطلحات) تشكّل مفاتيحَ الثّروة الصّوتيّة الّتي يَطلّ منها الدّارسونَ على فروعِ الدّراسة الصّوتيّة الوظيفيّة (الفونولوجية Phonology) لِلغة الْعَربيّة الفُصحىٰ ٠

٦٠ أُوكدُ الثّروة الْاصطلاحيّة الّتي اُستخرجْتُها من موٴلفي الرّضيّ ،إذ لم يتفرغْ لمثلها احدٌ من الباحثينَ بحسب اطلاعي ،اذْ تُبيّن بشكل ملموسٍ مدىٰ الغِنى الاصطلاحيّ الصّوتيّ الّذي احتوتْه دراساتُنا الصّوتيّة التّراثيّة ، ويبدو أنّ صاحبَ رسالة الماجستير الْموسومة (المصطلح الصّوتيّ في الدّراساتِ الْعَربيّةِ) قَصّر عن أنْ يستوعبَ قسماً كبيراً منها، إذْ وجدتُ نفسي في هذا المبحث أزيدُ على ما قدّمَهُ ما يربُو على السّتينَ مصطلحاً صوتيّاً ٠ ولتجنبِ مثلَ هذا القُصور في مثلِ هٰذه الدراسات أرى أنْ تقومَ مادةُ الرسالة،أو البحث على التّتبع الدّقيق للمادة الصّوتيّة،وحركتِها في مختلفِ الموٴلفات،و التّعويلَ على ما قدّمْتُه تمهيداً للاصطلاحاتِ،لا أنْ تُوضعَ أسماءُ الْمُصطلحات على ما هُو متعارفٌ ومُحدّدٌ سلفاً ، ثُمّ يجري تتبعُ هٰذه الْمُصطلحاتِ كالذي أعتقدُ أنّه حصلَ مع الرسالة المذكورة ، وتزادِ هذه العمليّة دقةً و اُستيعاباً عنْد تحديدِها داخلَ إطارٍ زمنيٍّ،أوشخصيّةٍ معيّنةٍ يَتمّ رصدُ نتاجها الصّوتيّ الاصطلاحيّ ٠

٧٠ إنّ مبحثَ الْمُصطلحاتِ الصّوتيّة يُبرزُ عَبْرَ مجموعةٍ بارزةٍ من المصطلحات تفاعلاً واضحاً بين النّظام الصّوتيّ مع النّظامينِ الصّرفيّ والنّحويّ (الْتركيب) من نحو مصطلحات : الإبدالِ،و القَلبِ،و الإعلالِ،والوقفِ،و نَقلِ الْحَركةِ، والإشرابِ والإشمامِ، وتخفيفِ الْهمزةِ المشهورةِ،و الْبعيدِ،و التّقريبِ والتّجانسِ، والْمضارعةِ،و غيرها ٠

٨٠ يُسْهِم العملُ الّذي قُمتُ به في المُصطلحاتِ في اكتمالِ النّظرة المعرفيّة الْاصطلاحيّة عند قُربِ نهايةِ الْقرنِ السّابع الْهجريّ مع إعطاءِ تصوّرٍ واضحٍ عن طبيعةِ الاصطلاحات الْخاصة بعلم الْأصواتِ الْعربيّ منذُ بدايتِه،وحتىٰ القرنِ المذكورِ، ليسَ فقط في الدّراساتِ النّحويّة و الصّرفيّة بلْ حتى في دراسات أهلِ التّجويدِ والْقراءاتِ ٠

٩٠ يعملُ مبحثُ المصطلحاتِ على وضعِ الْبدائلِ الاصطلاحيّة للالفاظ الأجنبيّة الّتي تتميّزُ بأصالتِها التّراثيّة مع إمكانية انسجامِها و تصورات المحدثينَ في مصطلحاتِهم؛ فمن ذلكَ مصطلحُ "احوالِ الأبنيةِ" الّذي أعتقدُ أنّه الْبديلُ المناسبُ لِلمصطلحِ

ٱلْأَجنبيّ (Morphophoneme) الذى ترجم بالمصطلح
(التّغيير الصّرفيّ ـ الصّوتيّ) .

١٠ . يُبْرِزُ هذا الفصلُ (وهي أهمُّ نتائجه) أصالة الرّضيّ في وضع الاصطلاحاتِ الصّوتيّة سواءٌ تلك الّتي وضعها فكرةً وَلَفْظاً أمْ وضعها لفظاً فقط ، وحَرَصْتُ فيها على استخدام ألفاظه الّتي استعملها في عرض فكرته الخاصة .
والمصطلحات هي: ٱلْمُسْتَفِلةُ ، وآلةُ الحروفِ ، وآلةُ الصّوتِ ، وآلةُ الضّمةِ ، وٱلْأعلى ، وٱلْأنزلُ ، وأوْضاعُ آلةِ الحروفِ ، وفضيلةُ الحَرْفِ ، وهي (ذاتُ أهميّة بالغةٍ في نظام التمايز الصوتيّ ، والاعتبارات الصوتية في العربية) ، وشبهُ النّفخِ ، ولا أبنيةَ ولا احوالَ أبنيةٍ ، وٱلْاعتدالُ ، وبين بين المشهورِ ، وبَيْنَ بَيْنَ ٱلْبعيد ، والتّبيينُ والتّنافُرُ ، وٱلْحذفُ نَسياً ، وٱلْحرفُ ٱلْمناسبِ (ٱلْمتوسط) ، ونَسقٌ واحدٌ ، والصّوتُ السّاذج ، وجوهرُ الحرفِ ، ومادّةُ الحَرفِ ، ومفهومُهُ في مَركب الصّوْتِ ومفهومُهُ لمصطلح النّبرِ ، وتركيبه لفضيلةِ الشّينِ (التّفشي والرّخاوة) ، ومفهومُهُ لِلْجَهرِ ، والْهَمسِ ، واحوالِ الأبْنية ومفهومُهُ المُتقدّمُ جداً للإدغامِ ، والساكنُ والمتحركُ (اللّذان جعلتهما مع مصطلحاتِ ٱلتّجاورِ لا في الصّفاتِ كما وُجِدَ في استعمال بعضِ المُحدثين) وكذلكَ مصطلح الخفاء الذى رأيتُ أنْ أُقَسّمه الى دلالاتٍ اعتباريّة متعددة ، والسلاسةُ الصوتيّة والازدواجُ ٱللّذان هما أحدُ مصطلحاتِ البلاغيين في الأصْلِ .

١١ . وقد وجدتُ عبر عددٍ من المصطلحاتِ تفاعلاً واضحاً بين الدّراسات ٱللّغويّة مع دراساتِ أهلِ التّجويدِ ، والقراءاتِ ٱلْقُرآنيّة ، وبعضِ دراسات الفلاسفة والأفكار المَنطقيّة من نحو مصطلحات : التأليفِ ، وبَيْنَ اللفظين ، والتّسهيلِ ، وٱلْحرفِ ، ومادةِ ٱلْحرفِ ، والصّوتِ السّاذج ، وآلةِ الحروف ، وآلة الصّوت وغيرها .

الفصل الثاني

اتجاهات الدراسة الصوتية

الاتجاه الاول : الاصوات في حالة الافراد

الاتجاه الثاني : الاصوات في حالة التجاور والتركيب (التعاملية)

الاتجاه الثالث : الاصوات في نظام الاداء

مما لا ينكر أنّ الرّضيّ كغيره من المتأخرين قد عمل على الإفادة من تراث من سبقه من المتقدمين كالخليل وسيبويه وغيرهما ، وذلك ممّا لا يمتنع معه أنْ يكونَ لكلّ عالم منهجه واتجاهه في الدّرس والتّحليل، وهو ما نجده عند الرّضيّ ، الذي يحدّد دراسته الصّوتيّة في ثلاثة اتّجاهات :

- الاتّجاه الأوّل : الأصوات في حالة الإفراد .
- الاتّجاه الثّاني : الأصوات في حالة التّركيب والتّجاور (وهي : التّعامليّة) .(١)
- الاتّجاه الثّالث : الأصوات في نظام الأداء .

وفيما يأتي تفصيلات هذه الاتجاهات الثلاثة في هذا الدرس :

- الاتّجاه الأوّل : الأصوات في حالة الإفراد .

وتتحدّد مجالاته في الآتي :

١ - إنتاج الأصوات :

يقوم التّفكير الصّوتيّ عند الرّضيّ هنا على تصوّرين أساسيّين :
الأوّل : ماهيّة الصّوت أو الحرف، وقد سمّاه : (الصّوت السّاذج) ، الذي هو المادّة الأوّليّة البسيطة للأصوات اللّغويّة جميعاً ، قال الرّضيّ : " ... لأنّ الصّوتَ السّاذجَ الذي هو مَحَلُّ الحُروفِ - والحُروفُ هَيْئَةٌ عارِضَة لَهُ - غَيْرُ مُخالِفٍ بَعْضُه بعضاً فِي الحَقِيقَةِ "(٢) فهو يعني تصوّره لإنتاج الأصوات اللّغويّة على أنّها في حالتها الأوّليّة أحاديّة التّركيب غير متميّزة بعضها عن بعض فهي متشابهة ، ولا تدرك أجراسها الخاصّة بكلّ منها .
وهنا يأتي دورُ آلة الحروف أو آلة الصّوت (وهي التي يبنى عليها ثاني التّصورين وهو المخارج الصّوتيّة ، حيثُ يتمّ توظيف الصّوت السّاذج لإنتاج الأصوات اللّغويّة مختلفةَ الأفراد، وقد عبّر الرّضيّ عن هذا بقوله : " فَإِذَا كَانَ سَاذِجُ الصَّوْتِ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ الحَرْفِ لَيْسَ بِأَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَلَوْلَا اخْتِلَافُ أَوْضَاعِ آلَةِ الحُروفِ - وَأَعْنِي

---

(١) يُنظر : النّظريّات الصّوتيّة في كتاب سيبويه : ١٤٤ و ١٥١ (لمصطلح التّعامليّة) .
(٢) ش ش ٣ / ٢٥٠ .

بِٱلَتِهـا مَوَاضِعَ تَكَوّنِهَا فِي ٱللِسَانِ وَٱلْحَلْقِ وَٱلسِّنّ وَٱلنّطْعِ وَٱلشَّفَة ،وَهِيَ ٱلْمُسَمَّاة بِٱلْمَخَارِجِ ـ لَمْ تَخْتَلِفْ ٱلْحُرُوفُ ". (١)

فعبر ٱلْأَوضاع ٱلْمختلفة لِآلَة ٱلْحروف يتمُّ إنتاج تلك ٱلْأفراد ٱلْمتمايزة ٱلّتي بها نظام ٱلتّواصل،لِأنّهم (أعني ٱلْمتكلمينَ) : " لَمْ يَقْنَعُوا بِسَاذِجِ ٱلصَّوْتِ،لِأَنَّ ٱلصَّوْتَ مِنْ حَيْثُ هُوَ هُوَ مُشْتَبَهُ ٱلْأَفْرَادِ،وَتَمَايُزُهَا بِٱلتَّقْطِيعِ وَٱلْاعْتِمَادِ عَلَى ٱلْمَخَارِجِ سَهْلٌ"(٢) كما يقول ٱلرّضيّ ٱلّذي يدرك بما تقدّم ضرورة وجود آلة خاصّة (عليها في مصطلحي آلة الصوت والة الحروف ، وهي ٱلْأَعْضاء ٱلنّطقيّة) لانتاج ٱلْأصوات ،وفي هذا يتسامى إلى تصوّرات بعض ٱلْمُحدَثين (٣) ٱلّذي رفض مايُشاع من أنّ تسمية ٱلْجهاز ٱلصّوتيّ وغيرها من ٱلتّسميات ماهي إلّا تسميات مجازيّة،لِأنّ ٱلْوظيفة ٱلْأساسيّة لهذه ٱلْأعضاء ليست ٱلنّطق،وأنّ ٱلنّطق أو إنتاج ٱلْأصوات ما هي إلّا وظيفة ثانويّة لها ،فرأى أنّ هذه ٱلْأعضاء مثلما خُلقتْ لأجل ٱلْقيام بِٱلْعمليّات ٱلْحيويّة كَٱلْأكل وَٱلتّنفس،فإنّها كذلك قد خُلِقتْ لِلْقيام بِٱلْوظيفة ٱلنّطقيّة،لِأنّها قد أحتوتْ من ٱلتّجاويف وٱلْمرونة ٱلْحركيّة مايفوق حاجات ٱلْإنسان عند ٱلْأكل أو ٱلتّنفس. (٤) وذلك ماأعتقد صوابه. (٥)

فَٱلرَّضيّ يمتلك رؤيةً واضحةً لطبيعة مايجري في تمايز ٱلْأصوات حيثُ ٱلْهواء ٱلْخارج من ٱلصّدر،وهو النَّفس (٦) وحركاتُ ٱلْأعضاء،وهيئاتُها ٱلْمختلفة، تتفاعل كلّها لِإحداث ٱلتّمايزات ٱلسّمعيّة ٱلّتي تكوّنُ ٱلْأصوات ٱللُّغويّة ٱلْمتنوعةَ .

وٱلرّضيّ يسند نظريته في هذه ٱلتّمايزات أو ٱلْانطباعات السَّمعيّة ٱلْمختلفة إلى أساسين وضعهما تحت مصطلح شاملٍ لَهُما هو (أوضاع آلة ٱلْحروف) ؛ وٱلْأساسانِ هما : ٱلتّمايُزُ بحسب ٱلْمخرج ،وَٱلتّمايُزُ بحسب ٱلصّفات .

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

(٢) ش ك ٢ / ٨٠ .

(٣) هـ د . عبد الرّحمٰن أيوب في: الكلام:إنتاجه وتحليله : ٢٧ .ومابعدها .

(٤) ينظر: نفسه : ٢٨ .

(٥) فقد أُثبت علمياً وجود مراكز مخيّة مسؤولة عن إدراك ٱلْكلام وإنتاجه،وزيادة على المصدر السابق ينظر : أضواء على ٱلدّراسات ٱللغويّة: ٢٣ ـ ٢٧،وٱللغة وٱلفكر : ٣٩ ،أين موقع اللغة في الدماغ : ١٠٤ .

(٦) ينظر ش ش ٣ / ٢٥٩ .

وكان قد أدرك ذلك بملاحظته وجود أصوات متّحدة ٱلْمخرج ،ولكنّها متباينة لٱختلاف وقعها ٱلسّمعيّ ،ويتّضح ذلك في قوله : " وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ ٱخْتِلَافَهَا قَدْ يَحْصُلُ مَعَ ٱتِّحَادِ ٱلْمَخْرَجِ ،بِسَبَبِ ٱخْتِلَافِ وَضْعِ ٱلْآلَةِ مِنْ شِدَّةِ ٱلْاعْتِمَادِ وَسُهُولَتِهِ وغير ذلك ،فَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ حَرْفٍ مَخْرَجٌ "(١).

فَشدّة ٱلاعتماد وسهولته يُشير بهما إلى صفتي ٱلشّدّة وٱلرّخاوة،وبغير ذلك إلى بقيّة ٱلصّفات من جهر وهمس وإطباق وصفير .. الخ .

وهذا ٱلتّصوّر يزداد وضوحاً حتّى يُعدّ من مسلمات هٰذا ٱلدّرس عندما نجده يقسّم ٱلْأصوات بحسب ٱلْمخارج ،وبحسب الصّفات الصّوتيّة ممّا ساقف عليه قريباً ،وفي هذا إدراك عميق لِمَا أجمله سيبويه في تقسيمه لِلْأصوات،وهو بعد منسجم مع ٱعتبارات علم ٱلْأصوات الغيزيائيّ (الأكوستيكي Acoustic Phonetics)(٢) ؛ إذْ ثبت عن طريق ٱلتّحليل ٱلْفيزيائيّ (الأكوستيكي) للكلام (أيْ ٱلْخصائص ٱلْماديّة) ،أنّ ٱلْاختلافات ٱلصّوتيّة ٱلّتي يُمكن إدراكها تعود إلى شيئين : درجة ٱلصّوت المتكوّن في ٱلْحنجرة فيما يخصّ ٱلْأصوات ٱلْمجهورة ،وٱختلافات ٱلْموجات الصّوتيّة تبعاً لٱختلاف مكان ٱلنّطق، ولٱختلاف ٱلشّكل ٱلْكليّ لتجويف مافوق ٱلْحنجرة في أثناء إنتاج ٱلْأصوات.(٣)

فالرّضيّ بوعيه ٱلّذي قدّمه سابقاً،نظريّاً وعمليّاً يبرز فيه صفة ٱلْمتقدمين كٱلْخليل وسيبويه وٱلْمبرد وٱبن جنّيّ وٱبن يعيش (٤)،خاصّة ماكان من ٱبن جنّي حيث نجد ملامح نضج متقدّمة عن غيره (وإن كان متأخراً عن الرّضيّ)، ذلك حين يقول : " إِعْلَمْ أَنَّ ٱلصَّوْتَ عَرَضٌ يَخْرُجُ مَعَ ٱلنَّفَسِ مُسْتَطِيلاً مُتَّصِلاً حَتَّى يَعْرُضَ لَهُ فِي ٱلْحَلْقِ وَٱلْفَمِ وَٱلشَّفَتَيْنِ مَقَاطِعُ تُثْنِيهِ عَنِ ٱمْتِدَادِهِ وَٱسْتِطَالَتِهِ،فَيُسَمَّى ٱلْمَقْطَعُ أَيْنَمَا عَرَضَ لَهُ حَرْفاً ، وَتَخْتَلِفُ أَجْرَاسُ ٱلْحُرُوفِ بِحَسَبِ ٱخْتِلَافِ مَقَاطِعِهَا "(٥).

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥١ .

(٢) وهو : " فرع من علم ٱلْأصوات يهتمّ بدراسة ٱلْخصائص ٱلْماديّة أو ٱلْفيزيائيّة لأصوات ٱلْكلام أثناء ٱنتقالها منَ ٱلْمتكلم إلى ٱلسّامع ،وبعضهم يطلق عليه ٱسم علم ٱلْأصوات الفزيائيّ " (Physical Phonetics)

دراسة الصّوت : ٤ ،وقد ترجمه محمود السّعران بٱلسّمعي ،ينظر:علم اللغة : ٣٥٣ .

(٣) دراسة الصّوت : ١٨ ــ ١٩ (بتصرف) وينظر:مصطلح (مركب الصوت) ومقاربته لنظرية الحامل .

(٤) ينظر: العين ،المقدمة:١/ ٤٧ ــ ٥٠،ٱلْكتاب : ٤/ ٤٣١ ــ ٤٣٦،المقتضب : ١/ ١٩٢ ــ ١٩٦ ،سرّ الصّناعة : ١/ ٥٢ ــ ٥٣ ،شرح المفصل: ١٠/ ١٢٤ــ ١٣١.

(٥) سر الصّناعة : ٦/١ .

والرّضيّ بعد أنْ ينتهي من وضع الإطار العام لنظريّته السّابقة يأتي إلى وقفات تفصيليّة على المخارج الصّوتيّة وتوزيع الأصوات بحسبها، ثُمَّ ينتقل إلى الصّفات الصّوتيّة، وهو في ذلك يسير على المنهج المتعارف عليه في الدّراسات الصّوتيّة العربيّة التّراثيّة الّذي خطّه سيبويه ؛ وقد تابع الرّضيّ سيبويه في عدد المخارج وتوزيعها على المجرى النّطقيّ وتسمياتها، حتّى أنّه يهمل الوقوف على بعض المخارج اكتفاءً بما ذكره ابنُ الحاجب الّذي تابع سيبويه في كلّ ذلك إلّا ماكان من وصفه لمخرج اللّام الّذي كان مثار نقد الرّضيّ إذْ اعترض عليه واصفاً إيّاه بعدم الصّواب لمخالفته سيبويه وبقيّة علماء هذا الفن الّذين تابعوه . (١)

وقبل الدّخول في تفصيلات ذلك نقف على ماقدّمه الرّضيّ في الجانب العضويّ منها (أعني الجهاز الصّوتيّ) .

٢ ـ أجزاءُ آلةِ الصّوتِ :

ـــــــــــــ لابدّ لي قبل التّعرض لهذه الأجزاء من القول: إنّ الرّضيّ لم تتبلورْ عنده أهمية الوقوف على الجانب التّشريحيّ من المخارج الصّوتيّة إلا ماكان منه موضع حاجة ؛ ولهذا كانت مادّة هذا الموضوع مختلطة مع اصطلاحات المخارج الصّوتيّة، ولم أجدْ إلّا مجرّد تسميات للأعضاء خالية من الوصف والتّحديد مكتفياً (فيما يبدو) بالمتعارف من أوصافها ومواقعها ، خلا ماكان مع الأسنان الّتي إتّبع معها سلوكاً جديداً ومتفرّداً (إذْ لم يُسبق اليه) متمثّلاً بالوقوف الدّقيق على أقسامها وتسميات كلّ قسمٍ منها، وتوزيعها على جانبيْ الفم، وعلى الفكيْن الأسفل والأعلى ، وكلّ هذا في سبيل الوصف الدّقيق لمخرج صوت الضّاد الّذي كان قد تفرّد بموالفات عديدة تحاول ضبطه، وضبط كلماته، بسبب تعسّر تمييزه عن الظّاء من قِبَل أبناء لغة الضّاد .

ويتّصل بهذا السّلوك ماكان من وصفه للِّسان فقد أشار إلى حافتَيْه اللّتين تشاركان في نطق بعض الأصوات، ومنها صوت الضّاد ، وسأقف عند كلامه في تشريح هذه الأعضاء بعد قليل ، وقبل ذلك أقول :

لقد أشار الرّضيّ إلى معظم الأعضاء الصّوتيّة بتسمياتها وشارك الجمهور في قصر المخارج الصّوتيّة ابتداءً من الحلق، فلم يشرْ إلى الحنجرة ولا إلى أوتارها، ولم يشر إلى القصبة الهوائيّة، مع أنّها كانتا معروفتَيْن في زمانه وقبله ، فابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) خصص بعض رسالته (أسباب حدوث الحروف) (٢) لتشريح الحنجرة واللّسان، وأشار

---

(١) ينظر : ش ش ٣ / ٢٥٣ .

(٢) الفصل الثّالث من (أسباب حدوث الحرف) : ٦٤ ـ ٧١ .

مكتبة لسان العرب
https://lisanarabs.blogspot.com

ٱبنُ ٱلْبناء (ت ٤٧١ هـ) إلى ٱلْحنجرة وهو ٱلْقصبة ٱلْهوائيّة وسمّاها (قَصَبَةَ ٱلْحَلْقِ) في كتابه: بيان ٱلْعيوب . (١)

غير أنه عوضاً عن هذا أدرك وجود عضو مشارك في عملية التّصويت أُصطلح عليه بالصّدر، وقد أورده هكذا مبهماً دون تحديد ، وكأنّه يعمّ به منطقة أسفل ٱلْحلق ؛ قال ٱلرّضيّ : " لِأَنَّ ٱلنَّفَسَ ٱلْخَارِجَ مِنَ ٱلصَّدْرِ ـ وَهُوَ مَرْكَبُ ٱلصَّوْتِ ـ يَحْتَبِسُ . . . " (٢) ، ونقل عن بعضهم دوره في تمييز الجهورات عن المهموسات بقوله : " قِيلَ : وَٱلْمَجْهُورَةُ تَخْرُجُ أَصْوَاتُهَا مِنَ ٱلصَّدْرِ " (٣) ، وفي سبب صفة ٱلْقلقلة الّتي تتميّز بها مجموعة من ٱلْأصوات قال في سببها أنّه " شِدّة ٱلصّوْتِ ٱلْمُتَصَعِّدِ مِنَ ٱلصَّدْرِ " (٤) ، ولم يتعدّ هذه المواضع في ذكره له .

وقد أشار إلى بقيّة ٱلْأعضاء الصّوتيّة (أيْ أجزاء آلة ٱلصّوت) في قوله : " وَأَعْنِي بِآلَتِهَا مَوَاضِعَ تَكَوُّنِهَا فِي ٱللِّسَانِ وَٱلْحَلْقِ وَٱلسِّنِّ وَٱلنِّطْعِ وَٱلشَّفَةِ وَبِٱلْمَسَمَّاةِ ٱلْمَخَارِجَ " (٥) .

فهذه ٱلْأعضاء تتوزّع عليها ٱلنّقاط ٱلْمخرجيّة ، وقد وجدته في بعض ٱلْمواضع يعبّر عن جميع هذه ٱلْأعضاء بالحلق والفم، إذْ قال في ٱلْمجهورة : " . . . إِذِ ٱلْاعْتِمَادُ عَلَى مَوْضِعٍ مِنَ ٱلْحَلْقِ وَٱلْفَمِ يَحْبِسُ ٱلنَّفَسَ " (٦) وينسب بعض ٱلْحروف فيقول : " حُرُوفُ ٱلْفَمِ وَٱلشَّفَةِ " (٧) ، وهي ٱلْحروف الّتي ٱرتفعت مخارجها أمام ٱلْحروف ٱلْحلقيّة الّتي سَفَلَتْ مخارجها (٨) ، ولتبيين مواضعها في آلة ٱلصّوت يعمد إلى ٱستعمال ٱلْمصطلحات ٱلدّالة عليها، فيستعمل مع ٱلْحلق: ٱلْأعلى ، وٱلْأدخل ، وٱلْأنزل ، (مخرجاً) ليعطي ٱلشّكل ٱلْعمودي لِلْحلق ، أمّا مع بقيّة ٱلْحروف فيستعمل ٱلْأقرب إلى خارج ٱلْفم أو ٱلْأقرب إلى ٱلْعضو ٱلتّالي ، وهكذا ٱستعمل خاصةً مع حروف ٱلْمخرج ٱلْواحد (على ما سنقف عليه في تسميات المخارج وتوزيع ٱلْأصوات عليها) .

---

(١) ينظر : ٱلدّراسات ٱلصّوتيّة : ٩٧ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٥٩ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٥٨ .

(٤) ش ش ٣/ ٢٦٣ .

(٥) ش ش ٣/ ٢٥١ .

(٦) ش ش ٣ / ٢٥٩ .

(٧) ش ش ٣ / ٢٧٢ .

(٨) ينظر : مصطلحاته المرتفعة والمستفلّة .

كذلك ذكر ٱلرّضيّ في ٱلأعضاء ٱلمشاركة في ٱلنّطق: (الخيشوم)، إذ قال (في مابين ٱلشّديدة وٱلرّخوة) : " وَأَمَّا ٱلْيِمُ وَٱلنُّونُ، فَإِنَّ ٱلصَّوْتَ لَا يَخْرُجُ مِنْ مَوْضِعَيْهِمَا مِنَ ٱلْفَمِ، لٰكِنْ لَمَّا كَانَ لَهُمَا مَخْرَجَانِ فِي ٱلْفَمِ، وَفِي ٱلْخَيْشُومِ جَرَىٰ بِهِ ٱلصَّوْتُ مِنَ ٱلْأَنْفِ دُونَ ٱلْفَمِ " (١) وفي ٱلنُّون ٱلْخفيّة يقتصر مرور ٱلْهواء على هٰذا ٱلْمجرىٰ " إِذْ هِيَ نُونٌ سَاكِنَةٌ غَيْرُ ظَاهِرَةٍ مَخْرَجُهَا ٱلْخَيْشُومُ فَقَطْ " (٢) ومن ٱلنّص ٱلسّابق يتّضح أنّه يستعمل مرادفاً له هو (الانف) ؛ ولم يقدّم لنا أيّ تحديد لهذا ٱلْعضو ٱلّذي وصفه مكيّ قائلاً : " وَٱلْخَيْشُومُ ٱلَّذِي تَخْرُجُ مِنْهُ هٰذِهِ ٱلْغُنَّةُ، هُوَ ٱلْمُرَكَّبُ فَوْقَ غَارِ ٱلْحَنَكِ ٱلْأَعْلَى " (٣) وقال عنه أبو عمرو ٱلدّانيّ : " وَٱلْخَيْشُومُ خَرْقُ ٱلْأَنْفِ ٱلْمُنْجَذِبُ إِلَى دَاخِلِ ٱلْفَمِ " (٤) يوقّال فيه د. غانم قدوري إنّه أكثر وضوحاً من تعريف مكي (٥) ، إذ إنّه يحدّد ٱلمقصود بٱلْخيشوم بدقّة ٱلّذي يبدو أنّه كان واضحاً عند ٱلرّضي في قوله السابق .

ولم يشرْ ٱلرّضيّ إلى ٱللّهاة تعولا إلى دورها في إنتاج بعض ٱلْأصوات مع أنّ ٱلْخليل كان قد أشار إليها في نظامه ٱلْمخرجي، ونسب إليها ٱلْقافَ وٱلْكافَ (٦) ولم يشرْ إلى ٱللّثة، وٱستعاض عنها في ٱلمخارج بتسمية (فُوَيْق ٱلثّنايا) (٧)، وهو مصطلح أدّق من ٱللّثة؛ أمّا الأسنان، فقد قال عنها ٱلرّضيّ :

" إِعْلَمْ أَنَّ ٱلْأَسْنَانَ ٱثْنَتَانِ وَثَلَاثُونَ سِنّاً، سِتَّ عَشَرَةَ فِي ٱلْفَكِّ ٱلْأَعْلَى، وَمِثْلُهَا فِي ٱلْفَكِّ ٱلْأَسْفَلِ، فَمِنْهَا ٱلثَّنَايَا، وَهِيَ أَرْبَعٌ مِنْ قُدَّامٍ : ثِنْتَانِ مِنْ فَوْقٍ، وَمِثْلُهَا مِنْ أَسْفَلَ، ثُمَّ ٱلرَّبَاعِيَّاتُ، وَهِيَ أَرْبَعٌ أَيْضاً : رُبَاعِيَتَانِ مِنْ فَوْقٍ، يَمْنَةً وَيَسْرَةً، وَمِثْلُهُمَا مِنْ أَسْفَلَ، وَخَلْفَهُمَا ٱلْأَنْيَابُ ٱلْأَرْبَعَةُ :

---

(١) ش ش ٣ / ٢٦١ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٥٤ ــ ٢٥٥ ، وينظر ش ش ٣ / ٢٧١ .

(٣) ٱلرّعاية : ٢٢٤ .

(٤) ٱلتّحديد : ١١٧ .

(٥) ٱلدّراسات الصّوتيّة : ١٠٣ .

(٦) العين : ١ / ٥٧ .

(٧) ش ش ٣ / ٢٥٤ .

نَابَانِ مِنْ فَوْقٍ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، وَمِثْلُهُمَا مِنْ أَسْفَلَ ، وَخَلْفَ الْأَنْيَابِ الضَّوَاحِكُ ، وَهِيَ أَرْبَعٌ: ضَاحِكَتَانِ مِنْ فَوْقٍ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، وَمِثْلُهُمَا مِنْ أَسْفَلَ ، وَخَلْفَ الضَّوَاحِكِ الْأَضْرَاسُ ، وَهِيَ سِتَّ عَشْرَةَ : ثَمَانٍ مِنْ فَوْقٍ : أَرْبَعٌ يَمْنَةً وَأَرْبَعٌ يَسْرَةً ، وَمِثْلُهَا مِنْ أَسْفَلَ ؛ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْبُتُ لَهُ خَلْفَ الْأَضْرَاسِ النَّوَاجِذُ ، وَهِيَ أَرْبَعٌ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ : ثِنْتَانِ فَوْقَ وَثِنْتَانِ أَسْفَلَ ، فَيَصِيرُ سِتّاً وَثَلَاثِينَ سِنّاً » (١) .

وهذه الوقفة لم يُسبقْ الرّضي إلى مثلها، وقد كان لها أثرٌ واضحٌ عند بعض المتأخرين من علماء التّجويد . (٢) أمّا وقفته الأخرى التّي سبق أنْ أشرتُ إليها، فهي مع اللسان عندما وصف حافتيه بقوله :

« الْحَافَّةُ : الْجَانِبُ ، وَلِلِّسَانِ حَافَّتَانِ مِنْ أَصْلِهِ إِلَى رَأْسِهِ كَحَافَتَيِ الْوَادِي . . » (١)

ومن الأجزاء الأخرى لآلة الصّوت (الْحَنَكُ الْأَعْلَى) وقصد به سقف الفم ، ولم يذكره الرّضي إلّا في تقسيمات المخارج التّي تشارك نقاطه مع أحد أقسام اللسان في عملها فمثلاً في مخرج (ج ، ش ، ي) قال الرّضيّ نقلاً عن سيبويه : « بَيْنَ وَسَطِ اللِّسَانِ وَبَيْنَ وَسَطِ الْحَنَكِ الْأَعْلَى » (١) .

وتقسيمات الحلق مع تقسيمات اللسان لم يُراعِ فيها النّاحية العضويّة بل هي لدواعٍ مخرجيّة لأجل الدّقة في تعيين المَخرج ليس إلّا ، ولذلك لم أُشرْ إليها هنا وأشير إليها في آلية المخارج الأساسية غير ما كان من تقسيم الاسنان) .

٣ ـ التّمايزُ الصّوتيّ عند الرّضيّ :

يُقيم الرّضيّ نظريته في التّمايز الصّوتيّ بتميُّز أصوات اللغة المختلفة على وفق آليَّتين : آليَّة المخارج وآليَّة الصّفات . وفيما يأتي بيانهما :

أ ـ آليّة المخارج :

يعني الرّضيّ تصوره لهذه الآليّة بأنْ تشكّل الأعضاء النّطقيّة المتحركة كالشّفتين واللسان واللهاة الأسفل وجدار الحلق (الأماميّ) مناطق إعاقة للنّفَس الخارج من الصّدر (أيْ : عند الزفير) ، يطلق عليها الدّرس الحديث مناطق الاحتكاك ،

---

(١) ش ش ٣/ ٢٥٢ .

(٢) ينظر : الدّراسات الصّوتية ، ١٠٥ .

وَعلى ٱلرّغم من تشابه بعضها في كيفيات ٱلْاعاقة إلّا أنّ ٱختلاف نقاطها على طول ٱلْمجرىٰ ٱلْهوائيّ يُؤدي إلى تمايز ٱلْأصوات ،وإذا كان الرّضيّ وغيره من علماء ٱلْعربية قد ٱكتفوا بهذا حسبٌ ،فإنّ ٱلدّرس ٱلْحديث يرجع هذا ٱلتّمايز أيضًا إلى غرفة ٱلرّنين ٱلّتي تعملها ٱلْأعضاء ٱلصّوتيّة(٣) ولمعرفة موقفِ ٱلرّضيّ من ٱلْمخارج ٱلصّوتيّة،وتوزيع ٱلْأصوات عَمِلْتُ ٱلْجدول ٱلْآتي ٱلّذي ٱستندتُ أساسياته على بحث ٱلدّكتور : هادي نهر الموسوم بـ (الحروف والاصوات العربية في مباحث القدماء والمحدثين(*) وأبقيت على تصنيف ابن جني للفائدة العلمية ولأثر هذا ٱلرّجل في ٱلدّراسات ٱللاحقة :

---

(٣) دراسة الصوت ص ١٦ .

(*) البحث منشور في (مجلة آداب المستنصرية ،ع ٨ ،ص ٢٠٧ ــ ٢٦٠) سنة ١٩٨٤م.

جدول رقم (١) المخارج الصوتية عند الرضي مع سيبويه وابن جني .

	المخارج عند سيبويه	عند سيبويه ت ١٨٠هـ	عند ابن جني ت ٣٩٢هـ	عند الرضي ت ٦٨٨هـ	الملاحظات
٠١	أقصى الحلق .	ء هـ ح	ء ح هـ	ء هـ ح	لي وقفة مع ترتيب الرضي لحروف الحلق .
٠٢	وسط الحلق .	ع ح	=	=	
٠٣	أدنى الحلق .	غ خ	=	=	سماه الرضي : (رأس الحلق) (١)
٠٤	من أقصى اللسان ، وما فوقه من الحنك الأعلى .	ق	=	=	اقتصرفي (ق ك) على توضيح الألفاظ وقال في إدغام الكاف في القاف : " .. والإدغام حسن والبيان أحسن ؛ لأن القاف أدخل " (٢) (ينظر مصطلح الأدخل) .
٠٥	من أسفل ذلك وأدنى إلى مقدم الفم .	ك	=	=	
٠٦	من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى .	ج ش ى	=	=	قال الرضي : " الجيم أقرب إلى أصل اللسان ، وبعده إلى خارج الفم الشين ، وبعده إلى خارجه الياء " (٣) .
٠٧	من أول حافة اللسان وما يليها من الاضراس	ض	=	=	بعد أن وضح حافة اللسان وأقسام الأسنان قال : " فأنت تخرج الضاد من أقصى إحدى حافتي اللسان إلى قريب من رأس اللسان ، ومنتهاه أول مخرج اللام ... ومواضعها من الأسنان نفس الأضراس العليا ، فيكون مخرجها بين الأضراس وبين أقصى إحدى حافتي اللسان ، وأكثر ما تخرج من الجانب الأيمن على ما يؤذن به كلام سيبويه ، وصرح به السيرافي " (٣) .
٠٨	من أدنى حافة اللسان إلى منتهى	ل	=	=	قال الرضي : " واللام أبتدأوه على ما قال سيبويه - من الضاحك إلى الثنية

(١) ش ش ٣ / ٢٥١ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٧٨ .

(٣) ش ش ٣ / ٢٥٢ .

	المخارج عند سيبويه	عند سيبويه ت١٨٠هـ	عند ابن جني ت٣٩٢هـ	عند الرضي ت٦٨٨هـ	الملاحظات
	طرف اللسان بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية (٤) .				«إِنَّ الضَّادَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْأَضْرَاسِ، وَحَافَّةِ اللِّسَانِ، وَاللَّامُ يَخْرُجُ مِنْ فُوَيْقِ الضَّاحِكِ وَالنَّابِ وَالرَّبَاعِيَّةِ وَالثَّنِيَّةِ، لَا مِنْ نَفْسِ الْأَسْنَانِ وَحَافَّةِ اللِّسَانِ» (١)
٩	من طرف اللسان بينه، وما فويق الثنايا	ن	=	=	قال الرضي: «النُّونُ أَقْرَبُ إِلَى رَأْسِ اللِّسَانِ مِنَ الرَّاءِ» (٢) وقال: «وَالْحَقُّ أَنْ يُقَالَ إِنَّ لِلنُّونِ مَخْرَجَيْنِ: أَحَدُهُمَا فِي الْفَمِ، وَالْآخَرُ فِي الْخَيْشُومِ» (٣)
١٠	من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان.	ر	=	=	قال الرضي: «وَمَخْرَجُ الرَّاءِ هُوَ مَخْرَجُ النُّونِ غَيْرَ أَنَّهُ أُدْخِلَ فِي ظَهْرِ اللِّسَانِ قَلِيلًا، لِانْحِرَافِهِ إِلَى اللَّامِ، أَيِ الرَّاءُ مَائِلٌ إِلَى اللَّامِ» (٤)
١١	ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا.	ط، د، ت	=	=	قال الرضي: «... مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَّصِلَ طَرَفُ اللِّسَانِ بِالثَّنَايَا كَمَا اتَّصَلَ بِأُصُولِهَا، لِإِخْرَاجِ الطَّاءِ وَالدَّالِ» (٤).
١٢	ما بين طرف اللسان	ز، س، ص	ص، ز، س	ز، س، ص	قال فيها وفي سابقتها: «تَرَاخَيْنَ عَنِ اللَّامِ إِلَى الثَّنَايَا، وَلَيْسَ فِيهِنَّ انْحِرَافٌ نَحْوَ اللَّامِ كَمَا كَانَ فِي الرَّاءِ» (٥) وَيَقُولُ فِي عبارة سيبويه: «فَعَلَى مَا قَالَ مَخْرَجُ هَذِهِ الْحُرُوفِ هُوَ مَخْرَجُ النُّونِ» (٦)
١٣	ما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا.	ظ، ذ، ث	=	=	اقتصر على قوله (في معنى طرف الثنايا): «أَيِ الثَّنَايَا الْعُلْيَا» (٧) وقال في إدغام اللام فيهن (٨) «لِأَنَّهُنَّ مِنْ أَطْرَافِ الثَّنَايَا، وَقَارَ بْنَ مَخْرَجَ الْفَاءِ» وقال: «إِذَا وَقَفْتَ عَلَيْهَا رَأَيْتَ طَرَفَ اللِّسَانِ خَارِجًا عَنْ أَطْرَافِ الثَّنَايَا» (٩)

(١) ش ش ٣ / ٢٥٣ . والكتاب: ٤/ ٤٣٣ وفيها سقط بعد كلمة (فويق) إلى ما قبل كلمة (الثنايا) في مخرج النون، والصحيح في طبعة بولاق ٢/ ٤٠٥ (وقد ذكرها الرضي كاملة مع بعض التصرف. (٢) ش ش ٣/ ٢٥٣ . (٣) ش ش ٣ / ٢٧١ . (٤) ش ش ٣/ ٢٥٣ (٥) ش ش ٣ / ٢٧٩ . (٦) ش ش ٣/ ٢٥٤ ونقل الرضي عبارة سيبويه لكنه جعل مكان فويق الثنايا، طرف الثنايا وذكره لطرف الثنايا يتنافى مع مقولة بعدها وهو كون مخرج هذه الحروف مخرج النون وعبارته في مخرج النون التي هي رأي سيبويه في الكتاب ٤/ ٤٣٣ فيمكن أن يكون تحريفاً . (٧) ش ش ٣/ ٢٥٤ (٨) ش ش ٣/ ٢٧٩ (٩) ش ش ٣/ ٢٨٣

المخارج عند سيبويه	عند سيبويه ت ١٨٠هـ	عند ابن جني	عند الرضي ٦٨٨هـ	الملاحظات
من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا .	ف	=	=	لم يعرض له ، ولكنه ذكر مقاربة مخرج (ظ ذ ث) لمخرج الفاء (١) .
مابين الشفتين .	ب م و	=	=	لم يعرض له ، وفي مكان آخر قال عن الميم : "لِأَنَّ فِيهِ الْغُنَّةَ كَالنُّونِ ، وَهُوَ شَفَوِيٌّ كَالْبَاءِ" (٢) ، وقال "آلَةُ الضَّمَّةِ الشَّفَةُ" (٣) وهي أيضاً "مَخْرَجُ الْوَاوِ" (٤) .
الخياشيم	ن	ن (الخفية والخفيفة)	=	قال في إخفاء النون مع سوى حروف الحلق : "... فَيُقْتَصَرُ عَلَى مَخْرَجِ الْخَيْشُومِ ، فَيَحْصُلُ النُّونُ الْخَفِيَّةُ" (٥) . ونقل في المتفرعات عن السيرافي نحو ذلك (٦) .

(١) ش ش ٣/ ٢٨٣ .
(٢) ش ش ٣ / ٢١٦ .
(٣) ش ش ٣/ ٢٧٦ (ينظر مصطلح آلة الضمة)
(٤) ش ش ٣ / ٢٦١ .
(٥) ش ش ٣ / ٢٧٢ .
(٦) ينظر ش ش ٣ / ٢٥٤ ـ ٢٥٥ وينظر : الكلام عنها في الأصوات المتفرعة من هذا الفصل .

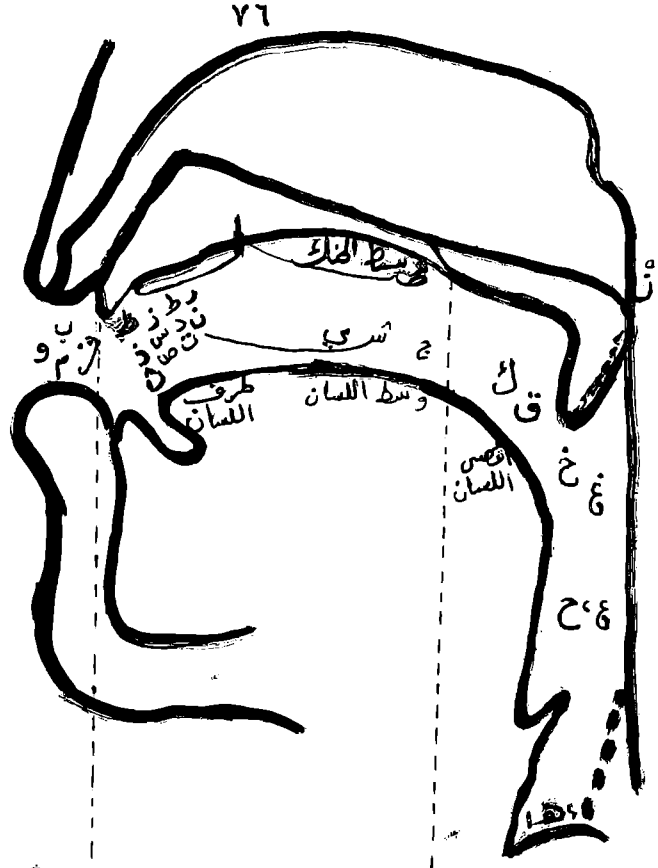

أ. مقطع طوليّ لآلة الحروف.

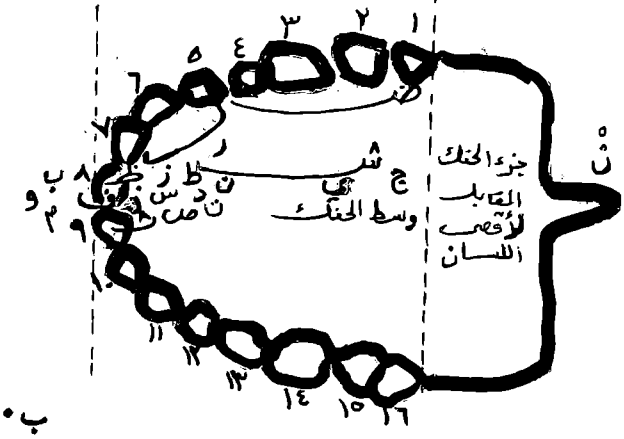

ب. مقطع عرضي للأسنان والحنك الأعلى.

آلة الحروف وتقسيم الأسنان وتوزيع الأصوات بحسب مخارجها عند الرّضيّ (*).

- أرقام الأسنان :

(١ ــ ٤) و (١٦ ــ ١٣)	= الأضراس
٥ و ١٢	= الضواحك
٦ و ١١	= الأنياب
٧ و ١٠	= الرّباعيّات
٨ و ٩	= الثّنايا

(*) مخطط الرسم عن : علم الاصوات العام : ٧٥

ـ وقفة مع المخارج الصوتية:

---

١ ـ أكد الرضي، وبشكل صريح تبنيه لترتيب سيبويه، وتفضيله على ترتيب أستاذه الخليل او أية آراء مخرجية من نحو ماذكر للأخفش والفراء، قال بعد أن ذكر ترتيب الخليل، ومخالفة الفراء لسيبويه في موضعين: " أَحَدُهُمَا أَنَّهُ جَعَلَ مَخْرَجَ الْيَاءِ وَالْوَاوِ وَاحِدًا، وَالْآخَرُ أَنَّهُ جَعَلَ الْفَاءَ وَالْمِيمَ بَيْنَ الشَّفَتَيْنِ "(١) قال عقيبه ذلك: " وَأَحْسَنُ الْأَقْوَالِ مَاذَكَرَهُ سِيبَوَيْهِ، وَعَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ بَعْدَهُ "(١).

أما بشأن الأخفش فقد قال: " وَمَذْهَبُ الْأَخْفَشِ أَنَّ الْأَلِفَ مَعَ الْهَاءِ، لَاقُدَّامَهَا وَلَا خَلْفَهَا "(٢)، فقد دحضها بقول ابن جني (الذي يرى ـ مثل سيبويه ـ كونهما متعاقبين مع اختلافه عنه بتقديم الألف): " لو كَانَا مِنْ مَخْرَجٍ لَكَانَ يَنْقَلِبُ الْأَلِفُ هَاءً لَاهَمْزَةً إِذَا حَرَّكْتَهَا، وَلِمَانِعٍ أَنْ يَمْنَعَ مِنْ انْقِلَابِ الْأَلِفِ هَمْزَةً بِالتَّحْرِيكِ "(٢).

وفي مخالفة المصنف سيبويه في مخرج اللام وأنه : " مَادُونَ طَرَفِ اللِّسَانِ إِلَى مُنْتَهَاهُ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ "(٣) أي : يجعله من نفس الأسنان، وحافة اللسان، بحسب الرضي، فقد أعقبه بـ : " وَجَمِيعُ عُلَمَاءِ هَذَا الْفَنِّ عَلَى مَاذَكَرَ سِيبَوَيْهِ، وَالْمُصَنِّفُ خَالَفَهُمْ كَمَا تَرَى، وَلَيْسَ بِصَوَابٍ "(٤).

وتبني الرضي لآراء سيبويه سواء أكانت هنا أم في غيره تُبيِّن حصافة تفكيره السليم في أتباع الرأي الأسلم علمياً، فالرضي ـ كما أعتقد ـ ليس بشخصية مقلدة، وليس همها إلا تبني الآراء التي يعتز بها العلماء، وهي آراء سيبويه على هو رجل تثبت كتاباته تمكنه في جوانب الدراسات اللغوية المختلفة، ويكفي في ذلك أنه لم يتبنَّ رأي أستاذ سيبويه الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو في مكانته لدى العلماء، وقد تبنت آراءه جماعة غير قليلة من العلماء.

ويتبيَّن من الجدول متابعته تلك، وهو يخالف ابن جني عند مخالفته في ترتيب بعض الأصوات عما عند سيبويه.

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥٤.

(٢) ش ش ٣ / ٢٥١.

(٣) الشافية : ٢٥١.

(٤) ش ش ٣ / ٢٥٣.

٢ ــ لقد وقفتُ في موضوع الإدغام على نصّ للرّضيّ يتّخذ فيه ترتيباً للحروف الحلقيّة مغايراً ماهو متعارف عليه في ترتيبها عند الخليل أو سيبويه أو ابن جنّيّ ، إذْ قال في هذا النص : " ... لأنّ أنزلَها في الحلقِ أثقلُها ، فأثقلُها الهمزةُ ثمّ الهاءُ ، ثمّ العينُ ثمّ الغينُ ، ثمّ الحاءُ ، ثمّ الخاءُ ، فالحاءُ أخفُّ من الغينِ والخاءِ " (١) .

فهو يقدّم الحاء ويؤخّر الغين ، والحال أنّ الحاء مع العين من وسط الحلق والغين من رأس الحلق (أدنى الحلق) مع الخاء ، ولكن مايُمكن أن يكونَ ترتيباً جديداً أوّل وهلة يتهاوى ساقطاً للأسباب الآتية :

آ . آخر النّص يناقض ماقبله ، وهو قوله : " فالحاءُ أخفُّ من الغينِ والخاءِ " ومقتضى ما تقدّمه يقول إنّ الحاءَ أثقل من الخاء لكونها أنزل منها ؛ ولكنّ هذا الجزء من النّصّ لايتطابق أيضاً مع موقفه السّابق الّذي عرضته في الجدول .

ب ــ تصريحه الواضح باعتماده ترتيب سيبويه بحسب الفقرة (١) ، ولَمْ أجد أيّة إشارة غير هذه قد يتّخذ فيها ترتيباً جديداً أو أيّ تعديل يراه .

جـ ــ يقولُ الرّضيّ في الحاء : " وإنّما مُناسَبتُهُ للعينِ ، فلأنّهما من وسطِ الحلقِ " (٢) وهذا يناقض النّص المتقدّم ، لأنّ ذلك يضعُ الحاء مع الخاء في رأس الحلق أو أدنى الحلق على ماهو الظّاهر .

والّذي أخرج به ممّا سبق أنّ في النّص السّابق شيئين : الأوّل تحريف بين الغين والحاء ، ربّما يكون من عمل النّاسخ ، وربّما يكون سهواً من الرّضيّ تأثّراً لاشعوريّاً بالترتيب الهجائي .

والثّاني : تصحيف في الجزء الأخير من النّصّ وهو أنّ الحاءَ خاءٌ والخاءَ حاءٌ .

وعلى هذا أرى أنّ النّصّ مدار الحديث يجب أنْ يكون هكذا : (لأنّ أنزلها في الحلق أثقلها ، فأثقلها الهمزةُ ثمّ الهاءُ ، ثمّ العين ، ثمّ الحاء ، ثمّ الغين ، ثمّ الخاء ، فالخاء أخف من الغين والحاء) .

٣ ــ إنْ كان الرّضيّ لم يشرْ صراحة إلى حاجة علم الأصوات في إنتاج الأصوات اللّغويّة إلى علم التّشريح ، فإنّه قد أقرّ ضمناً بذلك بحرصه على التّقسيم الدّقيق للأسنان ووصف حافّة اللّسان عند وقفته على مخرج الضّادِ . (على ما سبق من أجزاء آلة الصّوتِ) .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٦٥ ، وللتأكّد من صحة الطبع وقفت على الموضوع في طبعة أخرى من شرح الشافية بتحقيق عبد الرحمن خليفة وقد وجدتها تطابق الطبعة المعتمدة ينظر منها : ٣٣٨ ، ولتبنّيه آراء سيبويه ينظر منها : ٣٣٢ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٦٦ .

وقد أشار إلى أهمية ذلك بعضُ ٱلعلماء ٱلسّابقين كٱبن سينا في رسالته (ٱلسّابقة)[١]، والدّرس الحديث يرى أنّ على ٱلباحث الصّوتيّ أنْ يتمتّع بقدر من ٱلمعلومات ٱلّتي يقدّمها علم ٱلتّشريح؛ لأنّها تمثّل ٱلحجر ٱلأساسيّ في وصف ٱلأصوات وتصنيفها .[٢]

ـ ٱلأصواتُ ٱلمتفرّعة :

ـــــــــــــــ (سبق مصطلح المُتفرّع) . يقدّم لنا الرّضيّ هنا (وهي ٱلخطوة ٱلمتعارف عليها في ٱلدّرس ٱلصّوتيّ ٱلعربيّ مبحثاً جديراً بأنْ يذكّرنا باحدث نظريات علم ٱلأصوات الوظيفيّ أو ٱلتّشكيليّ (phonology) وهي ٱلنّظريّة ٱلفونيميّة ٱلّتي تعدّ معلماً مميّزاً لمدرسة براغ ٱللغويّة[٣]، حيثُ يقدّم لنا مجموعة من ٱلأصوات أُصطلح عليها بٱلمتفرّعة و " هي في ٱلحقيقة أشكال صوتيّة لِلحروف ٱلأصليّة تختلف عنها ٱختلافاً صوتيّاً محدّدا ، سببه وقوع هذه ٱلحروف في بيئة صوتيّة تجعلها تُلفَظ بشكل مغاير جزئيّاً لِلشّكل ٱلأصليّ لها ... وعلم اللغة الحديث يسمّي هذا ٱلصّوت (ألفوناً ـ Allophone)[٤] .

فما هذه ٱلأصوات إلّا هيئات صوتيّة لِلأصوات ٱلأصول ٱلّتي تمثّل ٱلفصحى ، ويبدو أنّ ٱنعدام أثرها الدّلاليّ وٱختلافها بنحوٍ ما عن ٱلحروف ٱلأصول ٱلمقاربة هو ٱلّذي دعا سيبويه (وهو أوّل من أشار إليها) الى محاولة تمييزها بوضع تسميات خاصة بها ، غير أنّ عمله لم يكن شاملا لجميع أو لأكثر هذه ٱلأصوات ٱلّتي " لاتَبِينُ إلّا بِٱلمُشَافَهَةِ "[٥] ممّا حدا ببعض علماء ٱلعربية إلى زيادتها ، ومحاولة ٱلوقوف على حقيقة ما ٱستحسن منها وما ٱستهجن ، (وهو تقسيم سيبويه لها) فقد وصف ٱلقسم ٱلأوّل بقوله : " وَهِيَ كَثِيرَةٌ يُؤْخَذُ بِهَا ، وَتُسْتَحْسَنُ فِي قِرَاءَةِ ٱلْقُرآنِ وَٱلأَشْعَارِ ... "[٦] .

---

(١) وأيضاً : ٱلرّازيّ في تفسيره الكبير ١/ ٦ ، وعلماء ٱلتّجويد بما حرصوا على وصف ٱلأعضاء ٱلصّوتيّة ، ينظر : ٱلدّراسات ٱلصّوتيّة : ٩٦ وما بعدها .

(٢) ينظر علم اللغة : ١٤٠ ـــ ١٤١ .

(٣) للوقوف على هذه المدرسة واتجاهاتها ومنجزاتها يُنظر : مدرسة براغ ٱللغويّة ، د . أحمد مختار عمر ، مجلة كلية الآداب والتربية ، جامعة الكويت ، ع ١١ ، ١٩٧٧ .

(٤) الفونيم : ٨٢ .

(٥) الكتاب : ٤/ ٤٣٢ .

(٦) الكتاب : ٤/ ٤٣٢ ، يقصد بالكثرة دورانها على الألسن لا الكثرة العدديّة .

ووصف ٱلْقسم ٱلثّاني بقوله : " ... بِحُروفٍ غَيْرِ مُسْتَحْسَنَةٍ وَلَا كَثِيرَةٍ فِي لُغَةِ مَنْ تُرْتَضىٰ عَرَبِيَّتُهُ ، وَلَا تُسْتَحْسَنُ فِي قِرَاءَةِ ٱلْقُرْآنِ وَلَا فِي ٱلشِّعْرِ ... "(١) وقد تصدّى ٱلرّضيّ لها في درسه، حيث تتجلّى مقدرته في محاولة ٱلْكشف عن معيار ٱلاستحسان والاستهجان في بعض ٱلْأصوات ٱلّتي يرى أنّها صوتٌ واحدٌ في ٱلْحقيقة، فقد قال (في ٱلسّين كَٱلْجيم ، وٱلْجيم كَٱلسّين حيثُ الاول مستحسن ، والثاني مستهجن عند سيبويه) :

" وَكِلْتَاهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ ، لٰكِنَّهُ إِنَّمَا ٱسْتَحْسَنَ ٱلسِّينَ ٱلْمُشْرَبَةَ صَوْتَ ٱلْجِيمِ ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُفْعَلُ ذٰلِكَ بِهَا إِذَا كَانَتْ ٱلسِّينُ سَاكِنَةً قَبْلَ ٱلدَّالِ ، وَٱلدَّالُ مَجْهُورَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَٱلسِّينُ مَهْمُوسَةٌ رَخْوَةٌ تُنَافِي جَوْهَرَ ٱلدَّالِ ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ سَاكِنَةً ، لِأَنَّ ٱلْحَرَكَةَ تُخْرِجُ ٱلْحَرْفَ عَنْ جَوْهَرِهِ ، فَتُشْرَبُ ٱلسِّينُ صَوْتَ ٱلْجِيمِ ٱلَّتِي هِيَ مَجْهُورَةٌ شَدِيدَةٌ كَٱلدَّالِ لِتَنَاسُبِ ٱلصَّوْتِ ، فَلَا جَرَمَ ٱسْتُحْسِنَ ، وَإِنَّمَا ٱسْتُهْجِنَ ٱلْجِيمَ ٱلَّتِي كَٱلسِّينِ ، لِأَنَّهَا إِنَّمَا يُفْعَلُ ذٰلِكَ بِهَا إِذَا سُكِّنَتْ وَبَعْدَهَا دَالٌ أَوْ تَاءٌ ، نَحْوَ ٱجْتَمَعُوا وَأَجْدَرَ . وَلَيْسَ بَيْنَ ٱلْجِيمِ وَٱلدَّالِ ، وَلَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلتَّاءِ تَبَايُنٌ ، بَلْ هُمَا شَدِيدَتَانِ ، لٰكِنَّ ٱلطَّبْعَ رُبَّمَا يَمِيلُ لِٱجْتِمَاعِ ٱلشَّدِيدَيْنِ إِلَى ٱلسَّلَاسَةِ وَٱللِّينِ ، فَيُشْرِبُ ٱلْجِيمَ مَا يُقَارِبُهُ فِي ٱلْمَخْرَجِ ، وَهُوَ ٱلسِّينُ ، فَٱلْفِرَارُ مِنَ ٱلْمُتَنَافِيَيْنِ مُسْتَحْسَنٌ ، وَٱلْفِرَارُ مِنَ ٱلْمِثْلَيْنِ مُسْتَهْجَنٌ ، فَصَارَ ٱلْحَرْفُ ٱلْوَاحِدُ مُسْتَحْسَناً فِي مَوْضِعٍ ، وَمُسْتَهْجَناً فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ، بِحَسَبِ مَوْقِعِهِ "(٢) .

فٱلرّضيّ يرى أنّ ٱلاستحسان وٱلاستهجان معيار موقعيّ ، وليس معياراً خارجياً يُفرض فرضاً بل يُرعى فيه أمر ٱلنّطق فعدّ ٱلْفرار من ٱلْمثلين، ويعني بهما ٱلْجيم مع ٱلدّال وٱلتّاء ، (وأطلق ٱلْمثلين لِلتّشابه في صفتيهما خاصة مع ٱلدّال)، فكان ٱلطّبع ٱلْعربيّ ٱلْفصيح يميل إلى ٱلْحفاظ على مثل هذا ٱلتّتابع ٱلنّطقيّ ٱليسير كما يراه، فَلَمّا فرّ منه كان لأجل هٰذا مستهجناً ، وما حصل في ٱلسّين كَٱلْجيم عكس ذلك ، إذا تنافت ٱلسّين مع ٱلدّال فُرَّ من هذا ٱلتّنافي، فكان مُستحسناً .

ويرى ٱلرّضيّ أنّ ماقاله هنا يضمّ أصوات ٱلْكاف كَٱلْجيم وٱلْجيم ٱلتّي كَٱلْكاف " إِلَّا أَنَّ أَصْلَ أَحَدِهِمَا ٱلْجِيمُ ، وَأَصْلَ ٱلْآخَرِ ٱلْكَافُ "(٣) فٱلْأوّل في نحو جافر في كافر، وٱلثّاني في نحو كمل (أي : جمل) ، وفي رجل : ركل ، إلّا أنّهما جميعاً مستهجنان وكذا مثلهما من ٱلْمتفرّعة ٱلْقاف بين ٱلْقاف وٱلْكاف ، فقد نقل عن ٱلسّيرافي قوله :

---

(٢) ش ش ٣ / ٢٥٥ ــ ٢٥٦ .

(٣) ش ش ٣ / ٢٥٧ .

(١) الكتاب : ٤ / ٤٣٢ .

" هُوَ مِثْلُ ٱلْكَافِ ٱلَّتِي كَٱلْجِيمِ وَٱلْجِيمِ ٱلَّتِي كَٱلْكَافِ " (*)

وٱلرَّضِيّ في هذا ٱلْموضوع يعتمد على ٱلسّيرافيّ ٱلّذي فيما يبدو كان يتمتع بموهبة جيّدة في تمييز ٱلأصوات ٱلمتقاربة في أجراسها .

وٱلأصوات ٱلمتفرّعة ٱلمستحسنة عنده هي :

١ ـ ٱلْهَمْزة بينَ بينَ : وهو تعبير يجمع ثلاثة أصوات مابين الهمزة وأحد أصوات ٱلْمدّ وظاهر كلام سيبويه أنّها واحدة (١) ، ويرى د . تمّام حسّان أنّها " مُجَرَّدُ خَفْقَةٍ صَدْرِيَّةٍ لَا يَصْحَبُهَا إِقْفَالُ ٱلْأَوْتَارِ " (٢) .

٢ ـ ٱلنُّون ٱلْخفيّة : يذكر ٱلرّضيّ : " قِيلَ : إِنَّ ٱلرِّوَايَةَ عَنْ سِيبويهِ ٱلْخَفِيفَةُ ، قَالَ ٱلسِّيرَافِيُّ : يَجِبُ أَنْ يُقَالَ : ٱلْخَفِيَّةُ ، لِأَنَّ ٱلتَّفْسِيرَ يَدُلُّ عَلَيْهِ ، إِذْ هِيَ نُونٌ سَاكِنَةٌ ظَاهِرَةٌ مَخْرَجُهَا مِنَ ٱلْخَيْشُومِ فَقَطْ " (٣) وتحدّد مجيئها موقعيًّا قبل ٱلْحروف الخمسة عشر (حروف ٱلْفم وٱلْشّفة) .

٣ ـ ألف الإمالة : يُسمّيها سيبويه ألف ٱلتّرخيم ، وتبدو بحسب بعض ٱلْمحدثين ، " صوت لين نصف ضيق " (٤) .

٤ ـ لام ٱلتّفخيم : (٥) (بحسب مصطلح ٱلتّفخيم) .

٥ ـ ألف ٱلتّفخيم (٥) (بحسب مصطلح ٱلتّفخيم) ، ولم يذكرها ٱبنُ ٱلْحاجب وٱستدركها عليه ٱلرّضيّ .

٦ ـ ٱلصّاد كَٱلزّاي (٥) : في نحو يَصْدُقُ ، وَصَدَقَ (سبق في مصطلحي ٱلتّناسب وٱلْمضارعة) .

٧ ـ ٱلشّين كَٱلْجيم : (كما في مصطلح ٱلْمضارعة) ، وقد سبق ٱلْكلام عنها .

هذه هي ٱلْمستحسنة ، ويبلغ عددها عنده تسعة أصوات .

---

(١) ينظر : الكتاب : ٤/ ٤٣٢ ، ش ش ٣/ ٢٥٤ ، وفي تخفيف ٱلْهمزة ش ش ٣ / ٣٠ .

(٢) اللغة العربية : معناها وبناها : ٥٣ .

(٣) ش ش ٣ / ٢٥٤ ـ ٢٥٥ .

(٤) في ٱلْبحث ٱلصّوتيّ : ٦٧٨ ، وينظر : ش ش ٣/ ٢٥٥ ، والكتاب : ٤/ ٤٣٢ .

(٥) ش ش ٣ / ٢٥٥ .

(*) ش ش ٣ / ٢٥٧ .

أمّا الأصوات المتفرّعة المستهجنة فهي :

١ ـ الصّاد كالسّين : قال الرّضيّ : " قربّهما بعضهم من السّين لكونهما من مخرج واحد " (١)

٢ ـ الطّاء كالتّاء : قال عنها : " تكون في كلام عجم أهل المشرق كثيراً ، لأنّ التاء في أصل لغتهم معدومة ... " (١)

٣ ـ الفاء كالباء : نقل عن السّيرافيّ : " هي كثيرة في لغة العجم وهي على ضربين : أحدهما لفظ الباء أغلب عليه من الفاء ، والآخر لفظ الفاء أغلب عليه من الباء ، وقد جعلا حرفين من حروفهم سوى الباء والفاء المخلصين ، قال : وأظنّ أنّ العرب إنّما أخذوا ذلك من العجم لمخالطتهم إيّاهم " (٢) فهذا المتفرّع يضمّ صوتي : (V و P) في الإنكليزيّة فالأوّل صوت الفاء مع الجهر والآخر صوت الباء مع الهمس ، ويمكن أن يكون صوت (P) من بقايا السّاميّة الأمّ في العربيّة فقد عدّ برجشتراسر هذا الصّوت أحد أصواتها وهي أصل الفاء الفصيحة . (٢)

٤ ـ الضّاد الضّعيفة : ينقل عن السّيرافيّ أنّها عند من لم تكن الضّاد الفصيحة من أصواتهم " فربّما أخرجوها ظاءً لإخراجهم إيّاها من طرف اللّسان وأطراف الثّنايا ، وربّما تكلّفوا إخراجها من مخرج الضّاد فلم يتأتّ لهم فخرجت بين الضّاد والظّاء " (١) ويذكر عن حاشية كتاب ابن مبرمان ما يفيد أنّها الصّوت المفخّم للتّاء كما يقال في أثرد له : أضرد له ، ويعتقد سيبويه أنّ خروجها من الجانب الأيسر أخفّ من الأيمن لاعتياد الأيمن على الصّحيحة . (٣)

وأرى أنّ هذا الصّوت أحد أمثلة التّطور الصّوتيّ الذي حدث لصوت الضّاد الذي رآه بعض المحدثين صوتاً غريباً جدّاً ، ليس له نظير في أيّة لغة إنسانيّة أخرى ، ورآه آخر صوتاً مجهولاً من الصّعب تصوّره ، وينظر بعض الباحثين إلى هذا الصّوت هو المقابل المهموس للضّاد . (٤)

٥ ـ الكاف كالجيم (سبق الكلام عنها وعن أختها .) ويصطلح عليها أيضاً بالكاف بين الكاف والجيم ، يقول د . تمّام حسّان فيه : " من أصوات الكاف لم يفقد همسه

---

(١) ش ش ٣/ ٢٥٦ .

(٢) التّطور النحويّ : ١٣ ، ٢٣٠ ، دروس في علم أصوات العربيّة : ٤٢ .

(٣) ش ش ٣ / ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

(٤) الضّاد العربيّة مثال للتّطوّر الصّوتيّ : ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٤٠ ، ووجودها في بعض اللّغات الأجنبيّة .

وإنْ أصبح معطشاً لِتعطيشِ ٱلْجيم،وهٰذا ٱلصّوتُ هُو ٱلّذي يصفُهُ ٱلنُّحاةُ بٱصطلاح ٱلْكَشْكَشَةِ ، وهو شَبيهٌ لِمَا في نطق ٱلْعراقيّينَ لكلمةِ (كَيْفَ) "(*)

٦ ــ ٱلْجيم كٱلْكاف : "وَهِيَ فَاشِيَـةٌ فِي أَهْلِ ٱلْبَحْرَيْنِ "(١) .

٧ ــ ٱلْجيم كٱلشّين : (سبق ٱلْكلام عنها) .

٨ ــ ٱلْكاف بين ٱلْقاف وٱلْكاف : (سبق الكلام عنها) .

٩ ــ ٱلْجيم ٱلّتي كَٱلْزاي (٢) : كما في (أَجْدَر) (وعلى ما في مصطلحي ٱلْمضارعة وٱلْإشراب)

١٠ ــ ٱلشّين ٱلّتي كٱلزّاي (٢) : كما في (أَشْدَق) (وعلى ما في مصطلحي ٱلْمضارعة وٱلْإشراب)

١١ ــ ٱلْياء كٱلْواو ،قال ٱلرّضيّ : "وَمِنْهَا أَيْضاً ٱلْيَاءُ كَٱلْوَاوِ فِي قيل وبيع ــ بِٱلْإشمام "(١)

(ينظر مصطلح الإشمام) ،وهو أحد ٱلصّوائت ٱلطّويلة ٱلْمتفرعـة .

١٢ ــ ٱلْواو كٱلْياء : قالَ : "وٱلْوَاوُ كَالياء في مذعور وَٱبْنِ نُور ، كَمَا ذَكَرْنَا فِي بَـابِ ٱلْإِمَالَـةِ "(٢)

وبعدُ : فإنّ ٱلرّضيّ يرمي ٱبنَ ٱلْحاجب بٱلْوهم عندما يرى عدم تحقّق بعض ٱلْأصوات وهي ٱلجيم كالكاف والجيم كالشين . وقـد زاد عليه ٱلْأصوات في :(٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢)، زيادةً على ماذكرهُ من عدم ذِكْره لـ (ألـف ٱلتّفخيـــم) .

وعلى ماذكر ٱلرّضيّ فعدد ٱلْمتفرعة المستهجنة يبلغ ٱثني عشرَ متفرعاً فيكون مجمـــوع المتفرعات بقسميها واحداً وعشرينَ صوتاً أو يكون تسعةَ عشرَ صوتاً بلمرقه في متفرع الجيم ومتفرع الكاف بينما لم يذكر سيبويه منهما الا أربعةَ عشرَ فرعاً . (٣)

---

(١) ش ش ٣ / ٢٥٧ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٥٧ ،وينظر ٣ / ٢٩ .

(٣) ينظر الكتاب:٤ / ٤٣٢ .

(*) اللغة العربية معناها ومبناها : ٥٤ .

٢ـ آليةُ الصِّفاتِ الصَّوتيّةِ : لقدْ قُمْتُ في مَبحثِ المُصطلحاتِ الصَّوتيّةِ في الفَصْلِ الأوّلِ بتقديمِ مفهوماتِ الرّضيّ في طبيعةِ هذهِ الصِّفاتِ الّتي هيَ إحدى مرتبتي التّمايز بينَ الأصواتِ الّتي تَنبّه لهَا الدّرسُ الصّوتيُّ العربيُّ مُنذُ ايامِ سيبويهِ (وقد حَرَصْتُ كثيراً في أنْ أكونَ دقيقاً في فَهْمِ مقاصدِهِ فأُجنِّبَ نفسي وغيري تكلُّفَ سحبِ تلكَ المفهوماتِ الى مَاتوصّل اليه الدّرسُ الحديثُ .

ولابدّ لي من وقفةٍ هنا ؛ استكمالاً لِمَاتقدّم في المُصطلحاتِ ، واستكمالاً للبحثِ الّذي أنا بِصددهِ وحرصاً على تكاملِ النّظرة .

تقومُ فكرةُ الصِّفاتِ الصّوتيّة على مُلاحظةِ الآليّةِ المَخرجيّةِ الّتي يَعملُها العُضْوُ المُتحركُ مَعَ العضوِ الثّابتِ وهي تتفاوتُ بينَ الاتّصالِ التّامِّ (بالاعتمادِ التّامِ على نقطةِ المَخرج فَيُقْفَلُ بذلك المجرى الهَوائيُّ كماهُوَ الحَالُ عندَ الأصواتِ الشّديدةِ (أوْ الإنفجاريّة) ، والانفراجِ التّامِّ بَيْنَ العُضوينِ على ماهُو الحالُ عندَ إصدارِ صوتِ الالفِ وبينَ هاتينِ الآليتينِ درجاتٌ متفاوتةٌ مِنَ التّضيقِ والتّوسّعِ على ماهُوَ الحَالُ في بقيّةِ الأصواتِ (وهي : الرّخْوةُ والواوُ والياءُ) ، أو أنْ توجدَ الآليتانِ : الغَلْقُ والانفتاحُ وهُو مايُسمّى عند الرّضيّ بالصِّفةِ مابينَ الشّدّةِ والرّخاوةِ ، وقد يَقْتَصِرُ الاتّصالُ أو التّضييقُ على نُقطةِ المَخرجِ كمافي السّابقة ، أو قدْ يشملُ منطقةً تَحْتَوي نُقاطاً متعدّدةً كما في نُطقِ الأصواتِ المُطبقةِ وعندَ التّفشي ؛ وهناكَ صفةٌ أُخرى لاحظَها الرّضيُّ ترتبطُ بالمدّةِ الزّمنيّةِ الّتي يَمكُث فيها العُضوانِ متقاربينِ ، وقد سمّاها الإشباعَ فإذا كانَ هذا الإشباعُ مَعَ الحَبْسِ التّامِ أو التّضييقِ ، فهو صفةُ الجَهرِ وعدمُه الهَمسُ ؛ أمّا إذا كانَ الإشباعُ مَعَ الانفتاحِ الكاملِ للمجرى فهو المدُّ .

ولَحِظَ الرّضيُّ أيضاً أنَّ لِلشّفتينِ دوراً مُهمّاً في الصّفاتِ الصّوتيّة فعمليةُ تدويرِ الشّفتينِ تَنْتُجُ الضّيقَ المميّزَ لكلٍّ من الواوِ والضّمةِ عَنِ الفَتحةِ والألفِ اللّتينِ يُفرّجُ بينَ الشّفتينِ فيهما . أمّا الكسرةُ والياءُ فلاتتميّزان هنا بِارتفاعِ وَسطِ اللّسانِ إلى مافوقَه من الحَنَكِ على مايرى الرّضيُّ (١) . وفيما يأتي الوقوفُ عِنْدَ بعضِها .

---

(١) الحقيقةُ العلميّةُ لتمايزِ الضّمةِ : أنّ للضّمةِ حجرتيْ رنينٍ : الأُولى حلقيّةٌ ضيّقةٌ ، والأخرى فمويّةٌ أماميّةٌ واسعةٌ ؛ أمّا عند الكسرةِ فحجرةُ الرنينِ حَلقيّةٌ خلفيّةٌ ، أمّا الفتحةُ فهي تمتلكُ أوسعَ حجرةِ رنينٍ تمتدّ من الحلقِ إلى الشّفتينِ (ينظر تحليل الظّواهرِ الصّوتيّة في قراءةِ يعقوب الحضرمي : ٩٩) والكلامُ يشملُ أصواتِ المدّ المجانسةِ للحركاتِ مع بعضِ الاختلافِ القليلِ .

أ ـ فَضِيلَةُ ٱلْحَرْفِ : لَقَدْ ورثَ الرَّضِيُّ عنِ ٱلْعلماءِ ٱلْمتقدمِينَ إدراكًا متقدِّمًا جدًا فِي ٱلنِّظامِ ٱلْوظيفيِّ لِلُّغةِ ٱلْعربيّةِ ٱلْفُصحى بتركيزِهَا ٱلْخاصِ على مجموعةٍ من ٱلصِّفاتِ دونَ غيْرِها مع رَفْضِها لمظاهرِ التَّنازُلِ عن هٰذه الصِّفاتِ عند عملياتِ الإدغامِ أوْ التَّقاربِ الصَّوتيِّ الَّذي يحدثُ بينَ الأصواتِ، وقَدْ جمعوا هٰذِهِ الصِّفات بحروفِها في (ضَوِيَ مِشْفَرٌ)، وقد عَمِلَ الرَّضِيُّ على وضعِ الاصْطلاحِ المُناسِبِ لها ألا وهو مُصطلحُ (فَضِيلَةُ ٱلْحَرْفِ)، وعملَ على جمعِ حروفٍ أُخرى يُمكنُ أنْ تَشملَها هٰذه النَّظرة. والصِّفاتُ هنا هي اللِّينُ والاسْتطالةُ، و (التَّفشي والرَّخاوة)، والغُنَّةُ، والتَّكريرُ، والتَّأفيفُ ؛ وزادَ عليْها: الإطباقَ، والصَّفيرَ .

وأمامَ هٰذه النَّظرة فإنَّنا نَقِفُ على الصِّفاتِ ٱلْمُهيمنة في ٱلْعربيّةِ ٱلْفُصحى، ونَجِدُ أنَّ صفاتِ ٱلْجَهرِ وٱلْهَمسِ والشِّدَّة والرَّخاوة ليستْ بِذلك الاعْتبارِ في تمايزِ الأصْواتِ فبالإمكانِ التَّنازل عنها في ٱلتَّحولاتِ ٱلصَّوتيّةِ دُونَ أنْ تختلَّ الدَّلالةُ .

وقد تمَّ (على وفقِ هٰذا) النَّظرُ إلى مجملِ عملياتِ الإدغامِ ووَصْفُها بالْقَبولِ أوِ الرَّفْضِ اعتمادًا على مَدى اعتبارِها لوجودِ هٰذه الصِّفاتِ في الأصواتِ المُدغمةِ .

ب ـ ٱلْجَهْرُ وٱلْهَمْسُ : في ٱلْوقتِ الَّذي أدركَ فيه ٱلْمُحدثُونَ آليَّةَ هاتيْنِ الصِّفتيْنِ بعملِ الأوْتارِ الصَّوتيَّةِ في الْحُنجرةِ نجدُ أنَّ التَّذبذبَ عند الجهرِ، ولا تذبذبَ عِنْدَ الهَمْسِ (١) بوَساطة ما امتلكُوه من أجْهزةٍ، نجدُ أنَّ الرَّضِيَّ قَدْ أدركَ من قبلُ هاتيْنِ الصِّفتينِ عبْرَ ما تَتَمتعُ بهِ مجموعةُ الأصواتِ المنتميةِ لكلٍّ منهما بوضوحٍ سمعيٍّ موازنةً مع مقابلتِها الأُخرى ، وهُوَ ما قرَّرَهُ (يسپرسن) بأبحاثِهِ حينَ وضعَ مدرجًا لستِّ درجاتٍ لمستوياتِ ٱلْجَهرِ، وتَنْتهي بالْمرتبةِ السَّادسةِ بالأصواتِ ٱلْمَهْموسةِ مثل الكافِ والتَّاءِ والسِّينِ (٢) . ويبدُو لي أنَّ الرَّضِيَّ قد اعتمدَ في ذلك عَلى ملاحظتِهِ الذَّاتيّةِ من جانبٍ، ومِن جانبٍ آخرَ على أثرِ عَن سيبويهِ . وقدْ جَهَدَ الرَّضِيُّ في محاولةِ الوقوفِ على ٱلْمِعيارِ المميِّزِ لهاتينِ الصِّفتيْنِ، فرأى أنَّ ذلكَ يكْمُنُ في جريانِ النَّفسِ، وعدمِهِ، وربَّما أدخلَ فيها معيارًا آخرَ هو الصَّوْتُ الخارجُ مِنَ الصَّدْرِ الَّذي نقلَهُ عن بعضِهِم (٣).

وإذا كانَ بإمكانِ المُحدثينَ أنْ يجدُوا في صوتِ الصَّدرِ إشارةً إلى صوتِ التَّذبذُبِ الْحُنجريِّ، فلا أعتقدُ أنَّ مفهومَ الرَّضِيِّ هنا يُساعد على ذلكَ . فقد توصلتُ مِن

---

(١) ينظر : دراسة الصوت: ١٠٦، ميكانيكية النطق: ٥٠٣.

(٢) اللُّغة وعلم النَّفس: ٨٢، ظاهرة الوضوح السَّمعيّ في الأصوات ٦٧ ـ ٦٨.

(٣) ينظر : شن شن ٣/ ٢٥٨ - ٢٥٩ .

من خلالِ كلامِهِ أنّ الإشباعَ في الاعتمادِ هو اشارةٌ إلى مدّةِ الإعاقةِ المَخْرجيّةِ، وهي تمنعُ النَّفَسَ لأجْلِ هذا من المرورِ، أمّا ضعفُ أوقلّةُ الاعتمادِ فيسمحُ بمرورِ النَّفسِ، وفي الحالتيْنِ يمكنُ أنْ يمرَّ الصّوتُ معهما، ويسمعُ، فكانَ الهواءُ الخارجُ بحسبِ اعتقادِ الرّضيّ (على ما أرى) مركّباً من شيئيْنِ هما (النَّفَسُ + الصّوتُ)، والصّوتُ: هو جزءٌ من النّفسِ مكيّفٌ بكيفيةٍ خاصةٍ، وعلى وفقِ هذا تتمُّ صفتا الجهرِ والهمسِ، ويدخلُ على التّصورِ السّابقِ اعتباراتٌ أخرى تؤدّي إلى القولِ بالجهرِ في حروفٍ ليستْ مجهورةً عند المحدثينَ، وذلك لارتباطِها بمسألةِ ارتفاعِ الصّوتِ وخفضِهِ مع دخولِ عمليّاتِ التّقابلِ في الصّفاتِ في المخرجِ الواحدِ عندَ الرّضيّ عاملاً مهماً، ومؤثّراً نتيجةً لما قدّمَهُ الخليلُ وسيبويهِ من أفكارٍ، من نحو: "فلولا بحّةٌ في الحاءِ لأشبهتْ العينَ، ولولا هتّةٌ في الهاءِ ... لأشبهتْ الحاءَ"(١)، لتقاربِ مخارجِها، والهمزةُ "مهموتةٌ مضغوطةٌ، فإذا رُفِّهَ عنها لانتْ فصارتْ ياءً وواواً وألفاً .."(٢)، وقولُ سيبويهِ "ولولا الإطباقُ لصارتِ الطّاءُ دالاً، والصّادُ سيناً، والظّاءُ ذالاً، ولخرجتِ الضّادُ من الكلامِ، لأنّه ليسَ شيءٌ من موضعِها غيرُها"(٣).

وأستطيعُ القولَ أنّ هذا الكلامَ لا يقتصرُ على الرّضيّ فقطْ بل يعمُّ معظمَ ما قدّم لنا التّراثُ الصّوتيُّ منذُ الخليلِ وحتّى ما قبلَ العصرِ الحديثِ وبروزِ الاتّجاهاتِ الحديثةِ في علمِ اللّغةِ الحديثِ.

ومِمّا تقدّم يمكنُني أنْ أفسّرَ وجودَ أصواتِ الهمزةِ والقافِ والطّاءِ في مجموعةِ المجهوراتِ، مع أنّ الدّرسَ الحديثَ قدْ بيّنَ عكسَ ذلك بوساطةِ الأجهزةِ المختبريّةِ فالهمزةُ على ما يرى الرّضيُّ تمتلكُ نبرةً تجري مجرى التّهوّعِ (والنّبرةُ على ما هو استعمالُ الرّضيّ هي ارتفاعةٌ في الصّوت (وقد مرّ في مصطلح النبر) فهذه الهمزةُ المهموسةُ عندَ بعضِ المحدثينَ (٤)، أولا مهموسةٌ ولا مجهورةٌ عندَ بعضِهم الآخرِ (٥)، أوحتّى المجهورةُ، كما سمعتُ ذلكَ من أحدِ الأساتذةِ الأفاضلِ (٦). هي مجهورةٌ

---

(١) العين: ١/٥٤.
(٢) نفسه: ١/٥٢.
(٣) الكتاب: ٤/٤٣٦.
(٤) ينظر: العربية ولهجاتها: ١٢، مناهج البحث: ٩٧، دروس في علم أصوات العربية: ١٢٣، العربية الفصحى: ٣٨.
(٥) ينظر: الأصوات اللغوية: ٩٠، علم اللغة العام (الأصوات): ١١٢.
(٦) وهو د. طالب عبد الرّحمن في مناقشة إحدى رسائل الماجستير.

أيضاً عند الرضيّ بمقابلتها مع الصوت الضعيف (الخفيّ) رفيقها في المخرج صوت الهاء ، فهي أكثر قوةً بما فيها من حفز وشدة أمام مجرّد خروج النفس ليس اكثر عند الهاء الذي رأى بعضهم (١) ، أنْ يُطلق عليه (صائتٌ مهموسٌ) مراعاةً لهذه الآليّة .

ويعضّد تفسيري هنا : ما يقرّره الرضيّ نفسه حين يقول : "قد يحصل (يعني : اختلاف الحروف) مع اتحاد المخرج بسبب وضع الآلة من شدة الاعتماد وسهولته " (٢) وقال أيضاً " بل إنّما يختلف بالجهارة والليّن والغلظ والرقّة " (٣) .

ويمكن أيضا أنْ يكون اقترانها (شبه الدائم) بأصوات المدّ قد أوحى إليه ، ومن سبقه أنْ يقول بجهرها .

أمّا الطاء والقاف فكلاهما من المستعلية التي يرتفع اللسان عند النطق بها (مع اختلاف سطح الاحتكاك عند التصويت بهما) ، فكلاهما يمتلك صفة قوّة ، فالإطباق صفة فضيلة لا يمكن التنازل عنها ، ولها مكان الصدارة في الاعتبارات الصوتيّة ، ولها أيضاً قوّة التأثير التي رصد الرضيّ بعضها كما في (اصطبر واطّرب) ، والاستعلاء قريب منها ، كما أنّ عمق مخرج القاف قد أدّى وظيفة هنا بقربه من الأصوات التي تحتاج " إلى اعتماد قويّ ، وهي حروف الحلق " (٤) .

ولهذا على وفق ما سبق تمّ وصف هذه الأصوات بالجهر ، والتي يعزّزها أيضاً كون هذه الأصواتُ شديدةً (إنفجاريّة) ، وهي صفة قوة أمام الرخاوة . وعلى هذا لحظنا أنّ مفهومي المجهور والمهموس تتداخل عليهما اعتبارات صوتيّة (بعيدة عن عمل الأوتار الصوتيّة أو قريبة منها) ، مع اعتبارات غير صوتيّة ، كأنْ تعبّر عن نظرة اجتماعيّة أو نتاج تداخل عوامل صوتيّة متعدّدة تبرز لنا المصطلح محملاً بكلّ ذلك .

---

(١) ينظر : علم اللغة : ١٧٨ .
(٢) ش ش ٣/ ٢٥١ .
(٣) ش ش ٣/ ٢٥٠ .
(٤) ش ش ٣/ ٢٧٢ .

وبتقدمي السَّابقِ في تعليلِ وجودِ أصواتِ ٱلْهَمزة وٱلْقافِ وٱلطَّاءِ في خَانةِ ٱلْمَجهورات -أكونَ قدْ زُدْتُ على ٱلتَّعليلاتِ الَّتي تَتوارد في كتبِ ٱلْمُحدثِينَ (١) - مكرِّرةً لاحقاً عن سابقٍ تعليلاً ربَّما يكونُ أكثرَ وجاهةً ومَساساً بحقيقةِ وجودِها ههنا ، وأُشيرُ إلى أنَّني لَم أقفْ عند واحدٍ مِن ٱلْبَاحثِينَ عَلى مثلِ هٰذا ٱلتَّفسيرِ ٱلْخَاص بهٰذه ٱلأصواتِ ومفهومي الجهرِ والهمسِ في التُّراثِ ٱلْعَربيِّ ٱلإسلاميِّ .

(٢)

ـ جدول رقم (٢) الأصواتُ ٱلْمَجهورةُ وَٱلْمَهموسةُ بَيْنَ الرِّضِيِّ وَالمُحْدَثِينَ

	الأصواتُ ٱلْمَجهورةُ	ٱلأصواتُ ٱلْمَهموسةُ
المحدثون	ء ، ي ، و ، ج ، ع ، غ ، ض ، ل ، ن ، ر ، ز ، ظ ، ذ ، م ، د .	ه ، ح ، خ ، ك ، ش ، ص ، ت ، س ، ث ، ف ، ق ، ط
الرضي	ء ، و ، ي ، د ، ق ، ط ، ظ ، ل ، ز ، ب ، ض ، ذ ، غ ، ر ، ج ، ن ، م ، ع .	س ، ت ، ش ، ح ، ث ، ك ، خ ، ص ، ف ، ه .

إذَنْ لِلرَّضِيِّ مَفْهُومَانِ لكلٍّ من ٱلْجَهر وٱلْهَمْسِ يُمْكِنُ أنْ أُعبرَ عَنْهما بٱلشَّكْلِ الآتي :ـ

---

(١) يُنظر : علم اللغة العام (الأصوات) : ١١٠ و١١١ و ١٢٠ ، دروسٌ في علم أصواتِ ٱلْعَربيّة : ٣٥ ، ٦٥ ، ١٥ وأصوات ٱلْعَربيّة بينَ التَّحوُّل والثَّباتِ : ٢٥ ـ ٣٨ ، وينظر التَّطورُ النَّحْوِيُّ : ١٦ ـ ١٧ .

(٢) فكرة ٱلْجَدولِ عن الدِّراساتِ الصَّوتيَّة عِنْد علماءِ ٱلْعَربيّة : ٦٧ .

١ـ ٱلْمفهومُ ٱلآليّ : وهو : ٱلْجَهر = حبسُ ٱلنّفس + جرى ٱلصّوت ـــــــ (١)

او : ٱلْجهر = حبسُ ٱلنّفس + حبسُ ٱلصّوت ـــــــ (٢)

ٱلْهمس = جرى ٱلنّفس + جرى ٱلصّوت ـــــــ (٣)

أو ٱلْهمس = جرى ٱلنّفس + حبسُ ٱلصّوت ـــــــ (٤)

ولا يعني حبسُ النّفس أوْحبسُ الصّوت أنّهما لا يمكنُ أن يُنفِذا من نقطةِ ٱلْمخرجِ، بل يعني قصر المدّة الزّمنيّة لعدمِ جريانِها (بحسبِ مصطلحات : جرى النّفس، وجرى الصّوت، وحبس النّفس) .

ولمّا كانَ كلٌّ من جرى الصّوتِ يعني الرّخاوة، وعدمِ جَرْيِهِ يعني الشّدّة .

ٱلْجَهر = حبسُ ٱلنّفس + ٱلرّخاوة .... (١)

ٱلْجَهر = حبسُ ٱلنّفس + ٱلشّدّة .... (٢)

ٱلْهَمس = جرى ٱلنّفس + ٱلرّخاوة .... (٣)

ٱلْهَمس = جرى ٱلنَّفَس + ٱلشّدّة .... (٤)

٢ـ ٱلْمفهومُ الوَظيفيّ :

ٱلْجهر = ٱلْهمس + صفة قوّة ..... (٥)

ٱلْهمس = ٱلْجهر ـ صفة قوّة ..... (٦)

وصفةُ القُوّةِ كما سبقَ تَدخُل فيها اعتباراتٌ صوتيّة واجتماعيّة. ويقولُ الرّضيّ في ٱلْمجهورة : " لَابُدَّ فِي بَيَانِها، وإخراجِها مِن جَهْرِها ، وَلَا يَتَهَيَّأُ ٱلنّطْقُ بِهَا إلّا كَذٰلِكَ ، كَٱلْقَافِ وَٱلْعَيْنِ ، بخلافِ ٱلْمهموسِ فَإنّهُ يَتَهَيَّأُ لَكَ أنْ تَنْطِقَ بِهِ ، وَيَسْمَعُ مِنْكَ كَمَا يُمْكِنُكَ أنْ تَجْهَرَ بِهِ " (٣) ، وهذا يُؤكّدُ بشكلٍ واضحٍ المعادلتين (٥) و (٦) و خاصةً رقم (٦) .

ـ (يجبُ الرّجوعُ إلى مصطلحَيْ ٱلْجَهر وٱلْهمس)

---

(١) أعني به مفهومه للتّهيئة ٱلْمخرجيّة عند ٱلنّطق .

(٢) أعني به مفهومه في التّمايز ٱلصّوتيّ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٥٨ .

جـ ـ الشّدّة والرّخاوة وما بينهما : تنقسم الأصوات اللّغويّة بحسب هذه قسمة مستأنفة ثلاثة أقسام : شديدة ورخوة وما بينهما (١) وعند المحدثين هي : الانفجاريّة ، والاحتكاكيّة والمتوسّطة أو المائعة وغيرها من التّسميات ، وسبق أن أشرت في المصطلح الى وضوح آليتها الميكانيكيّة عند الرّضيّ وكذلك وضوح أثرها السّمعيّ القائم على الخطّ الزّمنيّ الفيزيائيّ الّذي تمثّل بما لاحظه من آنيتها عند الشّدّة ، الّذي يستلزم إدراكه لاستمراريّة الرّخوة وقد مائل المحدثون (٢) هذا القول عنده وصفهم لهذه الأصوات غير إنّنا نجد أصواتاً وردت عند الرّضيّ على غير الصّفة الّتي وردت بها عند المحدثين وهي أصوات الجيم ، والصّاد ، والعين (ينظر الجدول رقم ٣) ؛ لكنّ الوقفة المتأنّية مع هذه الأصوات تبيّن أنّ الرّضيّ وقبله سيبويه لم يكونا واهمين مع هذه الأصوات ، وأنّ احتمال التّطوّر هذه الأصوات كبير جداً .

(٣)
(جدول رقم (٣) الأصوات الشّديدة والرّخوة وما بينهما بين الرّضيّ والمحدثين)

	الأصوات الشّديدة	الأصوات الرّخوة	ما بينهما
الرّضيّ	ء ، ج ، د ، ك ، ق ، ط ، ب ، ت ،	ه ، ح ، غ ، خ ، ش ، ص ، ض ، ز ، ظ ، س ، ث ، ذ ، ف ،	ل ، م ، ي ، ع ، ن ، ا ، و
المحدثون	ء ، ت ، ك ، ض ، ط ، د ، ب ، ج ، ق .	ه ، ح ، غ ، خ ، ش ، ص ، ز ، س ، ظ ، ث ، ذ ، ف ، ع .	ل ، م ، ر ، ن

فالجيم مجهورة شديدة مثل الجيم المصريّة الحاليّة ، لكنّ مخرج الجيم العتيقة مخرج الشّين والياء ، أمّا المصريّة فمخرجها مخرج الكاف ، وما قاله بعض المحدثين في الجيم

---

(١) ينظر ش ش ٣/ ٢٦٠ .
(٢) الأصوات والحروف ٢٤٦ .
(٣) فكرة الجدول عن الدّراسات الصّوتيّة عند علماء العربيّة ٧٦ .

إنّها (ٱنفجاريّة ـ ٱحتكاكيّة)، فإنّما تأثّر بالجيم الشّاميّة، وهي غير الجيم العتيقة الّتي يُمكنُ أنْ يكونَ نطقُ العاميّة العراقيّة في نحوِ (جمل)، و(جيكاره) أوضحَ ممثّلٍ لها . (١)

أمّا الضّاد، فهي مثالٌ جيد للتّطوّر الصّوتيّ وأهمّ ما يميّزها قديماً أنّها كانت صوتاً جانبيّاً ٱحتكاكيّاً، وهي الآن صوتٌ شديدٌ بحيثُ يبدُو أنّ صورتَها الأولى قد ٱضمحلّتْ حتى كادَتْ تختفي (٢) وقد ٱختلطتْ مرةً بالظّاء، ومرةً بالدّال المفخّمة واخرى بالّلام المفخّمة (٣) .

أمّا ما يخصّ صوتَ العين، فقد يتأكّدُ صحةَ ماقالهُ الرّضيُّ في صفته متابعاً لسيبويه، إذا تمَّ النّظر إليْها على وفقِ الضّابط الّذي ٱعتمدَهُ، فالصّوتُ لايجري معها مثلَ مايجري مع الرّخوة، ولاينقطعُ ٱنقطاعَه مع الشّديدة " وذلكَ أنّها يُمكنُ أنْ يَجْري الصّوتُ معَها عِنْدَ الْوَقْفِ عَلَيْها إلاّ أنّ في ذلكَ مَشَقّةً وكُلْفَةً، ويُمكنُ معرفةُ ذلكَ بِنُطْقِها في كلمةٍ (إرْجِعْ) مثلاً، ومُقارنَتِها بصوتي الْهَمزةِ والْحَاء في كلمتيْ (إرْجِيْ)، و(أرْجِحْ) (٤)

و يبدُو أنّ عدمَ الاستقرارِ المخرجيّ لهذا الصّوت كانَ السّببُ في إحداث هذه الصّفة، كما لاحظَهُ الرّضيّ من ميلِه إلى مخرجِ الْحَاء، إذْ قالَ : " أمّا الْعَيْنُ فَيَنْحَصِرُ الصّوْتُ عِنْدَ مَخْرَجِهِ، لكِنْ لِقُرْبِهِ مِنَ الْحَاءِ الّتي هِيَ مَهْمُوسَةٌ يَنْسَلُّ صَوْتُهُ شَيْئاً قَليلاً، فَكأنّكَ وَقَفْتَ عَلَى الْحَاءِ " (٥) .

وقَدْ أحْسَنَ سيبويه عندما قصرَ صفةَ مابينَ الشّدّة والرّخاوة على صوتِ الْعَين فقطْ (٦)، وماعملَه الرّضيّ في متابعتِه الْمُبرّد (٧) (على مايَبْدُو) من تعميمِ هذه

---

(١) ينظر : علم الّلغة العام (الأصوات) : ١١٥، علم الّلغة : ١٥٦، مناهج البحث : ١٩٠ـ ٢٠٤، الدّراسات الّلهجية والصّوتيّة : ٣١٦ـ ٣١٧، الأصواتُ والحروف : ٢٤٦ـ ٢٤٧، ويقرر د. حسام النّعيميّ بقائها على السنة القراء ينظر : أصوات العربيّة : ٦٩ـ ٧٠

(٢) يرى بعضُ الباحثين وجودَها الآنَ في بعضِ العربيّة الجنوبيّة، وبعضِ الأوربيّة ينظر : الضّاد مثال للتّطور الصّوتيّ : ١١٣ـ ١١٤، اللغات الساميّة : ٣٠.

(٣) في نطق الصّاد ينظر : كلام العرب : ٢٥ـ ٣٢، أصوات العربيّة : ٥٠ـ ٥٢، الحروف والأصوات : ٢٤٧.

(٤) أصوات العربيّة : ٣١٧ .

(٥) ش ش ٣/ ٢٦٠ ـ ٢٦١ .

(٦) الكتاب ٤/ ٤٣٥ .

(٧) ش ش ٣/ ٢٦٠، وينظر المقتضب : ١/ ١٩٦.

الصّفة لتشملَ حروفَ (لِمَ يَرُوعُنا) ففيه مافيه مِن التكلّفِ.ومن هذه الأصوات تتميّز حروفُ: (الألفِ،والواوِ،والياءِ) المدّيّة،أوغير المدّيّة بجريان واضحٍ للصّوت نتيجةً لسعة مخارجِها (ولي وقفةٌ معها في صفة المدّ) . أمّا بقيّة الأصوات (أيْ: اللّامِ،والميمِ، والرّاءِ،والنّون) بفعلى مافيها من إمكانيّة جريان الصّوت بما يقرّبها من أصواتِ العلّة إلّا أنّ الرّضيَّ (على ما يبدو)قد اعتمدَ على خاصيّتها النُّطقيّة لا السّمعيّة حيثُ هيئتُها تضمُّ شيئين:الاعتراضَ التّامّ،وعدمِ الاعتراض،أوْ تكرار ذلك متعاقباً،كما في الرّاءِ.ولذا أرى أنّ التّسمية الدّقيقة لها هي(الشّديدة ـ الرّخوة) على ما بيّنْتُ في المصطلح .

د ـ الإطباقُ والانفتاحُ :

نقلَ الرّضيُّ عن سيبويه (مع اختلافِ الألفاظ عمّا في الكتاب) " لَوْلَا الْإِطْبَاقُ فِي الصَّادِ لَكَانَ سِيناً ،وفي الظّاءِ كَانَ ذَالاً ، وَفِي الطَّاءِ كَانَ دَالاً، وَلَخَرَجَتْ الضَّادُ مِنَ الْكَلامِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْحُرُوفِ مِنْ مَوْضِعِهَا غَيْرُهَا " .(١)

ولاستيعابه كلامَ سيبويه،فقد جعلَها إحدى الصّفات الفضيلةِ الّتي لا يُتَنَازَلُ عنها لعملِها الواضحِ في تمييزِ أصواتِها عن مقابلاتِها المنفتحة . لكنّ ماقرّره سيبويه وتبعه فيه الرّضيّ لا ينسجمُ مع ما يراهُ المُحدثونَ في مقابلاتِها ، حيثُ نبدو مقولتا الطّرفين على وفقِ الجدول الآتي :

(ـ جدول الإطباق بين الرّضيّ والمحدثين)(٢).

الجدول الرقم (٤أ) (الرّضيّ) الجدول الرقم (٤ب) (المحدثون) .

المطبق	الصفات	المنفتح	الصفات	المطبق	الصفات	المنفتح	الصفات
ط	مجهور، شديد	د	مجهور، شديد	ط	مهموس، شديد	ت	مهموس، شديد
ص	مهموس، رخو	س	مهموس، رخو	ص	مهموس، رخو	س	مهموس، رخو
ظ	مجهور، رخو	ذ	مجهور، رخو	ظ	مجهور، رخو	ذ	مجهور، رخو
ض	مجهور، رخو	—	— —	ض	مجهور، شديد	د	مجهور، شديد

(١) ش ش ٣/٦٢ ،وينظر:الكتاب : ٤/٤٣٦ .

(٢) استفدت فكرة الجدولين من : الدراسات الصوتية عند علماء العربية: ٦٨و ٦٩ .

(٣) ترى أودي بتي أنّ مقابل الظاء هو الزاي ،ينظر بحث في فينولوجيا اللغة العربية ١٧٢.

فالطّاءُ يقابلُ الدّال والضّاد لامقابلَ له ، أمّا عند المحدثينَ فإنّ مقابلَ الطّاءِ هو التّاء ، ومقابلَ الضّاد هو الدّال . وأرى أنّ هذا التّقابلَ نتيجةً لِمَا وصفَ الرّضيُّ به الطّاءَ من الجَهر الّذي وقفْنا عليه فيما سَبَق ، وشرطُ التّقابلِ أنْ يكونَ الصّوت مشابهاً لمقابلهِ بكلّ صفاتهِ إلّا الصّفةَ المُقابلة ، ولهذا فمِنَ الطّبيعي أنْ يكونَ المقابلُ صوتَ الدّال ، لأنّه مجهورٌ وشديدٌ ومن مخرجِ الطّاءِ .

أمّا كونُ الدّال مقابلاً للضّادِ عند المحدثينَ فلا يتعارضُ مع ماقدّمه سيبويهِ والرّضيّ ، لأنّ الضّاد عندَ المحدثينَ انفجاريّةٌ (شديدةٌ) ، أمّا الضّاد العتيقةُ ، فهي رَخوةٌ مستطيلةٌ جانبيّةٌ لايشاركُها في مخرجِها غيرُها .

هـ ـ المَدّ : يميّز الرّضيّ طائفةً من الأصوات بما تمتلكُه من امتدادٍ صوتيٍّ ، وهي أصواتُ (الألفِ والواوِ والياءِ) ، ولأجلِ هذه الصّفة ، فإنّها تعدُّ قسيماً واضحاً متميّزاً عن بقيّة الأصوات ، ولأجل هذه الصّفة ، نرى الرّضيَّ يطلقُ عليها في بعضِ المواقع بـ (حُرُوفِ الإطْلاق) ، لِما تَسْمَحُ صِفَتُها من التّرديدِ والتّرجيع ، قالَ الرّضيّ : " وحُرُوفُ الإطْلاق : أيْ الألفُ والواوُ والياءُ ، هِيَ المُتَعَيِّنَةُ مِنْ بَيْنِ الحُرُوفِ لِلتّرْدِيدِ ، والتّرْجيعِ الصّالِحَةُ لَها ، فَمِنْ ثَمَّ تَلْحَقُ فِي الشِّعْرِ (لِقَصْدِ الإطْلاقِ) كَلِماتٍ لاتَلْحَقُها فِي غَيْرِ الشِّعْرِ " (١) .

ومعَ تميُّز أصواتِها عَن غيرِها ، فإنّها لَمْ تخرجْ عند الرّضيّ عن التّوزيعِ المُتعارَف عليه في الأصواتِ الصّحيحةِ (الصّامتةِ) ، فهُوَ ينسبُ الألفَ إلى مخرجِ أقصى الحلقِ معَ الهمزةِ والهاءِ ، والياءَ إلى مخرجِ الجيمِ والشّينِ ، وهو مخرجُ وسطِ اللّسان ومافوقه ، أمّا الواوُ فينسبُه إلى الشّفةِ مع الياءِ والميمِ ، (ينظر الجدول الملحق (١)) وهي عند الرّضيّ أخفى الحروفِ لسعةِ مخارجِها ، والالف اوسعها ولا يتضيّق المجرى الهوائيّ على امتدادِه ، وهو يقف (على وفق النّظريّة الصّامتيّة) ليبيّنَ أنّ هذهِ الأصواتَ متفاوتةٌ في هذا الاتّساع ، فيقولُ : " وإنّما كانَ الاتّساعُ للألفِ أكثرَ لأنّكَ تضمُّ شفتيْكَ للواوِ ، فيتضيّقُ المَخْرَجُ ، وترفعُ لسانَكَ قبلَ الحنكِ للياءِ . وأمّا الألفُ فلا تعملُ لهُ شيئاً مِنْ هذا ، بلْ تُفرجُ المَخْرَجَ ، فأوسعهنّ مخرجاً الألفُ ، ثمّ الياءُ ، ثمّ الواوُ " (٢) .

---

(١) ش ش ٢/٣١٦ .

(٢) ش ش ٣/٢٦١ .

وَهٰذا ٱلْوصفُ بالاتّساعِ يَتوافقُ مع نظرةِ المحدثينَ لهذهِ ٱلْأصواتِ ، قالَ (بلومفيلد) فيها " إنّها تعديلاتٌ للصّوت ٱلْمنطوقِ لاتتضمنُ غلقاً ولا احتكاكاً ولا اتّصالاً من ٱللِّسان ولَا الشَّفَتَيْنِ " (١) ، ولا ينقضُ هٰذا ٱلتّوافقَ قولُه بوجود بعضِ ٱلتّضييقِ ، فهذا التّضييق معتبرٌ عند الرّضيّ من حيثُ هي مع بعضِها ، لا من حيثُ هي مع غيرِها ، كما يتّضحُ من بناءِ النّص .

وعلى العموم ، فإنَّ هذهِ ٱلْأصواتَ عند ٱلْمحدثينَ (وتشاركُها ٱلْحركاتُ) لايتمُّ ٱلنَّظرُ إليها على وفقِ ماعرفَ مع الصّوامت ، بل الأمرفيها مختلفٌ ، وقدْ جَرَتْ محاولاتٌ كثيرةٌ لِلْوُقوفِ على ٱلْمعيارِ ٱلصّحيحِ لتمايزِها عَنِ الصّوامتِ وتمايزِها بينها ، وأبرزُ تلكَ المحاولاتِ ماقامَ بِه العَالِمُ الإنكليزيُّ (دانيال جونز) حيثُ يَرى هذا العالمُ أنَّ المعيارَ الّذي يجبُ أنْ يُعتَمَدَ هُنا هُو وضعُ ٱللِّسانِ حالَ ٱلتّصويتِ باحدِ تلكَ ٱلْأصواتِ ، فمعَ الألفِ يَستقرُّ ٱللِّسانُ في قاعِ ٱلْفمِ ، ولهذا فقدْ عُرِف بـ (الواسِع) ، ومَعَ الواوِ يَرتفعُ ٱلْجزءُ ٱلْخلفيُّ مِن ٱللِّسان نحوَ ٱلطَّبقِ ٱللَّيِّنِ أو ٱللهاةِ ؛ ولذا ، فالواوُ صائتٌ خلفيٌّ ضيّقٌ ، ومع ٱلْياءِ يترتفعُ ٱلْجزءُ الاماميُّ مِنَ ٱللِّسانِ نحوَ ٱلْحنك ٱلصّلبِ ؛ ولذا تُسمَّى ٱلْياءُ صائتاً اماميّاً ضيقاً ، وٱرتفاعُ ٱللِّسانِ معَهُما ينبغي أنْ يكونَ إلى نقطةٍ لاتُحدِثُ أيَّ نوعٍ من ٱلْاحتكاكِ ٱلْمسموعِ (٢) ، كذلكَ تدخلُ الشَّفتانِ فيها معياراً لِتمايزِها " فَتُدوِيرُ الشَّفَتَيْنِ أوْعَدَمه السِّمَةُ الّتي تفرّقُ بَيْنَ ٱلضَّمةِ وَٱلْكَسْرَةِ " (٣) ، وكذلك بَيْنَ الواوِ وٱلْياءِ .

ومع فرقِ الدِّقة وٱلْاختلافاتِ ٱلْمنهجيّة بينَ ٱلْقدماءِ وٱلْمحدثينَ ، فإنَّ الرَّضيَّ قد ٱقتربَ منَ ٱلْإدراكِ الصّحيحِ لِلطَّبيعةِ ٱلْمخرجيّةِ النّاتجةِ عن حركةِ ٱللِّسان والشَّفتيْنِ ، ففي الواوِ كانَ ٱلْمظهرُ الأكثرُ بروزاً هُوَ تدويرُ الشَّفتينِ ، أمّا مع ٱلْياءِ فلاحظَ أنَّ اتّخاذَ الشَّفتينِ وَضْعَ ٱلْانفراجِ لايبدو متميّزاً أمامَ وضعِهما مَعَ الألفِ ، ولمّا كانَ وضعُ ٱلْانفراجِ يسمحُ بملاحظةِ حركةِ ٱللِّسان فقد مكّنَهُ ذلكَ أنْ يَنْسبَ الياءَ إلى وسطِ ٱللِّسانِ ، ولم

---

(١) دراسةُ الصّوتِ : ١١٤ ـ ١١٥ .

(٢) يُنظر : علمُ ٱلْأصواتِ ٱلْعام : ١٢٩ ـ ١٣٧ ، ومع شهرةِ ماقدّمه جونز فإنّ عملَه عيبَ في شيئينِ : أ ـ إنّه لايَصِفُ شكلَ اللسان كلّه بل يقتصرُ على أعلى نقطةٍ منه ، ب) موضع النّطقة يذكره تقريباً فلايقيس أماميّتها أوخلفيتها . ينظرُ : الكلامُ إنتاجُه وتَحْليلُه : ٧٣ ـ ٧٤ .

(٣) علمُ الأصواتِ ٱلْعام : ١٣٥ .

يُمكّنه أنْ يعرف وضع اللسان عند الواو لصعوبة ذلك؛ لاحتجاجه عنه في بعض النصوص، التي يمر فيها كون الإشمام حال الرفع أو الضم فقط يوضح أنّ هناك ما يمكن أنْ يخفى عليه من حركة اللسان، إذْ يقول : " والشفتان بارزتان لعينه، فيدرك نظره ضمّهما، وأمّا الكسرة فهي جزء الياء التي مخرجها وسط اللسان، والفتحة جزء الألف التي مخرجها الحلق وهما محجوبتان بالشفتين والسن ؛ فلا يمكن للمخاطب إدراك تهيئة المخرجين للحركتين "(١)؛ فعمق الهيئة المخرجيّة التي يعملها اللسان في الواو؛ أدّى إلى التعويل على الأظهر من هيئتها المخرجيّة الاخرى؛ وهي تدوير الشفتين. وقوله بارتفاع وسط اللسان إلى ما فوقه من الحنك الأعلى يدوّ قريباً من تصنيف "جونز" بارتفاع الجزء الأمامي من اللسان .

أمّا الألف فلمّا كان اللسان لا يرتفع معها بل يبقى مستقراً في قاع الفم، والشفتان تتخذان وضعاً محايداً غير مميّز ؛ فمن الأنسب له أنْ ينسبه إلى أقصى المخارج، وخاصة إنّه يدرك تسمية الخليل لها بالهوائيّة.(٢)

ولا يغيب عنّا ما يمكن أنْ أعانه مع الياء والألف خاصةً بوجود نماذج جرى فيها التبادل بين الجيم والياء، والألف والهمزة، وهو شيء معتبر جداً في التفكير الصوتي التراثي في مثل هذه المواقع .

ووقف الرضيّ أيضاً على مجموعة أخرى من الأصوات تمتاز بهذه الصفة (أي : المدّ) هي الحركات، وتبرز هذه الصفة من خلال مسألة التبعيض بين الحركات وأصوات المدّ حيث يُلحظ أنّ الصفة المميّزة بين أيّة منها وصوت المدّ المجانس تقوم على فكرة الزمن النطقي، وهو ما اصطلح عليه بالإشباع(*).

ومن النصوص الواضحة لهذه العلاقة قوله : " ... لأنّ الحركة في الحقيقة بعض حروف المدّ بعد الحرف المتحرّك بلا فصل ؛ فمعنى فتح الحرف الإتيان ببعض الألف عقيبها، وضمّها الإتيان ببعض الواو عقيبها، وكسرها الإتيان ببعض الياء عقيبها "(٣) . وهي فكرة بديهيّة جداً في درس الرضيّ، ومن المسلّمات، ولهذا فقد اقتضى أنْ تكون الحركات هي أصل المدّ. يقال الرضيّ : " الفتحة سبب حصول الألف "(٤)، وقال أيضاً " لأنّك إذا أسكنت حرف العلّة بلا مدّ ولا اعتماد عليهما ربعض ذلك الحرف، فيكون عين الحركة إذْ هي أيضاً بعض الحرف كما قلنا "(٥)، ولهذا أرى أنّ الأصوات المدّيّة يجب أنْ تسبق

---

(١) ش ش ٢/ ٢٧٦ .
(٢) ينظر : ش ش ٣/ ١ ٢٥ .
(٣) ش ش ١/ ١١٨ .
(٤) ش ش ١ / ١٢٣ .
(٥) ش ش ١/ ١١٩ .

(*) ينظر : مصطلح الإشباع .

بحركةٍ مجانسةٍ لتحققَ صفةَ الإمتدادِ وإلّا قلّتْ عن ذلكَ .

أمّا إشاراتُهُ إلى مخارجِها فقدْ ذكرَ أنّ آلةَ الضّمّةِ هيَ الشّفة (ينظر مصطلح آلة الضمة) ورأى أنّ وجودَ الفتحة قبل الحلقيّ معناهُ وجودُ حرفٍ قبلَها من جنسِها بجزئيّتِها من الألفِ الحلقيّ (١) . وبالامتدادِ الزمنيّ أو علاقةِ الجزئيّة بينَ الحركاتِ وأصواتِ المدّ ، بدا لي الرّضيّ متقدّماً على أحدٍ من محاولاتِ المحدثينَ لتمييزِ الصّوائتِ المختلفةِ ، وهي محاولةُ اللّغويّ CATFORD الذي قال: " فالملاحظُ أنّ تلبّسَ الزّمنِ بالحركةِ وارتباطُهُ بها ، أكثرُ من ارتباطِهِ بالصّامتِ ، ذلكَ أنّ الحركةَ يمكنُ مدُّها ، ويكونُ هذا المدُّ جزءاً من إنتاجِها أكثرَ ممّا يكونُ في إنتاجِ الصّامتِ ، فالتّفريقُ بينَ الصّوامتِ المختلفةِ لا يكونُ على أساسِ أنّها مدودةٌ أو غيرُ مدودةٍ ، وإنّما يكونُ كذلكَ في التّفريقِ بينَ الحركاتِ المختلفةِ " (٢) .

وبعدُ ، فإنّ امتلاكَ أصواتِ المدّ لرموزٍ خطيّةٍ جعلهم يعاملونها معاملةً بقيّةِ الحروفِ بخضوعِها لمبدإ تصنيفِ الحروفِ إلى متحرّكٍ وساكنٍ ، وهي لا تتعدّى كونَها حركاتٍ طوالٍ ، وفي ذلك ينصّ الرّضيّ على حركيّتِها قائلاً : " المدّ يقومُ مقامَ الحركةِ (٣) " ، ويجوّزُ التقاءَ الساكنينِ عندما يكونُ الأوّلُ منهما حرفاً ليّناً ، لأنّ الحركةَ بعضُه (التّفصيل في الإتجاه الثّالث من هذا الفصل ، مع رصدٍ لاشتراكِهما في الوظيفةِ المقطعيّة التي تؤدّيانِها في نظامِ الأداءِ العربيّ) .

وإذا كانَ تقدُّمُ الحركةِ قبلَ المدّ المجانسةِ علامةً على امتدادِيّتِهِ ، فإنّ وجودَ حركةٍ غيرِ مجانسةٍ قبلَ صوتِ المدّ (وهو : الواوُ أو الياءُ فقط) تحصلُ حالةً يعرّفُها الرّضيّ بقلّةِ المدّ ، ويعبّرُ عن هذينِ الصّوتينِ : الواوُ أو الياءُ ما قبلَها من الحركةِ من غيرِ جنسِها ، ويعبّرُ عن الحالةِ المدّيّةِ هنا أحسنَ تعبيرٍ في التقاءِ الساكنينِ حيثُ يقولُ في قولِه :

" فإنّكَ إذا تهيّأتَ فيهِ بعدَ القافِ للمدّ الألفيّ : أي الفتحةِ ، ثمّ انتقلتَ في الحالِ إلى المدّ الواويّ شائباً شيئاً من المدّ الأوّلِ بالمدّ الثّاني ، ومَيْلَ كلّ واحدٍ من المدّينِ إلى جانبِ غيرِ جانبِ الآخرِ ، فلا جرمَ لم تتمكّنْ من إشباعِ المدّ الواويّ تمامَ التّمكّنِ (٤) "

---

(١) ينظر : ش ش ٢/ ٢٧٦ .

(٢) عن الحركات بين المعيارية والخصائص النطقية : ١٣١ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٤٨ ، ش ك ٢/ ٥٠٤ ، ويحدث العكس " قيام الحركة مقام الحرف الرابع " ش ك ١/ ٥٠ ، وقوله : " صارت الحركة ... كحرف " ش ش ٢/ ٣٩ .

(٤) ش ش ٢/ ٢١٢ .

على غير ما يحدث في نحو قول المصوم قافه، وذلك لأنك :
" تتهيأ بعد النطق بالقاف للواو ، وذلك لأن الضمة بعض الواو فيسهل عليك المجيء بعد الضمة بالواو كاملة ، لأنه لم يخالطها إذن نوع آخر من المد كما خالطها في نحو قول "(١) وهو تصور خطير جداً في النظام المقطعي الذي سنقف عنده فيما بعد، بعون الله. فتتابع المدين لا يمكن في المقطع، فتحال العربية بتحويل أحد الصوتين، (وهو الثاني) الى شبه صامت، الذي عبر عنه الدرس الحديث بالرمزين (y و w = ى و و) وشبه الصامت (Semi - Consonant) يكون عادة ضمن التتابع الذي ذكره الرضي مسبوقاً بالفتحة فيعمل معها ما يعرف عند المحدثين بصوت المد المركب (أي : Diphthong) ويرمز له بـ (ay و aw)(٢).
وقد أدرك الرضي اقتراب (ي ، و) من الصوامت (أو الصحاح) بما عبر عنه بمصطلح القوة، وذلك عند ما تتبعها الحركة أو يكونان مضعفين فتخرج هذه الأصوات من حالة الاعتلال (التغيير) إلى حالة القوة (الثبات) المتمثلة بالصحاح (بحسب مصطلح القوة) .
وسأقف عند المسلك المقطعي لهذه الأصوات، ومعاملة العربية لها معاملة الأصوات المدية في موضعها من الاتجاه الثالث لهذا الفصل .
كذلك من الأصوات التي تتمتع بصفة الامتداد (ما وقف عليه الرضي) : الأصوات المدية المتفرعة، ويعد أن منها المستحسن وهي : الالف الممالة (أي : ألف الترخيم) وألف التفخيم، ومنها المستهجن وهي الياء كالواو والواو كالياء ، ولابد أن تسبق كلا من هذه الأصوات حركة مجانسة، فهناك الفتحة الممالة نحو الكسرة والفتحة الممالة نحو الضم والكسرة المشم ضماً والضم المشم كسرة .(٣)

---

(١) ش ش ٢/ ٢١١ ـ ٢١٢ .

(٢) ينظر دراسة الصوت : ٢٨٣ و ٣٠٣ .

(٣) ينظر : الاصوات المتفرعة، و ش ش ٣/ ٤ ، ٢٩ .

الاتّجاه الثّاني : الأصوات في حالة التّجاور والتّركيب (التّعامليّة)

يقدّم لنا الرّضي في هذا الاتّجاه مجموعة من الظّواهر وُجِدت نتيجةً لحالة التّجاور بين الأصوات وتركيبها بعضها مع بعض من نحو : الإدغام والإعلال والإبدال والحذف والقلب المكانيّ الّتي تُعدّ مظاهر التّطور الصّوتيّ الّذي يعتري اللّغة الإنسانيّة، وليس العربيّة فقط، وقد استطاع بعض اللّغويين المرموقين (*) الوصولَ إلى أفكار تحدّد سير هذه التّطورات أو بعضها، واصطلحوا عليها بالقوانين الصّوتيّة. فالتّطورات ليست عشوائيّة، قال دي سوسير : "إنّ الظّواهر الصّوتيّة ليست البتّة ظواهر مطلقة دائماً، بل إنّها تخضعُ في أغلب الأحيان لقيود مُعيَّنةٍ، وبعبارةٍ أُخرى فليس جنس الصّوت هو الّذي يتحوّل، إنّما الّذي يتحوّل هو الصّوت، كما يرد في ظروف معيّنة من جوارٍ صوتيّ، وتنبيرٍ وغيرها" (١)

فالقوانين الصّوتيّة ليس كالقوانين الطّبيعيّة، فهي ترتبط بظروف متعددة، وتبدو فكرة القانون الصّوتيّ عند الرّضيّ تدور ضمن اتّجاهين يمثّلهما مصطلحا (التّخفيف، والثّقل) يجمعها الميل نحو: السّهولة والتّيسير، أو الأيسر فونيما، أو الحدّ الأدنى من الجهد (بحسب المحدثين)، أو السّلاسة عند الرّضيّ على صافي مصطلح السّلاسّة. وفيما يأتي وقفات مع المظاهر الّتي قدّمها الرّضيّ ممثّلة لهذا الاتّجاه من اتّجاهات نظره إلى الدّراسات الصّوتيّة .

أ ـ الإدغام : (ويرتبط منه ههنا إدغام المتقاربين)، إنّ حالة الإدغام من أبرز مظاهر التّطورات الصّوتيّة في العربيّة، وهي المماثلة الكليّة الرّجعيّة (٢) عند المحدثين، إذ إنّ الغالب في الإدغام أن يُدغم الأوّل في الثّاني، وهو قياس العربيّة الفصيحة، ويحدث هنا أنّ أبناء اللّغة يميلون إلى إخراج الصّوتين المتتابعين صوتاً واحداً، وهو رأي الرّضيّ وقد وافقه بعض المحدثين (٣)، فرأوا فيه

---

(١) دروس في الألسنيّة العامّة : ٢١٩ .

(٢) للوقوف على الأنواع المختلفة لهذه الظّاهرة، ينظر : علم الأصوات : ١٤١ـ١٤٢

(٣) ينظر : اللغة : ٤٩، ودراسة الصّوت : ٣٣٣، المحيط : ١٢٣، المدخل إلى علم اللغة : ٩٧، وذهب آخرون إلى أنّ الإدغام حرفان، دراسات في علم أصوات العربيّة : ٢٥ ـ ٣٢، وينظر: في حقيقة الادغام ـ لجعفر عباينة، وعلم الأصوات: ١٨٠ .

(*) ينظر: تاريخ علم اللغة : ٢١٤. ومابعدها، دروس في الألسنة: (٢٢٣ـ ٢٣١)

إخراجاً بالصامت الطويل (بحسب مصطلح الإدغام) ، وقد عملت الجدول رقم (٥) للوقوف على بيان التنازلات المخرجيّة وعلى مستوى الصّفات لتتبيّن المسلك الفنولوجي للعربيّة في هذه الظاهرة (يقتصر الكلام على الإدغام في الفصحى المشتركة)[1]

جدول رقم (٥) إدغامُ الحلقية وأقصى اللسان ووسطه والشفويّة.

المخرج		الصّفات المتنازل عنها (ـ) / المكتسبة (+)				الملاحظات
ـ	+	الهمس	الجهر	الشدة	الرخاوة	فضيلة الحرف	
حنجريّ	حلقيّ						اِجْبَهّ حاتماً.
حلقيّ	حلقيّ	+	ـ				اَرْفَع حَّاتِماً
حلقيّ	حلقيّ	+	ـ				إذْبَحّتُوداً (إذْبَحْ عَتُوداً).
حنجريّ	حلقيّ						اَذْبَحّاذِهِ (إذْبَحْ هٰذِهِ).
طبقيّ	طبقيّ	ـ	+				اُسْلُخ غَّنَمَكَ.
طبقيّ	طبقيّ	+	ـ				اَدْمَغ خَّلَفاً.
لهويّ	طبقيّ						اَلْحَق كَّلده.
طبقيّ	لهويّ						اُنْهَك قَّطَناً.
غاريّ	غاريّ	+	ـ				اُبْعَج شَّبْثَاً.
شفويّ	شفويّ			ـ	+	+ غنة	اَضْرِبّ مَّالِكاً.
شفويّ	أسنانيّ			ـ	+	+ تافيف	اَضْرِبّ ثَّاجِراً.

(يوضح سير الادغام) ، ـ (للتنازل) ، + (للاكتساب)

[1] في حالات الإدغام هذه ش ش ٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ .

(١)

١ـ الإدغام المتبادل داخل المجموعات :

آ ـ إدغام مجموعة (ت / د / ذ / ظ / ط / ث) بعضها في بعض، وفي (ص / ز / س) ؛ ومما ذكره الرضيّ فإنّ الإدغام هنا يتمّ على وفق القياس (أيْ : الأوّل في الثّاني)، ويتمّ في هذا السّبيل التّنازل عن المخرج والصّفات الصّوتيّة ومنها صفات فضيلة (أعني : الإطباق) في الظّاء والطّاء .

وبحسب البحث الحديث فإنّ الإدغام يتمّ بين مخرجين (الأسنانيّ والأسنانيّ ـ اللثويّ) ، ويذكر الرّضيّ إدغام هذه الأصوات أيضاً في صوتي الضّاد والشّين، لما فيهما من استطالة فيقربا من حروف طرف اللسان، وهو في الضّاد أقوى، لأنّ الضّاد قريبٌ من الثّنية بويد و من وجهة نظر الحديثة أنّ الإدغام هنا مع الضّاد لاتّحادها مخرجاً مع تلك الأصوات، أمّا مع الشّين الغاريّة أو (مخرج وسط اللسان)، فإنّ بينهما مخرجاً واحداً هو المخرج اللثويّ مما يصعب معه القول بأنّ عامل الإدغام هو التّقارب الخرجيّ .

ب ـ إدغام مجموعة الصّفير : (ص / ز / س) بعضها مع بعض :

يتمّ في هذا الإدغام التّنازل عن صفات الإطباق والجهر والهمس مع الاحتفاظ بالرّخاوة المميّزة بما فيها من صفير ؛ أمّا المخرج، فيتمّ الحفاظ عليه، لأنّها من مخرج واحد هو (بين طرف اللسان وفويق الثنايا) عند الرّضيّ ، وعند المحدثين تشترك هذه الأصوات مع (د / ت / ض / ط) في المخرج الأسنانيّ ـ اللثويّ .

د ـ إدغام مجموعة (ظ / ث / ذ) بعضها في بعض :

وهي الأصوات الأسنانيّة أو (أطراف الثّنايا) عند الرّضيّ ، ويتمّ في هذا الإدغام التّنازل عن صفات الإطباق، والجهر، والهمس، ويعتقد الرّضيّ أنّ الإدغام ههنا أقلّ من الإدغام في المجموعة الصّفيريّة، والسّبب في ذلك كما يرى أنّه " إذا وَقَفْتَ عَلَيْهَا رَأَيْتَ طَرَفَ اللِّسَانِ خَارِجًا عَنْ أَطْرَافِ الثَّنَايَا بِخِلَافِ حُرُوفِ الصَّفِيرِ، وَالْإِعْتِمَادُ بِالْإِدْغَامِ عَلَى الْحَرْفِ الْمُنْحَصِرِ بِالْأَسْنَانِ أَسْهَلُ مِنْهُ عَلَى الْحَرْفِ الرَّخْوِ الْخَارِجِ عَنْ رُؤُوسِ الْأَسْنَانِ ".(٢) .

---

(١) يُنظر لحالات الإدغام هنا: ش ش ٣ / ٢٨١ ـ ٢٨٣، والمخارج عند المحدثين عن دراسة الصّوت: ٢٦٩ ـ ٢٧٣ .

(٢) ش ش ٣ / ٢٨٣ .

(١)

٢ـ إدغام حرف في مجموعة حروف :

آ . إدغام اللام : يرى الرّضيّ (وهو مسبوق في ذلك) أنّ لام المعرفة تُدغم في أصوات: (ن / ر / د / ت / ص / ز / س / ط / ظ / ث / ذ) وكذا في (ض / ش) لمخالطتها حروف طرف اللسان، وعند المحدثين (على فرض وجود الإدغام) فإنّه يتمّ بين اللام اللثوي مع زميلَيه في المخرج (د / ن)، ومع الحروف (الأسنانيّة ـ اللثويّة) وهي (د / ت / ض / ط / س / ز / ص)، ومع الحروف (الأسنانيّة) وهي (ذ / ث / ظ) ومع حرف من المخرج الغاريّ هو الشّين ، ويرى الرّضيّ أنّ هذا الإدغام يحدث على سبيل الوجوب .

ب . إدغام النّون : وهو واجب (كما يرى الرّضيّ) " قُرْبَ مَخْرَجٍ كَاللَّامِ وَالرَّاءِ، أَوقُرْبَ صِفَةٍ كَالْمِيمِ ؛ لِأَنَّ فيه أَيْضاً الْغُنَّة ، وَكَالْوَاوِ وَالْيَاءِ ؛ لِأَنَّ النُّونَ مَعَهُمَا مِنْ الْمَجْهُورَةِ وَمَابَيْنَ الشَّدِيدَةِ وَالرَّخْوَةِ "(٢) وهذا من المحدثين مقبولٌ في اللام والراء ؛ لأنّهما معه من مخرج واحد هو (اللثويّ)، وعلى نحو ما في الياء ؛ لكونها من المخرج المجاور له فهي غاريّة ، أمّا مع الواو ؛ فلا يُمكن القبول بالتّقارب المخرجيّ ؛ لأنّها من الطّبق .

ـ ملاحظات حول حالات الادغام :

آ . إنّ الموقعيّة بما عبّر عنها الرّضيّ في سير القياس (أي : قلب الأوّل إلى الثّاني) تتفاعل مع التّقارب المخرجيّ للعمل على إزالة التّمايز الّذي يتمتع به الصّوت السّابق عن اللاحق بتماثلهما في صوت واحد ، هو العامّ الطّويل، أي : الصّوت الثّاني لكن " مَعَ اعْتِمَادٍ عَلَى مَخْرَجِهِ قَوِيٍّ "(٣) .

ب . يعني الرّضيّ تصوّره لضعف الصّوت المدغَم من خلال سكونه ، إذ الاعتماد بالسّاكن أقلّ ممّا هو عليه الاعتماد والحرف متحرّك ؛ وهذا يُوفّر ضعفاً في الحدود الصّوتيّة بين المتجاورين فيميل المتكلّم إلى دمجهما في حرفٍ واحدٍ .

د . تدخل مُرونة أعضاء التّصويت عاملاً مهمّاً في إحداث الإدغام، إذ سجّل الرّضيّ كثرة مظاهر الإدغام في حروف طرف اللسان ؛ بحيث تبدو الفواصل المخرجيّة متعدّمة مع قلّة ذلك في أصوات الحلق لصلابة جدار الحلق .

---

(١) ينظر لحالات الادغام ههنا ش ش ٣/ ٢٧٩، ٢٧١ ـ ٢٧٤، ٢٨٠ . ومخارجها عند المحدثين عن : دراسة الصوت : ٢٦٣ـ ٢٧٣ .

(٢) ش ش ٣/ ٢٧٢ .

(٣) ش ش ٣/ ٢٣٥ .

هـ ـ قياس الإدغام للفصحى مطرّد في الحلقيّة، وفي غيرها ، لكنّ الحلقيّة تعمل إلى الانحياز بنفسها لقياس خاص بها مع مراعاة القانون العام المسيّر ، وهو (التّخفيف)، وقياسها هو أن يدغم (الأنزل في الأعلى) ، لأنّ الحلقيّة (وهذا يعني في المفهوم الحديث أصوات مخارج : الطّبق ، والحلق ، والحنجرة) أثقلها أنزلها في الحلق ؛ فلا جرم كان لها قياسها الخاص .

و ـ لقد وقفت مع الرّضيّ على مظاهر إدغاميّة يتنازل فيها عن الجهر أمام الهمس تصل الى ٧٥٪ للجهر ، مقابل ٢٥٪ تنازل عن الهمس ؛ كذلك فإنّ في إدغام المجموعات والحروف سلوكاً واضحاً لهذا التّنازل ، ويشير هذا الى كون صفة الجهر لا تشكّل صفةً أساسيةً لتمايز الأصوات عند التعامليّة .

ز ـ الحتفاظ واضح بالرّخاوة ؛ فمن حالات الإدغام في الجدول وغيره نرى أنّ كثيراً منها لا يتمّ إلّا مع مماثل في الرّخاوة ؛ ويؤكده بشكل فعّال مجموعة الصّفير بالإدغام فيها ، أو الإدغام مع بعضها .

ح ـ التّنازل عن الصّفة الفضيلة واضحٌ وخاصة فضيلة الإطباق التي يتنازل عنها مع الظّاء والطّاء والصّاد عند عمليات إدغامها في المجموعات ، التي يحاول الرّضيّ فيها تمايزها بوضع معيار المحافظة على هذه الصّفة بقوله : (في إدغام المجموعة الأولى) : " فَالْأَفْصَحُ إِبْقَاءُ الْإِطْبَاقِ ؛ لِئَلَّا تَذْهَبَ فَضِيلَةُ الْحَرْفِ "(١) ، وكذا يفعل مع الثّانية ؛ ويفعل ذلك أيضا مع الصّفير .

ط ـ إنّ ما يتصوّره الرّضيّ في إدغام اللام يبدو واضحَ التّكلف ، فالتّقارب الذي يعتقده ، متباعد ؛ لأنّه يشمل مخارج متعدّدة متقدّمة ومتأخّرة عن مخرج اللام ؛ فهذا الصّوت اللثويّ يدغم في حروف مخارج : (الأسنانيّ ـ اللثويّ ، والأسنانيّ ، والغاريّ) ؛ ويبدو أنّه لهذا الاتّساع يضيف عاملاً آخر للإدغام هو كثرة تردد لام المعرفة . وكلاهما غير مسلّم به ؛ لذلك فإنّ ما يقدّمه بعض المحدثين من مقترح لفهم هذه الظّاهرة المتعلّقة بالحروف الشّمسيّة والقمريّة ، يبدو غايةً في الوجاهة العلميّة تعززه نتائج الدّراسات المقارنة مع أخوات العربيّة ؛ إذ ذهب أستاذنا الفاضل الدّكتور غالب المطلبيّ (وهو صاحب هذا المقترح) إلى القول بـ : " إنّ الإطار التّاريخيّ لظاهرة التّشديد ، وكذلك التّحليل الصّوتيّ قد يقودان إلى تصوّر مخالف لما ذهب إليه سيبويه ؛ إذ إنّ من الممكن الاعتقاد بأنّ التّشديد ههنا هو المسؤول عن ظهور اللام في أداة التّعريف العربيّة ، وليس العكس ، ويمكن تفسير ذلك بأنّ العربيّة قد فعلت ههنا ما فعلته في مواضع أخرى

---

(١) ش ش ٣/ ٢٨١ ، وينظر ش ش ٣/ ٢٨٣ .

من نزعةٍ إلى إلغاء ٱلتّضعيف كراهيّةً لَه ،وذلك باستبدال أحد ٱلصّوتيْن ٱلمتماثليْن بصوت مخالف في عمليّة معروفة بالمخالفة (Dissimilation) ،وعادةً ما يكون هذا ٱلصّوت ٱلجديد من أصوات ٱلمدّ ٱلطّويلة (Long Vowel) أو أشباهها من ٱلمائعة "(١)

ى ـ إنّ ٱعتماد ٱلرّضيّ على (طرف ٱللسان) واضحٌ جداً في عملية ٱلتّقارب ٱلمخرجيّ ٱلّتي يراها ،وهو ما يوقعه في خلاف مع ٱلمحدثين ؛ إذ إنّه يجعل من ٱلتّقارب ٱلمخرجيّ شاملاً لمنطقةٍ واسعةً تضمُّ (ستةَ مخارج) ،زيادة على مخرج ٱلضّاد ٱلمنتهي بطرف ٱللسان لِٱستطالته ،ويشاركه في ذلك ٱلشّين .

ك ـ إنّ وجود حالات إدغام بين ٱلأصوات ٱلمتباعدة بنظر ٱلمحدثين ينبغي أنْ تُنظر من خلال ٱعتبارات أُخرى غير ٱلتّقارب المخرجيّ أو في ٱلصّفة ... .

ب ـ مظاهر أخرى لِلمماثلة ٱلكليّة

: لقد ٱحتوى درس ٱلرّضي وقفاتٍ متفرّقةٍ تعبّر عن أنماط أُخرى من ٱلمماثلة ٱلكليّة هي :

١ ـ ٱلإتْبَاعُ : وهو مصطلح ٱلمماثلة بين ٱلحركات ،وهو ٱصطلاح ٱلٱنسجام ٱلمدّي (Vowel Assimilation) عند ٱلمحدثين(٢) ،وقد وقفتُ عند بيان هذا المصطلح على معظم مظاهره فاكتفي هنا بٱلإشارة إلى بعض ما حدث في الفصحى من هذه ٱلظّاهرة ففي قوله تعالى : ﴿ إن ٱمْرُؤٌ هَلَكَ ﴾ قال الرّضيّ : " لِأنّ ضَمَّةَ ٱلرّاءِ لِضَمّةِ ٱلأعْرَابِ "(٣) .

غير أنّي أشير إلى أنّ معظم ما أورده ٱلرّضيّ لهذه الظاهرة يقتصر على ٱللهجات وٱلقراءات ٱلقرآنيّة ،وبيد و أنّه ظاهرةٌ واضحةٌ جداً في ٱلسّلوك ٱللهجيّ وٱلقرائيّ

٢ ـ ٱلمماثلة بين أشباه ٱلمدّ وٱلصّحاح : ففي (ٱفْتَعَلَ) ممّا فاؤه واوٌ أو ياءٌ يجري إدغام هذيْنِ ٱلصّوتيْن في ٱلتّاء كما في (ٱتّعَدَ ، وٱتّسَرَ ، وٱتّصَلَ) وهي ٱلمماثلة الرّجعيّة على ما عليه سلوك ٱلإدغام ٱلعامّ ؛ قال ٱلرّضيّ : " فَتَقَعُ ٱلتّاءُ بَدَلاً مِنْهَا كَثِيراً ،لٰكِنّهُ مَعَ ذٰلِكَ غَيْرُ مُطّرِدٍ ، إلّا فِي بَابِ ٱفْتَعَلَ "(٤) ، بيد و أنّ ٱلرّضيّ

---

(١) اداة التعريف في العربية : ٩٨ .
(٢) ينظر : في اللهجات العربية : ٦٧ ،(الحاشية) .
(٣) ش ش ٢/ ٢٤ .
(٤) ش ش ٣/ ٨٠ .

يعتقد أنّ الإدغام ههنا يجرى عبر مرحلتين هما: الإبدال، ثمّ الإدغام، وذلك يؤكّد نظرته أنّه " لا يُمكِنُ إدْغامُ المُتقارِبَيْنِ إلّا بَعْدَ جَعْلِهما مُتَماثِلَيْنِ " (١) كما أنّ هناك عوامل غير التّقارب تعمل هذا الادغام لتباعد مخرجي الصّوتيْنِ .

٣ـ المماثلة بين الحركات وأشباه المدّ : ومظاهرها كثيرة، وهي تساير مقتضيات البنية المقطعيّة للعربيّة فيما يُعرف بظاهرة الإعلال ، التي أرى من المناسب عرضها في الاتّجاه الثّالث من اتّجاهات الدّراسة الصّوتيّة عند الرّضيّ .

جـ ـ المماثلة التّناسبيّة ـــــــــــ : وهو اصطلاح رأيته ممثّلاً لوجهة نظر الرّضيّ في الإدغام الّذي يعتقده في كلمة (ستّ) في الفصحى، وفي إدغام (مَحُّمْ) في لهجة تميم، وهي بحسب تصوّره : (أنْ يتماثل الصّوتان عبر انقلابهما معاً إلى حرف واحد مضعّف متناسب معهما صفةً ومخرجاً) ففي (سِتّ) الأصل فيها (سُدْس) فمع التّقارب المخرجيّ بين السّين والدّال لم يُمكنْ أنْ يقلب أحدهما إلى الآخر خوفاً من تتابع السّينات وحفاظاً على فضيلة الصّفير، وأيضا " بَيْنَهُمَا تَنَافُرٌ فِي الصِّفَةِ ؛ لِأَنَّ الدَّالَ مَجْهُورَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَالسِّينَ مَهْمُوسَةٌ رخوةٌ ؛ فَتَقَارُبُهُمَا دَاعٍ إِلَىٰ تَرْكِ اجْتِمَاعِهِمَا مُظْهَرَيْنِ ، وَكَذَا تَنَافُرُهَا وَقَلْبُ أَحَدِهِمَا إِلَى الْآخَرِ مُمْتَنِعٌ كَمَا مَرَّ ؛ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا قَلْبُهُمَا إِلَى حَرْفٍ يُنَاسِبُهُمَا وَهُوَ التَّاءُ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ مَخْرَجِ الدَّالِ ، وَمِثْلُ السِّينِ فِي الْهَمْسِ " (٢) ، أمّا الظهر الاخير لهذه الظّاهرة فسيتمّ الوقوف عليه في مكانه من البحث الأخير لهذه الرّسالة بعون الله تعالى .

ولكنّ ما يعتقده الرّضيّ لأصل (ستّ) فيه شيء من التّكلف والبعد، لأنّ هذا العدد في السّاميات يردُ وليس فيه شيء من الدّال بل فيه التّاء والسّين والشّين حيث ورد العدد على الصّيغ الآتية : (٣) ، شتشو (آشوري)، وشش (عبرى)، وشتا (آرامي)، وسسو (حبشي)، ويرى كانتينو (٤) أنّ تاء (ستّ) هي تاء سينيّة، وعنده أنّها إحدى أصوات السّاميّة الأمّ .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٣٥ .

(٢) ش ش ٣/ ٢٦٦، وما يتصوّره الرّضي هنا لا يتصوّر مثله سيبويه أو ابن جنّيّ (الكتاب: ٤/ ٤٨١ ـ ٤٨٣، التّصريف الملوكي: ١٠١ .

(٣) ينظر : تاريخ اللّغات السّامية : ٢٨٨ .

(٤) ينظر : دروس في علم أصوات العربيّة : ٧٢ .

د ـ ٱلْمماثلة ٱلْجزئيّة : وهي أنْ يقتصر ٱلتّماثل إلى ما دون ٱلتّماثل ٱلْكليّ، ويذكر ٱلرّضيّ لهذه ٱلْمماثلة نوعين أو درجتين: ٱلْأولى تكون بإنْ يُقلَب أحدُ ٱلصّوتين الى قريب من ٱلثّاني قلباً كاملاً كما هو ٱلْمفهوم من قوله عن ٱلْإمالة وٱلتّجانس في (يَزْدَلّ) : " وَهٰذَا ٱلْعَمَلُ شَبِيهٌ بِٱلْإِمَالَةِ فِي تَقْرِيبِ ٱلصَّوْتِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ إِذْ " أَبْدَلُوا مِنَ ٱلسِّينِ صَادًا "، على ما ذكرت في مصطلح ٱلتّجانس.

أمّا ٱلدّرجة ٱلثّانية فهي أنْ يُشمَّ أحدُ ٱلصّوتين شيئاً من صوتٍ يقاربه بفعل وجود ٱلصّوت ٱلثّاني، ولكن لا إلى حدّ ٱلْإبدال والقلب ، بل فقط إلى ما يُسمّيه بِٱلْإشمام أو ٱلْضارعة أو ٱلْإشراب ، وهو ما يحدث في أشدر وأجدر، فبفعل ٱلدّال يتمّ إشراب ٱلشّين وٱلْجيم صوتَ ٱلزّاي، وكذلك في (صدر) فبسبب وجود ٱلْفاصلة (أي : ٱلْحركة) تضعف ٱلْمماثلة مِن ٱلْإبدال إلى ٱلْإشمام فيُشمُّ ٱلصّاد صوت الزاى . وقال في هذه : " جَعْلُ ٱلصّادِ مُضَارِعًا لِلزّايِ "(*)

ومن أمثلة ٱلدّرجة ٱلْأولى ما تتميز به صيغة (ٱفْتَعَلَ) من سلوك مّا رصده ٱلرّضيّ، فإذا كانت ٱلْفاء أحد ٱلْأصوات ٱلْمستعلية ٱلْمطبقة ما عدا ٱلطّاء، فتحدث ٱلْمماثلة بإنْ تكتسب ٱلتّاء صفة ٱلْإطباق (أي : رفع ٱللّسان نحو ٱلطّبق) ، قال ٱلرّضيّ : " بِأَنْ تَجْعَلَ ٱلتّاءَ إِطْبَاقًا، فَتَصِيرُ طَاءً، لِأَنَّ ٱلطَّاءَ هُوَ ٱلتَّاءُ بِلَا إِطْبَاقٍ "(١)، نحو : اصطبر واضطلم فالصّيغة قبل هذا ٱلتّماثل ثقيلة كما يرى ٱلرّضيّ فـ " تَخْفِيفُهَا بِقَلْبِ ٱلتَّاءِ إِلَى حَرْفٍ يَكُونُ أَقْرَبُ إِلَى فَاءِ ٱلْكَلِمَةِ " (١) .

ومثل هذه ٱلنّظرة من قبل ٱلرّضيّ أكّدها ٱلْبحث ٱلْحديث عند دراسته لِلنّظام الفينولوجي للعربيّة فقد أثبت أنّه " عندما يُوجد صوتٌ مفخّم (ٱلْمُطبق) ساكن في مقطع ما، فإنّ جميع المقطع يصبح مفخّماً " (٢) .

---

(١) ش ش ٣/٢٨٧ .

(٢) ٱلتّشكيل الصّوتيّ : ٥٠ .

(*) ينظر مصطلح المضارعة : ٥٣-٥٤ (من الدّراسة) .

واذا كان ٱلْفاء زايًا أو ذالاً وهما صوتان مجهوران " وَالتّاءُ مَهْمُوسَةٌ فَتَقْلِبُ دَالاً ؛ لِأَنَّ ٱلدّالَ مُنَاسِبٌ لِلذّالِ وَٱلزّايِ فِي ٱلْجَهْرِ وَلِلتّاءِ فِي ٱلْمَخْرَجِ " (١) ، نحو : ازدان وإذدكر ، وقد رصد ٱلرّضيّ حدوث ٱلإدغام بعد ذلك في هذه ٱلصّيغة فيُصبح ٱلْفعلانِ على ٱلشّكل : ٱدّان وٱذّكر وٱدّكر . (٢) .

ومن ٱلألفاظ ٱلّتي حدثتْ فيها هذه ٱلظّاهرة ما أورده ٱلرّضيّ في قلب ٱلسّين صاداً عند وقوعه قبل ٱلأصوات المستعلية سواء أكانت متصلة به كصقر ، أمْ منفصلة بحرف نحو صَلَخَ ، او بحرفين أو بثلاثة نحو صلق وصراط وصاليق ؛ لأنّه يثقل التصعد من منخفض فأبدلوها ما يوافقها في صفتها ، وهي الصّاد على ما يرى الرضي (٣) وٱلأصح أنّ هذه ٱلأصوات قد أثّرتْ بصفتها على ماقبلها فاكْتسبَتْ ٱلسّين ٱستعلاءً جعلها ٱلْقابل المطبق لها وهي ٱلصّاد ، وهذه المماثلة من نوع ٱلرّجعيّة بأمّا في صيغة ٱفتعل ، فالمماثلة تقدّميّة .

ومن ٱلْمظاهر ٱلأُخرى لهذه ٱلظّاهرة ما يحدث لِلنّون من إخفاء مع الحروف سوى حروف الحلق ، إذ لم يكنْ بين تلك ٱلأصوات وهذه ٱلنّون قُربٌ لا في ٱلْمخرج ، ولا في ٱلصّفة تبيح ٱلتّقارب ٱلتّام ليحدث ٱلإدغام فتُخفى ٱلنّون بقلّة ٱلاعتماد وذلك بإنْ يقتصر نطقها على مخرج ٱلْخيشوم ، أيْ : هي مجرد صوت ٱلْغنّة ، و يرى ٱلرّضيّ ٱلنّون من ٱلأصوات ٱلّتي يحتاج فيها ٱلجهد أكثر من غيرها يُساوي ٱلْجهد مع ٱلأصوات ٱلْحلقيّة ؛ لذا " فَٱلنُّونُ وَحُرُوفُ ٱلْحَلْقِ مُتَسَاوِيَانِ فِي ٱلاحْتِيَاجِ إِلَى فَضْلِ اعتمادٍ وإِعْمَالِ لِآلَةِ ٱلصَّوْتِ (٤) " فهي معها ظاهرة غير خفيّة : " لِيَجْرِيَ ٱلاعْتِمَادُ انِ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ " (٤) ، والنُّون مع ٱلأصوات غير ٱلْحلقيّة يتمّ إخفاؤها فيعتمد ٱللسان فيها على ٱلنّقطة ٱلْمخرجيّة لِلصّوت بعد مرور الهواء من ٱلْخيشوم بانخفاض ٱلطّبق ٱللين وفتح مجراه ، وإذا كان بعدها البّاء فإنّ تخالفَ هيئها المخرجيّة يؤدّي الى قلب ٱلنّون ميماً وهو من مخرج ٱلْباء وفيه ٱلْغُنّةُ كما في عنبر وكذلك في (سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (٥) عبر ٱلْمماثلة ٱلْجزئيّة إذ ٱلتّماثل بو سلطة ٱلْمخرج ، وكل حالات

---

(١) ش ش ٣/ ٢٢٧ .
(٢) ينظر : ش ش ٣/ ٢٨٦ .
(٣) ش ش ٣/ ٢٣٠ .
(٤) ش ش ٣/ ٢٧٢ .
(٥) سورة الحج الاية: ٦١ و ٧٥ وينظر ش ش ٣/ ٢١٦ ، ٢٧٣ .

ٱلنّون هنا تتمّ المماثلة بو سلطة ٱلاقتراب ٱلمخرجيّ،لذلك فإنّ ٱلنّون تمتلك تنوعـــــاً واضحاً في ألفوناتِها (١) .

إنّ ٱلرّضيّ بأعتماده على ٱلخفّيّة وٱلثّقل في تبرير مثل هذه ٱلتّحولات ٱلصّوتيّـــة ينسجم بشكل عام مع ما يراه ٱلمحدثون من خلال قانون ٱلسّهولة وٱلتّيسير ، ٱلصّالـــح لتفسير كثيرٍ من ٱلتّحولات الصّوتيّة .

وٱلرّضيّ أيضاً في تصوّره لدراسة هذه الظّاهرة وعدم تجاوزه حدود ٱلتّجاور ٱلصّوتـــيّ يتطابق مع ٱلتّصوّرات المنهجيّة ٱلتي تتم فيها دراسة هذه ٱلظّاهرة عند المحدثيـــن مع ملاحظة إدراكه ٱلمتقدّم في كلّ ذلك بأعتماده على ٱلتّقارب أو ٱلتّباعد في ٱلمخـــرج وٱلصّفة .

هـ ـ ظاهرة المخالفة الصوتية (Dissimilation)

: قد تســـلك ٱلأصوات في تجاورها مع بعضها عكس ما سلكته في ٱلمماثلة (٢) ، فيما يعرف بٱلمخالفة (٣) وهي نزعة ٱلصّوتين ٱلمتشابهين إلى ٱلاختلاف،وتكون هذه ٱلظّاهرة بعض ٱلسّلوك ٱلمتّبع في ٱلتّخلّص من أجتماع ٱلمثلين أو ٱلأمثال (٤) ، وٱصطلح عليها أيضاً بٱلتّباين (٥) ، وٱلتّخالف (٢) ،ولقد ربط ٱلرّضيّ هذه ٱلظّاهرة بالأستثقـــال ٱلحاصل من وجود متماثلين،إذ على ٱللسان كلفة شديدة في ٱلرّجوع الى ٱلموضع نفسه،وٱصطلح على هذه ٱلكلفة بٱلكراهية،قال ٱلرّضيّ : " وَٱجْتِمَاعُ المِثْلَيْنِ فِـــي أَوَّلِ ٱلْكَلِمَةِ مَكْرُوهٌ،ألا ترى إلى قولهم:أواصِلٌ وأُوَيْصِلٌ " (٦) فقد قلبت الـــواو

---

(١) ينظر:أثر ٱلقراءات في ٱلأصوات : ٢٢٦ـ ٢٢٧ .

(٢) ٱللّغة : ٩٤ .

(٣) ٱلألسنيّة ٱلعربيّة : ٥٤ .

(٤) إلى جنب الحذف والفصل والادغام ينظـــر:ظاهرة كراهيّـــة توالـــي ٱلأمثال .

(٥) علم ٱللّغة: د.وافي : ٢٩٩ـ ٣٠٠ .

(٦) ش ش ٣/٥٨ .

ٱلْأولى همزةً بتلك ٱلكراهيّة، وكذا ما من هذه الظّاهرة تخفيف ٱلهمزتين في نحو (آدم) (١).

ويدرك الرّضي أنّ وجود فاصل بين هذين ٱلصّوتين ممّا يزيل تلك ٱلكراهيّة فلا يقلب أحدهما إلى مغاير، وهو الّذي سلك في نحو (أَئِمّة) (*).

ومن مظاهر هذه الظاهرة ما كان من إبدال ٱللام ٱلثّانية ياءً كما في نحو أَمْلَيْتُ وقَصَّيْتُ وتقضّي ٱلبازي فبكره ٱجتماع ٱلأمثال، ولا طريق لهم إلى ٱلإدغام، فيستريحون إلى قلب ٱلثّاني ياءً لزيادة ٱلاستثقال (كما مرّ في اصطلاح ٱجتماع ٱلمثلين والأمثال).

وقال ٱلرّضيّ: "وأبدلوا أيضاً من أوّل حرفَيْ ٱلتّضعيف في وزن فِعّال إذا كان ٱسماً لا مصدراً، نحو: دِيماسٍ ودِيباجٍ ودِينارٍ وقِيراطٍ وشِيرازٍ" (٢).

ويذكر ٱلرّضيّ أيضاً ٱنقلاب نصف ٱلمدّ إلى مغاير بسبب هذه ٱلظّاهرة حيث قال: "وجاز في ٱجْلِيْوَاذٍ وٱخْرِيْوَاط في مصدر اجْلَوَّذَ وٱخْرَوَّطَ" (٣). وفي بوائع وأوائل وعيائل جمع بائعة وأوّل وعيِّل "يُستثقل لأجل حرفَيْ ٱلعلّة وكون ٱلجمع أقصى ٱلجموع" (٤).

ومن هذه ٱلظّاهرة ما يحدث عندما تتبع ٱلضّمة ٱلواو، إذ يتمّ ٱلتّخلص من هذا ٱلتّتابع بقلب ٱلواو همزةً من نحو: وُجوه وأدْؤُر وأنْؤُر، قال ٱلرّضيّ: "وذلك لأنّ ٱلضّمة بعض ٱلواو، فكأنّه ٱجتمع واوان" (٥)، ولذلك فهو جائز جوازاً مطّرداً لا ينكسر على حدّ قوله، ومن جنسة ما حدث لكلمة (حَيَوان) إذ: "أُبدلت ٱلثّانية، لأنّ ٱستكراه ٱلتّتالي إنّما حصل لأجلها" (٦)، يعني تتالي ياءين.

---

(١) ش ش ١/ ٢٥.

(٢) ش ش ٣/ ٢١٠ ـ ٢١١.

(٣) ش ش ٣/ ٢١١. وينظر ش ش ١/ ٥٥، ١١٢.

(٤) ش ش ٣/ ١٠١.

(٥) ش ش ٣/ ٧٨.

(٦) ش ش ٣/ ٧٣.

(*) ش ش ٣/ ٥٨.

مكتبة لسان العرب
lisanarabs.blogspot.com

ويُلاحَظ في طبيعة ٱلأصوات الحاصلة أنّها في الأغلب أصوات نصف مدّ ، وماكان من ٱلهمز فهو إبدال نَبريّ ، ويبدو أنّ هذه ٱلظّاهرة قد أربكتْ بعض ٱللغويين فحاروا في بعض ٱلصّيغ فهذا ٱبن منظور (١) يحار في أمر النُّون فَيعدّها أصليّة في مادّة ﴿عنصل﴾ وزائدة في مادّة ﴿عصّل﴾ وٱلحقيقة أنّ ٱلمخالفة قد عملت على " فَكّ ٱلإدْغام بإقْحام ٱلنّون بَدَلاً مِنْ أحَدِ ٱلحَرْفَيْنِ ٱلمُتَماثِلَيْنِ " (٢) .

ويمكن أنْ يكونَ ماذكره ٱلرّضيُّ في إدغام اللام من جملة أحداث هذه ٱلظّاهرة في ٱلعربيّة على مابيّنته بعضُ ٱلدّراسات ٱلمعاصرة بٱلاعتماد على نتائج ٱلدّراسات ٱلمقارنة وٱلتّحليل ٱلصّوتيّ (٣) ، فعلى هذا فإنّ لهذه ٱلظّاهرة دوراً خطيراً في ٱلعربيّة .

وـ ظَاهرةُ ٱلإبْدَالِ : سبق في مصطلح ٱلإبدال أنْ أشرتُ إلى أنّ ٱلرّضيّ يقصد بظاهرة ٱلإبدال ذلك ٱلإبدال ٱلّذي لايكونُ لأجل ٱلإدغام .
وجعلُ حرف مكان حرف غيره ، أحد مظاهر ٱلتّعامليّة بين ٱلأصوات وشرطه كما يراه ٱلرّضي هو ٱلتّقارب مخرجاً أو صفة أو كليهما ، ودائماً يبحث عن هذه ٱلعلاقة لهذا فهو يترك رأي ٱلمبرد في أنّ أصل همزة فعلاء هي ٱلنّون ٱستدلالاً برجوعها في صنعاني وسرواني ويأخذ برأي سيبويه أنّ ٱلنّون بدل من ٱلواو ، إذْ قال : " وٱلأوْلَى مَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ ، إذْ لامُنَاسَبَةَ بَيْنَ ٱلهَمْزَةِ وَٱلنُّونِ " (٤) وللوقوف على مظاهر ٱلتّعامليّة في هذه ٱلظّاهرة ، عملت الجدول الرقم (٦) ، وأهملتُ فيه مواطن إبدال : (ٱلهمزة ، وٱلألف ، وٱلياء ، وٱلواو) للسّلوك ٱلفينولوجي ٱلخاص بهذه ٱلأصوات ٱلّذي تتبيّنه في ظاهرة ٱلإعلال ، وتخفيف ٱلهمزة وغيرها في ٱلفصل ٱلقادم .

---

(١) اللسان مادة : (عصّل ، عنصل) .
(٢) الاقيسة الفعلية المهجورة : ٤١ .
(٣) ينظر : أداة ٱلتّعريف في ٱلعربيّة : ٩٨ . وقد سبق هذا ٱلرّأي في ملاحظات الادغام (ط) .
(٤) ش ش ٣/ ٢١٩ .

جدول رقم (٦) حالات الإبدال في العربيّة .
(ينظر : ش ش ٣/٢١٥ - ٢٣٣) /المخارج عن : دراسة الصوت : ٢٦٩ - ٢٧٣ .

	حرف البدل وصفاته	الحرف المبدل منه	مخرج الحرف المبدل منه	الصفات الصوتيّة المتنازل عنها (-) المكتسبة (+) .					الملاحظات
				الجهر	الهمس	الشدّة	الرخاوة	الصفة الفضلية	
١	م شفوي	و ن ب	طبقيّ لثويّ شفويّ					+ غنة - لين + غنة	فم < فَوَهٌ . في كلمة عنبر وشنباء . بنات مخر < بنات بخر راتماً < راتباً .
٢	ن لثوي	و	طبقيّ					+ غنة - لين	صنعانيّ < صنعاويّ .
٣	ت أسنانيّ لثويّ	و ي	طبقيّ غاريّ	- -	+ +	+ +	- -	- لين - لين	اتَّعَدَ < اوْتَعَدَ . اتَّسَرَ < ايْتَسَرَ .
٤	هـ حنجريّ	و ي ت	طبقيّ غاريّ (أسنانيّ لثويّ)	- -	+ +	- +	+	- لين - لين	هناه < هناو (خلاف في أنّ الهاء للسّكت هذِهِ < هذي ؛ في الوقف على التّاء الأسميّة .
٥	ل لثويّ	ن	لثويّ					غنة	أصيلال < اصيلان .
٦	ط أسناني لثوي	ت	أسنانيّ لثويّ					+اطباق	في (افْتَعَلَ) اذا كان الفاء أحد الاصوات المطبقة .
٧	د أسناني لثوي	ت	أسنانيّ لثويّ	+	-				في (افتعل) اذا كان الفاء أحد الأصوات المجهورة : د ، ذ ، ز .
٨	ص أسناني لثوي	س	أسنانيّ لثويّ					+اطباق	اذا وقعت السّين قبل الأصوات المستعلية (صقر صلخ ، صلق ، صراط ، صمالیق
٩	ز أسناني لثوي	س	أسنانيّ لثويّ	+	-				يزدل < يسدل .

ـ نتائج جدول حالات الإبدال في الفصحى :

١ـ جرى تنازل عن الجهر بمقدار (٣٠٪)، وعن الرخاوة بمقدار (٢٨٪)، وعن الشدة بمقدار (١٤٪) لكلٍّ من الهمس والشدة؛ وذلك من مجموع الحالات البالغ عددها (١٤ حالةً)

٢ـ ورد التنازل عن الصفة الفضيلة بنسبة (٣٥٪) .

(٣) العلاقة المخرجيّة غير موجودة فيما يقرب من نصف حالات الإبدال في العربيّة؛ إذ لا وجود لها في :

(م < و ، ن < و ، ت < و ، ي ، هـ < و ، هـ < ي ، هـ < ت) وتبدو لي غامضة ، وربما كان سبب وجودها الأساس هو افتراض النحاة فقط .

(٤) العلاقة واضحة في : (م < ب ، ط < ت ، د < ت ، ص < س ، ز < س ، م < ن ، ل < ن)

(٥) في الحالات (٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) يتمّ الإبدال عبر المماثلة الصوتيّة ، بوجود صوت بعدها يمتلك صفة قوّة أمام صفته ، فيكتسب هذه الصفة فيتحوّل إلى مقابله في الصفة في مخرجه . ويعني ذلك أيضاً محافظة واضحة على النقطة المخرجيّة واعتداداً بها في التمايز الصوتيّ .

(٦) يمكن تبرير الإبدال الذي يفتقر إلى وضوح العلاقة بين الصوت المبدل منه والمبدل بتداخل بعض الاعتبارات غير الصوتيّة .

ز ـ القلبُ المكانيُّ * مظهر آخر من مظاهر التعاملية التي رصدها الرضيّ في عمله وهو يعرّفه قائلا : " تَقْدِيمُ بَعْضِ حُرُوفِ الْكَلِمَةِ عَلَى بَعْضٍ ، وَأَكْثَرُ مَا يَتَّفِقُ الْقَلْبُ فِي الْعِلَّةِ وَالْمَهْمُوزِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي غَيْرِهِمَا قَلِيلاً ، نَحْوَ : اضْمَحَلَّ وَاكْرَهَفَّ في اضْمَحَلَّ وَاكْفَهَرَّ " وهو أحد المظاهر التي تنطوي تحت أحوال الأبنية (على ما أرى) وأنّ الرضيّ قد قصر عن إدراك حقيقة كونه أحدها مع عقليّته ورجاحتها في فهم الظاهرة اللغوية ، وعلى هذا فهو أحد المظاهر الصرفيّة الصوتية .

وتبدو هذه النظرة متقدمة عند المحدثين ممّن رصد هذه الظاهرة ، إذ علّل المحدثون هذه الظاهرة بعلل شتى فمنهم من ذهب إلى وجود علّة نفسيّة (١) ، وآخر (٢)

---

(١) د . عبد الرحمن أيوب في : محاضرات في اللغة : ١٧١ .

(٢) د . إبراهيم السامرائي في التطور اللغوي التاريخي : ١٢٠ .

(*) ش ش ١/ ٢١ .

بعدم الإدراك للكلام من قبل الأطفال ، وعلّل آخر[١] من بعد ما أقامها على الأساس نفسه الذي أقام عليه التشابه (المماثلة) بخطأ الناطقين ونقص الالتفات ، وآخر[٢] أنّ هناك إهمالاً في التنسيق بين الفكر وأعضاء النطق ، ويرى آخر[٣] : أنّ ذلك من دواعي قانون السهولة والتيسير أو الحدّ الأدنى من الجهد .

كما هو واضح ، فإنه لا أحد من الباحثين السابقين تعرّض للكلام عن علّة هذا القلب من خلال نوعية الأصوات المتقدّمة أو المتأخّرة (أي للاستناد على الناحية الصوتيّة - الصرفيّة) إلا ما نجده من شيء بسيط (لم يتعدّ مكانه) عند برجشتراسر[٤] ، وتبعه فيه هنري فليش[٥] ، في القلب الخاص بصيغة (افتعل) إذ يرى أنّ أصلها (اتْفَعَلَ) وهو الأساس السامي للصيغة وقد قُلِبَتْ خاصّة عند ما تكون الفاء صوتاً صفيرياً لعدم تقبّل العربيّة لتتابع صوت احتباسيّ (شديد) ، وصوت رخو صفيريّ .

وإذا كان هذا موقف المحدثين من علّة هذه الظاهرة ، فإنّ الرضيّ (فيما يبدو لي) قد ارتضى أنْ يفهم علّتها ضمن الاعتبارين اللذين أرى أنّه ينبغي مراعاتها في عموم الظواهر الصرفيّة الصوتيّة ، وهما : مقتضيات الكلمة مقطعيّاً ، وطبيعة أصوات الكلمة .

قال الرضيّ : " وَأَكْثَرُ مَا يَتَّفِقُ فِي الْمُعْتَلِّ وَالْمَهْمُوزِ " إذ يلحظ ارتباط هذه الظاهرة في أكثر مواقعها تردّداً بطبيعة معيّنة من الكلمات تتميّز بأصواتها ذات الخصائص الوظيفيّة المتميّزة عن باقي الأصوات ، وهي : أصوات العلّة والهمزة .

وتتوضح اعتبارات الكلمة المقطعيّة بقوله (عند بيان نسبة تردّد هذه الظاهرة موقعيّاً) : " وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ بِتَقْدِيمِ الْآخِرِ عَلَى مَثْلُوِّهِ كَنَاءٍ يَنَاءُ فِي نَأَى يَنْأَى ، وَرَاءَ فِي رَأَى ، وَلَاعٍ وَهَاعٍ وَشَاعٍ فِي لَائِعٍ وَهَائِعٍ وَشَائِعٍ ، وَالْمَهَاةِ وَأَصْلُهَا الْمَاهَةُ ، وَأَمْهَيْتُ الْحَدِيدَةَ فِي أَمْهَتُّهُ ، وَنَحْوَ جَاءٍ عِنْدَ الْخَلِيلِ " (٦) .

---

(١) فندريس : اللغة . ٩٤ .
(٢) نقلاً عن ، خواطر وآراء صرفية : ١٦ .
(٣) د . داود عبده : دراسات في علم أصوات العربيّة : ٩٢ .
(٤) التطور النحوي : ٩٢ .
(٥) العربيّة الفصحى : ١٤٦ والحاشية (٢) .
(٦) ش ش ١/ ٢١ - ٢٢ .

فالملاحظ هنا أنّ التخلص من المقطع المفتوح في نهاية الكلمة كان نتيجةَ هذا القلب كما في نأى ويَنْأَى ورأى ، أمّا في نحو لاعٍ وهاعٍ وشواعٍ ، فيبدو أنّ التخلُّص من النبر التوتري (صوت الهمزة) الواقع بعد صوت الألف الممثِّل للنبر الطوليّ ، فهذا التتابع النبري يُتخلَّص منه بسحب النبر التوتريّ إلى آخر الكلمة ثمّ جرى إسقاطه فيما بعد (مع احتمال عدم حدوث أيّ قلب مكانيّ في هذه الألفاظ بإسقاط الهمزة مباشرة) ، ويبدو أنّ هذا السلوك في التخلص من النبر هو الذي دعى الخليلَ إلى أنْ يرى القلبَ قياسيّاً في كلّ ما أدّى ترك القلب فيه إلى اجتماع همزتين كجاءٍ وساءٍ ونحوهما على ما رُوِيَ عنه الرّضيّ الذي قال (واصفاً إيّاه) : " فَلَمَّا رَأَى فِرَارَهُمْ مِنَ الْأَدَاءِ إِلَى هَمْزَةٍ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ أَوْجَبَ الْفِرَارَ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى هَمْزَتَيْنِ "(١) وهو مالم يُسلِّم به سيبويه ، والرّضيّ ، ومِمّا يؤكّد سلوك الرّضيّ هنا أيضاً قوله بالمبدأ المستند إلى صحة الكلمة أمام عدم التصحيح في القول بوجود القلب في الصحيحة ، إذ قال : " فَإِنْ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا صَحِيحَةً مَعَ ثُبُوتِ الْعِلَّةِ فِيهَا دُونَ الْأُخْرَى كَأَيِسَ مَعَ يَئِسَ ، فَالصَّحِيحَةُ مَقْلُوبَةٌ مِنَ الْأُخْرَى "(٢) ، وغير خفيّ أنّ ظاهرة الإعلال تقوم على إعادة التوازن المقطعيّ للكلمة إثرَ الاضطراب المسبَّب عن تكتّل مجموعة من الأصوات المتجانسة (الصوائت وأشباهها) بتأثيراتها على قمّة المقطع التي عادةً ماتشغلها الصوائت .

زيادةً على ماسبق يرى أنّ القلب قد يكون أحد وسائل التخفيف مراعاةً للسهولة والتيسير حيث يقولُ (في تخفيف الهمزة) : " وَرُبَّمَا قُدِّمَتِ الْهَمْزَةُ الَّتِي لَوْ بَقِيَتْ بِحَالِهَا لَكَانَ تَخْفِيفُهَا بِالْحَذْفِ ، اسْتِكْرَاهًا لِلْحَذْفِ ، فَيُقَالُ فِي يَسْأَلُونَ : يَأْسَلُونَ ، لِأَنَّ تَخْفِيفَهَا إِذَنْ بِالْقَلْبِ لَا بِالْحَذْفِ ... وَمِثْلُهُ فِي يَيْأَسُ يَاءَسُ "(٣) ويكمل الرّضيّ ملاحظته لكيفيّات هذا التقديم فيقول : " وَقَدْ يُقَدَّمُ مَثْلُوُّ الْآخِرِ عَلَى الْعَيْنِ نَحْوَ طَأْمَنَ وَأَصْلُهُ طَمْأَنَ ، لِأَنَّهُ مِنَ الطُّمَأْنِينَةِ ، وَمِنْهُ اطْمَأَنَّ يَطْمَئِنُّ اطْمِئْنَانًا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْعَيْنُ عَلَى الْفَاءِ كَمَا فِي أَيِسَ وَجَاءٍ وَأَيْنُقٍ وَالْآرَاءِ وَالْآبَارِ وَالْآدُرِ ، وَتُقَدَّمُ اللَّامُ عَلَى الْفَاءِ كَمَا فِي أَشْيَاءَ عَلَى الْأَصَحِّ ، وَقَدْ تُؤَخَّرُ الْفَاءُ عَنِ اللَّامِ كَمَا فِي الْحَادِي وَأَصْلُهُ الْوَاحِدُ "(٤) .

---

(١) ش ش ١/ ٢٥ .
(٢) ش ش ١/ ٢٤ .
(٣) ش ش ١/ ٣٩ .
(٤) ش ش ١/ ٢٢ .

ويقول الرّضيّ فيما وصفوا من مقاييس لمعرفة هذا القلب : " وَيَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ جَمِيعَ مَاذُكِرَ مِنَ الْمَقْلُوبَاتِ يُعْرَفُ بِأَصْلِهِ ، فَالْجَاهُ وَالْحَادِي وَالْقِسِيُّ عُرِفَ قَلْبُهَا بِأُصُولِهَا وَهِيَ الْوَجْهُ وَالْوَحْدَةُ وَالْقَوْسُ ، وَكَذَا أَيِسَ يَأْيَسُ بِالْيَأْسِ ، وَآزَامٌ وَآدُرٌ بِرِئْمٍ وَدَارٍ ؛ فَإِنْ ثَبَتَ لُغَتَانِ بِمَعْنًى يُتَوَهَّمُ فِيهِمَا الْقَلْبُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا أَصْلٌ كَجَذَبَ جَذْبًا وَجَبَذَ جَبْذًا لَمْ يُحْكَمْ بِكَوْنِ أَحَدِهِمَا مَقْلُوبَةً مِنَ الْأُخْرَى ، وَلَا يَلْزَمُ كَوْنُ الْمَقْلُوبِ قَلِيلَ الْاِسْتِعْمَالِ ، بَلْ قَدْ يَكُونُ كَثِيرًا كَالْحَادِي وَالْجَاهِ ، وَقَدْ يَكُونُ مَرْفُوضَ الْأَصْلِ كَالْقِسِيِّ ؛ فَإِنَّ أَصْلَهُ - أَعْنِي الْقَوْسَ - غَيْرُ مُسْتَعْمَلٍ " (١)

فَالرّضيّ هنا يقف موقف اللّغوي القدير الّذي يدرك عدم احتكام اللّغة لبعض ما يضعه علماؤها من معايير في سعيهم الحثيث لتحديد الظّواهر اللّغويّة ووفق ما اختاروه من تلك المعايير . ولم يُشر الرّضيّ إلى نوع آخر من القلب المكانيّ ، وهو القلب الّذي يحدث بين الحركات والصوامت ويُشاطره في هذا علماء العربيّة جميعهم ، ولكنّه أشار إليه تحت عنوان آخر هو (نَقْلُ الْحَرَكَةِ) كالّذي يحدث فيما يُصطلح عليه (الاعلال بالنّقل) ، وعند بعض أنواع الإدغام ، وهو في المتحركين وقبلها ساكن ، فيتمّ نقل حركة الأوّل إلى السّاكن ، وغير ذلك من المواضع على ما سبق أن اصطلح نقل الحركة .

ح - الحذف : وهو سقوط صوت أو أكثر من أصوات الكلمة ممّا عرف عند الرّضيّ تحت مصطلحات الحذف الاعلاليّ والحذف التّرخيميّ وحذف الاعتباط والحذف نسبيّاً (ينظر : المصطلحات السّابقة في مواضعها) ، ومن خلال ما تمّ للرّضيّ هنا ، فإنّه يبرز (كراهية توالي الأمثال) عاملاً مهمّاً في سقوط الأصوات مع معيارٍ آخر هو (كثرة الاستعمال) ، و خاصّة فيما كان متقارباً منها ؛ ومن ذلك سقوط التّاء من الأفعال المضارعة على وزني تَفَعَّلَ وتَفَاعَلَ عندما يكون حرف المضارعة تاءً (٢) ، وفي استطاع يستطيع سقطت التّاء على ما يرى الرّضيّ لاجتماع متقاربين هما (التّاء والطّاء) ومع عدم إمكانيّة الإدغام بسبب سكون الحرف السّابق وكثرة الاستعمال أُسقط التّاء خلافاً لـ (اسْتَدَانَ) ، لأنّها أقلّ استعمالاً (٣) ، وذلك معيار أبرزته الدّراسات المعاصرة عاملاً مهمّاً في قصّ الألفاظ ، إذ قال فندريس : " وَمِنَ الْحَقَائِقِ الْمُقَرَّرَةِ عِنْدَ الْمُحْدَثِينَ مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَاتِ ، أَنْ كَثْرَةَ الْاِسْتِعْمَالِ ، تُبْلِي الْأَلْفَاظَ ، وتجعلها عرضةً لقصّ أطرافها ، تماماً كما تُبلي العملات المعدنيّة والورقيّة الّتي تتبادلها أيدي البشر " (٣) ، ومن أمثلة هذه الظّاهرة ما ذكره الرّضيّ عن قولهم : بَلْعَنْبَرِ وَبَلْحَارِث وسَلَّقَامَةِ وعَلَّرْضِ وغيرها (٤) .

ويبرز من أمثلة الظّاهرة المختلفة ارتباطها الواضح بوجود عوض عن الصّوت السّاقط ماثلاً له أو قريباً منه كما سبق وما كان من سقوط النّون في نحو : إِنَّنِي ، وكأنّني ، وما كان من الأفعال الخمسة عند اتّصالها بأحد النّونات (٥) .

(١) ش ش ١ / ٢٤ . (٣) اللغة : ٨٩ . (٥) ش ش ٣ / ٢٩٤ .
(٢) ش ش ٣ / ٢٩٢ . (٤) ش ش ٣ / ٢٤٥-٢٤٦ .

الاتجاه الثالث : الأصوات في نظام الأداء

آ ـ الرضيّ والبنية المقطعيّة للعربيّة :

أنطلق في هذا المبحث من فكرتين أساسيتين وعامّتين هما: الابتداء والتقاء الساكنين حيث يعبّر الرضيّ عن الفكرة الأولى قائلاً :

" الأكثرون على أنّ الابتداء بالساكن متعذّر ، وذهب ابن جنّي إلى أنّه متعسّر لا متعذّر ، وقال : يجيء ذلك في الفارسيّة نحو شتر ، وسطام ، والظاهر أنّه مستحيل ، ولابدّ من الابتداء بمتحرّك ولمّا كان ذلك المتحرّك في شتر وسطام في غاية الخفاء (كما ذكرنا) ظنّ أنّه ابتدئ بالساكن ، بل هو معتمد قبل ذلك الساكن على حرف قريب من الهمزة مكسور ، كما يحسّ في نحو عمرو وقفاً بتحريك الساكن الأوّل بكسرة خفيّة ، وللطف الاعتماد لا يبين ، وأمّا الوقف على متحرّك فليس بمستحيل "(١)

ويعبّر عن الفكرة الثانية قائلاً :

" أقول : اعلم أنّ الحرفين الساكنين إذا كان أوّلهما حرفاً صحيحاً لا يمكن التقاؤهما إلا مع إتيانك بكسرة مختلسة غير مشبعة على الأوّل منهما ، فيحسب المستمع أنّ الساكنين التقيا ، ويشاركه في هذا الوهم المتكلّم أيضاً ، فإذا تفطّن كلّ منهما علم أنّ على الأوّل منهما كسرة خفيفة نحو بكر وبشر ، بسر ، فحركت عين الثلاثة بكسرة خفيفة ، وإلاّ استحال أن تأتي بعدها بالراء الساكنة ، وإنّما تحسّ بذلك وتتفطّنه بعد تنبّهك وتأنّقك فيما تتكلّم به ، وإذا خلّيت نفسك وسجيّتها وجدت منها أنّها لا تلتجيء في النطق بالساكن الثاني المستحيل مجيئه بعد الساكن الأوّل من بين الحركات إلاّ إلى الكسرة ...

وأمّا إذا كان أوّلهما حرف لين فإنّه يمكن التقاؤهما لكن مع ثقل ما ، وإنّما أمكن ذلك مع حروف العلّة لأنّ هذه الحروف هي الروابط بين حروف الكلمة بعضها ببعض ، وذلك أنّك تأخذ أبعاضها ، أعني الحركات ، فتنظم بها بين الحروف ، ولولاها لم تتسق " (٢)

---

(١) ش ش ٢/ ٢٥١ .

(٢) ش ش ٢/ ٢١٠ ـ ٢١١ .

تقدّم هاتانِ الفكرتانِ (وللوهلة الاولى) البنى الأساسية التي يستندُ إليها نظام الأداء في العربيّة أو لنقل التشكيل العربي ؛ إذ نلحظ من خلالها أنّ الدارسين للعربيّة قديماً أوجدوا لهم نظاماً مقطعيّاً بسيطاً يقومُ عليه أداؤها الصّوتيّ ؛ وذلك من خلال تقسيمهم الحَرف إلى قسمينِ (متحرّك وساكن)، وعلى وفق هذين يتمّ تشكيلُ السّلسلة المنطوقة ، وهنا ندرك الحقيقة التي سبقنا الى إدراكها المستشرق الشّهير هنري فليش بقوله : " فَمِنَ الممكن أنْ نختم هذا البحث بحقيقةٍ ثابتة هي : أنّ التّفكير الصّوتيّ لدى ابن جنّي والنّحاة العرب يتحرّك داخل النّظام المقطعيّ للغة "(١) فكما تقوم المقاطع الصّوتيّة عند المحدثين على تتابع معين من الصّوامت والصّوائت فكذلك الامرُ عند علمائنا السّابقين بما وصفوا من فكرة السّاكن والمتحرك (بغض النّظر عن الاختلافات الكميّة والنّوعيّة)(٢) . وقد أقام الرّضيّ على هذه نظرته إلى التّشكيل الصّوتيّ ، فالوحدة المقطعيّة كما هي عند المحدثين لم تكن متصوّرة عنده ، لكنّ الأفكار التي يُقدّمها تتسامى لتُخضِعَ لها النّظام المقطعيّ الذي يقدّمه المحدثون للعربيّة (ممّا سنقف عنده قريباً) .

لا بدّ لي هنا قبل الدّخول إلى عرض أفكاره أنْ أؤكد نجاح فكره المنهجيّ في عدم التّعويل على حدود الكلمة بلْ تجاوزها إلى سلسلة الأصوات المعبّرة عمّا هو أوسع من الكلمة ؛ وذلك من خلال رصدهِ لمواضعَ التقاء السّاكنَيْنِ بين كلمتين ، وعدم تعليقه للابتداء والوقف ببداية ونهاية الكلمة ، بلْ هما بداية الكلام مطلقاً ونهايته المعبّرة عن السكوت والانتهاء .(٣) ، وبعدُ يمكن أنْ أُجمل الأفكار المقطعيّة للرّضيّ على الشّكل الآتي :

١ـ أدرك الرّضيّ وظيفة الحركات في عمليّة التّشكيل الصّوتيّ للصّوامت أو الصّحاح ؛ إذ " لَولاهَا لَمْ تَتَّسِقْ " إذَنْ فهذه الحركات هي التي تعطي الصّحاح دورها في عمليّة التّواصل ؛ إذ لولاها لبقيَتْ دُون تركيب فالحركات لها وظيفة في التّشكيل

---

(١) التّفكير الصّوتيّ عند العرب : ٨٥ .

(٢) لقد قدّم كلٌّ من القاضي عبد الجبار وابن سينا وابن رشد والفارابي تصوّرات عن المقطعيّة ترتقي للدّلالة الفنيّة لمفهوم المقطع كما هو عند المحدثين (ينظر التفكير اللساني : ٢٦١ـ ٢٦٢) ويشاركهم كذلك ابن الدّهان اللّغوي (٥٩٢هـ) ، (يُنظر: المصوّتات : ٤٢٧) .

(٣) ش ش ٢ / ١ ٢٥ .

غاية في ٱلخطوة ،تشاركها في هذه ٱلوظيفة حروفُ ٱلعلّة (وقد وقفنا على العلاقة ٱلصّوتيّة بينهما في صفة ٱلمدّ) وهو ينسجم وما يعطيه ٱلمحدثون لها من وظيفة ،إذ توصّلوا إلى أنّه لولا ٱلصّوائت بنوعيها ومكانها في قمّة ٱلمقطع ٱلصّوتيّ لَمَا أمكن إسماع ٱلمقطع وإدراكه ؛ كما إنّ تجمّعات ٱلصّوامت لاتتمّ إلّا بوجود هذه ٱلأصوات .

٢ــ إنّ قوله بٱلاستحالة ٱلصّوتيّة في ٱلإبتداء بٱلسّاكن يسجّل به منعه لتتابع صحيحين في بداية ٱلنّطق ،وإذا وُجِد مثل هذا ٱلتّتابع فإنّ ٱلعربيّة تحتال عليه بجلب صحيح في بداية ٱلنّطق ذى خصائص فنولوجية متميزة (أعني : ٱلهمزة) ،تتبعها حركة مُختلسة (كسرة غالباً ،ربّما تكون قد فقدت ٱلجَهر عند الإختلاس)؛ ويرى بعض ٱلبّاحثين ، أنّ هذا ٱلنّوع من ٱلحركات قصيرٌ جداً (١) ،ويذهب د . كمال بشر (٢) إلى أنّ هذه ٱلهمزة ليست همزة بٱلفعل، وإنّه على فرض وقوعه نوع من ٱلتّحريك ٱلّذي يُسهّل عملية ٱلنّطق . وعلى ٱلعُموم فإنّ ما يذكره ٱلرّضيّ يعني : جلب متحرك في بداية الكلام ؛ واستناداً الى تقريره هذا فإنّ بداية ٱلكلام يجب أنْ تكون على الأشكال : (ص ح ، ص م ، ص ح ص)،أي:ٱلمقاطع ٱلثّالثة ٱلأولى من مقاطع ٱلعربيّة عند ٱلمحدثين (٣)

---

(١) ٱلتّصريف العربي : ١١٠

(٢) كتابه دراسات في علم اللغة : ١٤٣ــ ١٤٤ ،وتشارك ٱلعربيّة في هذا اللغات ٱلسّاميةُ (ينظر : فقه اللغات السّامية : ٧٣) .

(٣) مجمل آرائهم يرى أنّها خمسة مقاطع ، وتوجد ٱختلافات متباينة في تسميات هذه ٱلمقاطع لكنّها تشترك في محتوياتها،وقد رأيتُ أنْ أضع تسميات أراها أكثر دلالة على محتوى،وشكل المقطع مستفيداً ممّا ورد في كتبهم وهي :

١ــ ٱلمقطع ٱلقصير ٱلمفتوح ، (ص ح) (مدلول ٱلحرف ٱلمتحرك ، من نحو : تَ ، تِ)

٢ــ ٱلمقطع ٱلطّويل ٱلمفتوح ، (ص م) (وهو مدلول إشباع ٱلحرف ٱلمتحرك من نحو : ما ، بي ، ذو)

٣ــ ٱلمقطع ٱلقصير ٱلمغلق ، (ص ح ص) (من نحو : لَنْ ، مُذْ ، مِنْ)

٤ــ ٱلمقطع ٱلطويل ٱلمغلق (ص م ص) (من نحو : دار ، ميل ، عود)

٥ــ ٱلمقطع ٱلقصير ٱلمزدوج ٱلمغلق (ص ح ص ص) (من نحو : بَحْرٌ ،وقفا) .

ويضيف بعض ٱلباحثين مقطعاً سادساً هو :

٦ــ ٱلمقطع ٱلطّويل المزدوج ٱلمغلق (ص م ص ص) (من نحو مادٌّ ، ضالٌّ ،وقفا) ====

٣ـ إذا كان ٱلرّضيّ قد رفض تتابع صحيحين في بداية ٱلكلام فإنّه نسي أنْ يُشير إلى أنّه لا يمكن أنْ يُبتدأ بحركة (١)، ويبدو أنّ إهماله هذا تأكيد لِلْبداهيّة ٱلمتعارف عليها أنّ : " ٱلْحَرَكة فِي جَوْهَرِهَا نَاقِصَةٌ ، فَهِيَ لَا تَقُومُ بِنَفْسِهَا ، وَهِيَ مُحْتَاجَةٌ لِكَيْ تُوجَدَ إِلَى حَامِلٍ وَهُوَ ٱلْحَرْفُ " (٢) وقد أشار إلى تلبّسها بِٱلْحرف وإعقابها له بقوله " لِأَنَّ ٱلْحَرَكَةَ بَعْضُ حُرُوفِ ٱلْمَدِّ بَعْدَ ٱلْحَرْفِ ٱلْمُتَحَرِّكِ بِلَا فَصْلٍ " (٣)، وقد قرّر الدّرس ٱلْحديث بِٱلْأجهزة ٱلْمختبريّة وجود منطقة أحتكاك عند نطق ٱلْحركة لوحدها أوفي بداية ٱلْكلام ـ تشبه ما يحدث عند ٱلْهمزة (٤) .

= = = = ويرى د . تمام حسّان وجود مقطع من نوع : ح ص (ينظر مناهج البحث : ١٤٠) ويجعله (ص) فقط في (اللغة العربية ، معناها ومبناها : ٩٦)، ويبدو لي أن الواقع ٱلْأدائيّ يقرر وجود ٱلْمقاطع الأربعة ٱلْأولى فقط .

ٱلرّموز ٱلْمستعملة : ص = ٱلصّحيح / ح = ٱلْحركة / م = ٱلْمدّ

ٱلْكلمات ٱلْمستعملة : قصير = في المقطع حركة / طويل = في المقطع مد . مفتوح = قمة ٱلْمقطع في نهايته / مغلق = ٱلصّحيح في نهاية المقطع / مزدوج ٱلْغلق = تتابع صحيحين في نهاية المقطع .

المصادر : زيادة على ما سبق، يُنظر: دراسة ٱلصّوت : ٢٥٦، في ٱلْأصوات ٱللُّغويّة: ٢٣٧ وما يليها، علم ٱلْأصوات ٱلْعام : ٩٨، ١٤١ ـ ١٤٦ ، ٱلْمدخل إلى علم ٱللغة : ١٠٢ ، وينظر بحث: البنية المقطعية العربيّة .

(١) قال في سرّ ٱلصّناعة : ١/ ٤٩ : " لما لم يمكنه الابتداء بالمدة الساكنة ابتدأ باللام ".

(٢) التفكير الصوتي عند العرب : ٨٦ .

(٣) ش ش ١/ ١١٨ .

(٤) ٱلتّشكيل ٱلصّوتيّ : ٣٨، ويقول بروكلمان (فقه اللغات السامية : ٤١) : " كلّ حركة في أول ٱلْكلمة في ٱللغات ٱلسّاميّة تنطق في ٱلْأصل محقّقة بمعنى أنها تسبق بهمزة " .

٤ ـ نهاية الكلام يمكن أن تكون صحيحاً ساكناً أو متحركاً ، وبهذا فيمكن أن تنتهي السلسلة الصوتية بمقطع مفتوح أو مغلق وإنْ كانت العربية تميل إلى إغلاق المقطع الأخير في السلسلة .

٥ ـ إنّ منع الرضيّ إلتقاء الساكنين معناه رفضه تتابع ثلاثة صحاح في أثناء الكلام أو صحيحين عند الوقف (١) ، أيْ إنّ الرضيّ لا يرى تحقّقاً للمقطع الخامس والسادس لا في حالة الدرج ولا في الوقف والشكل المقطعيّ عندها يصبح :

(المقطع الخامس : ص ح ص ص ← ص ح ص ح ص)

(المقطع السادس : ص م ص ص ← ص م ص ح ص)

٦ ـ إنّ قبول الرضيّ تتابع ساكنين أوّلهما حرف لين (٢) ، معناه قبوله المقطع الرابع أيْ : (ص م ص) على ما وضعه من الشرطين ، وقبل الدخول في الشرطين أشيرُ إلى مسألة الاعتقاد بأنّ حروف اللين ومنها حروف المدّ ساكنةٌ (يمكن أن ينظر هنا في مصطلح الساكن) بورّما أدرك تعسّف النظرة تلك عندما قال بإمكانيّة التقائهما ، الذي لم يكن من القوة بحيث يتجاوز قوله : " وَلَكِنْ سَمِعَ ثِقْلٍ مَا " (٢)

٧ ـ يقولُ الرضيّ : عندما يكون أوّل الساكنين حرفَ لين :

" فَاعْلَمْ أنّ أوّلَ مِثْلِ هذَيْنِ السّاكِنَيْنِ إذَا كَانَ أَلِفاً فَالأَمْرُ أَخَفُّ لِكَثْرَةِ المَدِّ الّذي فِي الأَلِفِ ، إذْ هُوَ مَدٌّ فَقَطْ ؛ فَلِذلِكَ كَانَ نَحْوُ مَادَّ وَسَادَّ أَكْثَرَ مِنْ نَحْوِ تُمُودَّ الثّوبُ ، ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ إذَا كَانَ أَوّلُهُمَا واواً أَوْ ياءً مَاقَبْلَهُمَا مِنَ الحَرَكَاتِ مِنْ جِنْسِهِمَا ، وَلَمْ يَأْتِ مِثْلُ ذلِكَ فِي الياءِ في كلامهم نحو سِيْرَ ؛ والدّرَجَةُ الأَخِيرَةُ أنْ يَكُونَ أَوّلُ السّاكِنَيْنِ وَاواً أَوْ ياءً قَبْلَهَا فَتْحَةٌ لِقِلّةِ المَدِّ الّذي فِي مِثْلِ ذلِكَ (٣) ، وَلَمْ يَأْتِ مِثْلُ ذلِكَ إلاّ فِي التّصْغِيرِ نَحْوَ خُوَيْصَّةَ " .

---

(١) في شرح المفصل : ٩/ ١٢٠ ـ ١٢١ ، يقبل ابن يعيش بالتقائهما في الوقف

(٢) ش ش ٢/ ٢١١ .

(٣) ش ش ٢/ ٢١٢ .

يقرّر هذا النّص ملاحظة مهمّة وخطيرة في النّظرة المقطعيّة هي : أنّ الرّضيّ ، يسلك مع أصوات نصف المدّ سلوكه مع الأصوات المدّية كما في خُوَيْصَّة ودُوَيْبَّة (١) ، وعلى هذا فالنّظام العربيّ يعامل هذه الأصوات معاملته للأصوات المدّيّة (٢) ، وبحسب تصوّراته المحدثين فإنّ (فتحة + ياء ساكنة) ، وهو ما يطلق عليه الصّائت المركب (الثّنائيّ) يساوي الصّائت الطّويل من النّاحية الوظيفيّة) .

وعند بي فإنّ الرّضيّ يقبل بوجود المقطع الخامس أي (ص ح ص ص) فقط في هذا الموضع ويعلّل قبوله لهذا التّتابع باحتفاظه بالصّفة المدّيّة وإن كانت أقلّ من المدّ في الأصوات المدّيّة .

٨- يشترط الرّضيّ لوجود السّاكنين السّابقين (أي : السّاكنين أوّلهما لين) شرطين قال فيهما :

" هذا ، ومع المدّ الذي في حرف اللين يُشترط في السّاكن الثّاني أحد الشّرطين أحدهما : أن يكون مدغماً بشرط أن يكون المدغم والمدغم فيه معاً من كلمة حرف المدّ ، وذلك أنّه إذا كان مدغماً في متحرّك فهو في حكم المتحرّك ، وذلك لشدّة التصاقه به فإنّ اللسان يرتفع بالمدّغم والمدغم فيه ارتفاعة واحدة ، فيصيرا ن كأنّهما حرف واحد متحرّك ، ... (٣)

الشّرط الثّاني من الشّرطين المعتبر واحد منهما في السّاكن الثّاني : أن يكون موقوفاً عليه بالسّكون ، أو مجرى مجرى الموقوف عليه ، وذلك لأنّ الوقف لقصد الاستراحة ومشارفة الرّاحة تهوّن عليك أمر الثّقل الذي كنت فيه " (٤) .

وهذا ان الشّرطان يوضحان كراهيّة العربيّة لهذا التّتابع الذي لا تستسيغ امتداده خارج الكلمة (وهي ملاحظة جديرة بالنّظر ، إذ تجعل للكلمة اعتبارات مقطعيّة تختلف عن تلك التي خارج حدودها ، ويمثّل هذا التّتابع المقطع الرّابع من مقاطع العربيّة (أي : ص م ص) ، والرّضيّ بذكره هذين الشّرطين يُذكّرنا بمجريات

---

(١) ينظر ش ش ٢/٢٥٠ .

(٢) يقول د . غالب المطلبي (في الأصوات اللغويّة : ١٠٥) : " لقد انطلق الدّكتور هنري فليش من هذه الملاحظة ، ومن ملاحظة ابن جنّي التي سبقت الاشارة إليها إلى إثبات أنّ العربيّة عرفت المدّ المركّب من قبل الوظيفة اللغويّة وإلى أنّها عاملته معاملة صوت المدّ الطّويل "

(٣) ش ش ٢/٢١٢ - ٢١٣ .

(٤) ش ش ٢/٢١٣ - ٢١٥ .

الدّرس المقطعيّ؛ إذ إنّ الدّراسات المعاصرة (١) ، تُقرّر هذين الشّرطين لوجود المقطع الطويل المغلق : وكراهيّة العربيّة له ، سبّبتْ أثراً واضحاً في البنية اللغوية للعربيّة. وقد قامتْ بعضُ الدّراسات (٢) ، برصد مظاهر متعددة من هذا الاثر . وباشتراط وجود المدغم بعد صوت المدّ ؛ فإنّ الرّضيّ يبرز المعاملة الصّوتيّة الّتي تؤكد رأيه السّابق في الإدغام بأنّ الحرف المضعّف ما هو إلّا حرف واحد يعتمد عليه بقوّة (أو الصّامت الطّويل) وقد لحظتُ في سياق تقريره للتّصوّرات السّابقة ـ أنّه يفرغ جانباً من دراسته لبعض الوقائع اللغويّة ليرصد التّحولات التّشكيليّة (المقطعيّة) الّتي تطرأ على الكلمات عند دخولها في حال الحدث الفعليّ الكلاميّ وعند اتّصالها ببعض المورفيمات الصّرفيّة الّتي تلحق الكلمات ، ووجدته يُدخِل اعتباراً آخر في الشّكل المقطعيّ هو (عدم اللّبس) وذلك عند حذف حَرف اللّين السّاكن الوارد في هذا المقطع لعدم توافر شرطيه من ذلك الرّصد :

١ ـ إذا التقى ساكنان على غير ما سبق أوّلهما حرف مد فـ "إنّ لَمْ يُؤَدِّ الْحَذْفُ إلى اللّبس حُذِفَ المدّ ، سَوَاءٌ كَانَ السَّاكِنُ مِنْ كَلِمَةِ الأَوَّلِ كَمَا فِي : خَفْ، وَقُلْ، وَبِعْ ، أو كَانَ كَالْجَزَاءِ مِنْهُمَا ، وَذَلِكَ بِكَوْنِهِ ضَمِيرًا مَرْفُوعاً مُتَّصِلاً ، نَحْوَ تَخْشَيْنَ ، وَتَغْزُونَ وَتَرْمِينَ ، كَانَ أَصْلُهَا تَخْشَى وَتَغْزُو ، وَتَرْمِي ، فَلَمَّا اتَّصَلَتْ الضَّمَائِرُ بِهَا سَقَطَتْ الْأَلِفُ لِلسَّاكِنَيْنِ ، أَوْ بِكَوْنِهِ أَوَّلَ نُونَيْ التَّأْكِيدِ الْمُدْغَمَ أَحَدُهُمَا فِي الْآخَرِ ، نَحْوَ اغْزُنَّ وَارْمِنَّ . . " (٣)

وكذلك يحذف السّاكن الأوّل، وهو المدّ عنده وقوع السّاكن الثّاني الّذي يليه في كلمة أخرى كما نحو : خافا اللّه وخافوا اللّه وخافي اللّه ، يقول الرّضيّ : " فَإِنَّهُ يُحْذَفُ حَرْفُ الْمَدِّ لِلسَّاكِنَيْنِ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي الْتِقَائِهِمَا مُطْلَقاً وَإِنْ حَصَلَ جَمِيعُ الشَّرَائِطِ كُلْفَةً مَا كَمَا ذَكَرْنَا "(٤) .

ويبدو هنا إدراك المثّل للواقع الفعلي ؛ إذْ إنّ النّظام الكتابيّ يُبقي على صورة المدّ في مثل هذه الكلمات .

---

(١) ينظر الاصوات اللغوية ٤٦٥ والمحيط : ٧٥ ومابعدها .

(٢) من تلك الدّراسات : " أثر المقطع المرفوض في بِنْية الكلمة العربيّة " د . يحيى القاسم

(٣) ش ش ٢/ ٢٢٦ .

(٤) ش ش ٢/ ٢١٣ .

ويرى الرّضيّ فيما إذا أدّى هذا الحذف إلى اللبس أنْ يحرّك الثّاني " إذ المدّ لا يُحرّك كما في مُسْلِمُونَ ومُسْلِمَانِ ، فإنّ النّون في الأصل ساكنٌ ، فلو حُذِفَتْ الألفُ والواوُ والياءُ للسّاكنين لالتبسا بالمفرد المنصوب والمرفوع المُثنّيين ، وكذا في يُسْلِمَانِ ويُسْلِمُونَ وتُسْلِمِينَ لو حُذِفَتْ المدّاتُ لالتبس الفعلُ بالمؤكّد بالنّون الخفيفة في بَدْءِ النّظر "(١) ؛ ويقول الرّضيّ أيضاً : " وإنّما لم يُحذف أوّلُ السّاكنين - أعني الألفَ - في رَمَى وغَزَا عند اتّصال ألفِ المُثنّى في غَزَوَا ورَمَيَا وأعْلَيَانِ وحُبْلَيَانِ ، بل قُلِبَتْ واواً أو ياءً ، كما رأيتَ خوفاً من التباسِ المُثنّى بالمفرد " (٢) .

أمّا إذا لم يكن أوّل السّاكنين مدّة فوجب تحريكه ، إلّا إذا أدّى تحريكه إلى نقض الغرض ، كما في (لَمْ يَلِدْهُ وانْطَلَقْ (وهو عند تميم)) ، فهم يخففون ما كان على كَتِفٍ أي : (يَلِدْ وطَلِقْ) ، فيصبحان : (يَلْدْ ، طَلْقْ) وعند الأمر أو الجزم يحتالون بتحريك الآخر لئلّا ينقضوا ما عملوا (٣) .

ويرصد الرّضيّ سلوكاً لبعض اللهجات تتخلص فيه من المقطع الرابع (ص م ص) : أي : من السّاكنين وأوّلهما مدّ ؛ على الرّغم من توفّر شرطيْ قبوله في العربيّة الفصحى ، وذلك السّلوك يؤكّد كراهيّة العربيّة على العموم لهذا المقطع ، إذ يتمّ التّخلص من هذا التتابع بوساطة إحداث همزٍ مكان المدّ .

قال الرّضيّ (فيما أغتفر فيه التقاء السّاكنين) : " وثانِي النّوعَيْنِ ما يكونُ السّاكِنُ الثّاني فيه مُدْغَماً والأوّلُ ألفٌ نحوَ الضّالّين ، فتُقْلَبُ الألفُ همزةً مفتوحةً ، كما يُحكى عن أبي بكرٍ السّختيانيّ في الشّواذ : (ولا الضّأّلّين) ، وحكى أبو زيدٍ عنه : دَأبّة ، وشأبّة ، وأنشد : ... خاطمها زَأمّها أنْ تَذْهَبا ... أي زامّها ، فقلبها همزةً مفتوحةً ، إذ لا يستقيم هنا وزنُ الشّعرِ بأجتماع السّاكنين ، وروى أبو زيدٍ عن عَمْرِو بن عُبيدٍ : (عَنْ ذَنْبِهِ إنْسٌ ولا جَأنٌّ) " (٤) (الرحمن - ٣٩) .

---

(١) ش ش ٢ / ٢٣٠ .

(٢) ش ش ٢ / ٢٣٠ .

(٣) ينظر : ش ش ٢ / ٢٢٦ و ٢٣٨ ومابعدها .

(٤) ش ش ٢ / ٢٤٨ - ٢٤٩ .

وإذا كان الرّضيّ يحكم بقبول هذا التّحول بما يراه من علاقة مخرجيّة بين الألف والهمزة ، فإنّ الدّرس الحديث يتّخذ لنفسه طريقاً آخر ، إذ هو لا يحكم بمثل هذه العلاقة فـ (هنري فليش) (١) ، يفسّره من خلال وجود نوعين من الصوّتات : الأوّل ، ذو توترٍ رخوٍ ، والآخر ذو توترٍ شديدٍ ، وهو الموجود في العربيّة واليابانية مع شدّة ذلك في العربيّة عمّا هو في اليابانيّة ، إذ يحدث عند النّطق به أنْ تنغلق الأحبال الصّوتيّة أوّلاً ثمّ تفتح بالقدر اللازم لإحداث ذبذبة ، فإذا انتهى النّطق انغلقت ، وتأتي نهاية الصّوت في صورة احتباسٍ أو قطع ضعيفين فالذي يحدث في العربيّة أنّ الانفتاح المفاجيء للأحبال الصّوتيّة يصدر همزة ابتداءً بفعل شدّة التّوتر ، ثم تستعيد الأحبال وضعها بأنْ تغلق الحنجرة .

وقد اختار بعض العرب تلخّصاً من هذا القطع أنْ يحدثوا قلباً مكانيّاً عند الوقف في نحو : بكر وعمرو بقلب الحركة الإعرابيّة إلى السّاكن الأوّل ؛ على أنْ يحركوه بالكسرة الخفيفة ضنّاً بالإعرابيّة وتجنباً لجلب حركة أجنبيّة . (٢) .

ب ـ ظاهرة الإعلال :

إحدى الظّواهر البارزة لمقتضيات القطعيّة العربيّة بما فيه من كراهيّة واستحباب حيث تتفاعل فيه القطعيّة مع ظاهرة المماثلة في التّخلص من التّتابع الصّوتيّ غير المرغوب ، ويعني هذا التّتابع في كتب المحدثين وجود صوت المدّ المركب أو (Diephthong) ، الذي سمي مركّباً لأنّه عند ما ينطق بالصّائت المفرد ينقل اللسان في أثناء إصداره إلى موقع نطق لصائت آخر (٣) ، وهي حالة صعبة عند النّطق لأنّها تتطلب أنْ يقطع المتكلم مجرى نَفَسِهِ ثمّ يستأنفه مرة أخرى ، فيحتال الجهاز الصّوتيّ بأنْ يحدث نوعاً من الاحتكاك البسيط المسموع بمثابة فاصلة يستريح فيه اللسان برهة ليستطيع اتّخاذ الموضع الآخر ؛ وبفعل هذا الاحتكاك الحاصل يتحوّل أحد الصّائتين إلى نصف صائت مما يسهّل اجتماعها ، وهذا الصّائت المتحوّل ؛ إمّا أنْ يكون أوّلاً وإمّا ثانياً بحسب نوع المركب الحاصل وقد يتبع نصف الصّائت صائت آخر فيكون ما يعبّر عنه بالمدّ المركّب الثّلاثي .

---

(١) التفكير الصوتي عند العرب : ٦٢ ، حاشية رقم (٤) . وينظر : في الأصوات اللغوية : ٢٧٤ .

(٢) ش ش ٢/٣٢١-٣٢٤ (الوقف بالنّقل) ، (بتصرف) .

(٣) هنا خلاف بين المحدثين في وجود الاصوات المركبة في العربية بحسب ====

وقد عبّر الرّضيّ عن هذا التّركيب تعبيراً دقيقاً بفعل ملاحظته لقلّة المدّ الّذي يكون عند الواو أو الياء التي تسبقها حركة من غير جنسها (أي : الفتحة) ، حيث قالَ :

" وَذٰلِكَ لِأَنَّ فِي نَحْوِ قُول الْمَضْمُومِ قَافُهُ تَتَهَيَّأُ بَعْدَ النُّطْقِ بِالْقَافِ لِلْوَاوِ ، وَذٰلِكَ لِأَنَّ الضَّمَّةَ بَعْضُ الْوَاوِ ، فَيَسْهُلُ عَلَيْكَ الْمَجِيءُ بَعْدَ الضَّمَّةِ بِالْوَاوِ كَامِلَةً لِأَنَّهُ لَمْ يُخَالِطْهَا إِذَنْ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الْمَدِّ كَمَا خَالَطَهَا فِي نَحْوِ قَوْلِ الْمَفْتُوحِ قَافُهُ ، فَإِنَّكَ إِذَنْ تَهَيَّأْتَ فِيهِ بَعْدَ الْقَافِ لِلْمَدِّ الْأَلِفِيِّ : أَيِ الْفَتْحَةِ ، ثُمَّ انْتَقَلْتَ فِي الْحَالِ إِلَى الْمَدِّ الْوَاوِيِّ شَيْئاً شَيْئاً مِنَ الْمَدِّ الْأَوَّلِ بِالْمَدِّ الثَّانِي ، وَمَيْلَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَدَّيْنِ إِلَى جَانِبِ غَيْرِ جَانِبِ الْآخَرِ ، فَلَا جَرَمَ لَمْ تَتَمَكَّنْ مِنْ إِشْبَاعِ الْمَدِّ الْوَاوِيِّ تَمَامَ التَّمَكُّنِ " (١) .

فصوت المد المركب عند الرّضيّ نتاجُ تخالطِ مدّين مختلفين، ولأجله يقلّ المدّ في الصّوت الثّاني ، كأنّه بهذا يقترب من الخصائص الصّوتيّة للصّحاح .

والرّضيّ هنا بتصوّره للمدّ المركب يقدّم لنا أدق المعلومات الصّوتيّة بطريقة رائعة جداً تُثير فيَّ اعجاباً وتقديراً عظيمين .

ويتبيّن ممّا سبق صعوبة مثل هذا التّتابع المدّيّ وأنّ اللغة العربيّة لها رغبة دائمة في التّخلص من تتابع الأصوات المتجانسة إذْ ، يتمّ التّخلص بوساطة المماثلة يتحوّل الواو أو الياء السّاكنة أو المتحرّكة (٢) ، إلى جنس الحركة السّابقة فتولد معها صوت مدّ مجانس ويوفّر هذا التّخلص استقراراً في قمّة المقطع الّتي تشغلها الصّوائت وعلى هذا السّلوك تقوم التّغييرات الّتي تطرأ على حروف العلّة فيما يعرف بظاهرة الاعلال أو الابدال في التّراث اللغوي العربي .

ويستند الرّضيّ في هذه الظّاهرة على قواعد ترسم خطّ سير ذلك التّماثل الّذي ينبغي أن لا يغيب عنّا ارتباطه بحدود الكلمة ولهذا فهذه الظّاهرة تعدّ من جملة الظّواهر الصّوتيّة الصّرفيّة وما القواعد الّتي يذكرها الرّضيّ إلّا قواعد صوتيّة صرفيّة وتلك مسألة واضحة عنده ، إذ نجده يربط تغييراتها بكونها قريبة من طرف الكلمة أو كونها وسطاً (عين الكلمة) وهو شرط أدركه من خلال قوله بضعف علّة قلب الواو والياء المتحرّكتين المفتوح ماقبلهما ألفاً ، إذْ قال :

= = = = تعريفها فمنهم من عدّها صوتاً مركباً ومنهم من عدّها مجرد تتابع صائت ونصف صائت (أو صامت) ينظر : كلام العرب : ٣٣ـ ٣٨ ، دراسة الصّوت : ٣٠٣ـ ٣٠٥ ، علم الأصوات العام : ١٤٠ .

(١) ش ش ٢/ ٢١١ـ ٢١٢ .

(٢) الحقيقة أنّ المتحرّكة تسقط فتتلاقى الحركتان ، وتتحولان إلى صوت المدّ .

"اعْلَمْ أَنَّ عِلَّةَ قَلْبِ الْوَاوِ وَالْيَاءِ الْمُتَحَرِّكَتَيْنِ الْمَفْتُوحِ مَاقَبْلَهُمَا أَلِفاً لَيْسَتْ فِي غَايَةِ الْمَتَانَةِ لِأَنَّهُمَا قُلِبَتَا أَلِفاً لِلِاسْتِثْقَالِ ... وَلِوَهْنِ هٰذِهِ الْعِلَّةِ لَمْ تُقْلَبْ أَلِفاً إِلَّا إِذَا كَانَا فِي الطَّرَفِ : أَيْ لَامَيْنِ ، أَوْ قَرِيبَيْنِ مِنْهُ : أَيْ عَيْنَيْنِ ، وَلَمْ يُقْلَبَا فَاءَيْنِ نَحْوَ أَوَّلٍ وَأَيَلٍ " (١) .

ومما يؤكد الصفة الصوتية اشتراطه في بعض الإعلال كونها على بنية الفعل ، (وسيأتي هذا في أمثله القواعد) والقواعد الصوتية الصرفية التي ذكرها الرضي هي :

١ـ "إِذَا كَانَتِ الْوَاوُ وَالْيَاءُ الْمُتَحَرِّكَتَانِ الْمَفْتُوحُ مَاقَبْلَهُمَا فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ فَإِنَّهُمَا تُقْلَبَانِ أَلِفاً " (٢) ، وذلك في نحو رِباً وُرباً وفتىً وعصاً ومِرْدىً ومِيزىً ، ويذكر أنّ هذه القاعدة غير خاضعة لكون الأسم مشابهاً للفعل (كما في رِباً ورُبَّا) أوغير مشابه .

٢ـ "تُقْلَبُ الْيَاءُ السَّاكِنَةُ وَاواً إِذَا انْضَمَّ مَاقَبْلَهَا" (٣) نحو مُوقِن وأُوقِن وكُولِل ، قال الرضي : "وَلَاتُقْلَبُ الضَّمَّةُ لِأَجْلِ الْيَاءِ كَسْرَةً ، وَذٰلِكَ لِأَنَّ الْيَاءَ بَعِيدَةٌ مِنَ الطَّرَفِ ، فَلَا يُطْلَبُ التَّخْفِيفُ بِتَبْقِيَتِهَا بِحَالٍ بَلْ تُقْلَبُ وَاواً أَوْ يَاءً إِيقَاعاً عَلَى الضَّمَّةِ ، إِذِ الْحَرَكَاتُ إِذَا غُيِّرَتْ تَغَيَّرَ الْوَزْنُ وَبِإِبْدَالِ الْحَرْفِ لَا يَتَغَيَّرُ ، وَالْإِبْقَاءُ عَلَى الْوَزْنِ أَوْلَى " (٤)

٣ـ قال الرضي : "اعْلَمْ أَنَّ الْوَاوَ إِذَا كَانَتْ سَاكِنَةً مُدْغَمَةً وَقَبْلَهَا كَسْرَةٌ ، فَلَابُدَّ مِنْ قَلْبِهَا يَاءً ، سَوَاءٌ كَانَتْ فَاءً كَمِيقَاتٍ ، أَوْ عَيْناً نَحْوَ قِيلَ ، وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ لَاماً فَتُقْلَبُ يَاءً وَإِنْ تَحَرَّكَتْ كَالدَّاعِي ، لِأَنَّ اللَّامَ مَحَلُّ التَّغْيِيرِ" (٥) ، وقد جاءت في عين مصدر معلّ فعله ، نحو قام قياماً ، وفي عين جمع معلّ واحده كديم (٦) .

وبعد : فان ماقدّمته من منهجيّة لتناول ظاهرة الاعتلال يمكن أن تكون موفقة جداً في الوقوف على حقيقة الأمر في تحوّلات هذه الظاهرة .

وبإمكان تلك النظرة القطعيّة إلى هذه الظاهرة أن تقدّم إلى جانب ماسبق ـ تفسيراً لغزوف هذه الظاهرة في مجموعة من الالفاظ يتوارد فيها السّياق الصّوتيّ ذاته الذي

---

(١) ش ش ٣/ ٩٥
(٢) ش ش ٣/ ١٠٠
(٣) ش ش ٣/ ٨٥ .
(٤) ش ش ٣/ ٨٥ ـ ٨٦ .
(٥) ش ش ٣/ ٨٣ ـ ٨٤ وينظر ش ش ٣/ ١٩٣ ـ ١٩٧ .
(٦) ش ش ٣/ ٨٤ وينظر : ش ش ٣/ ٢٠٩ .

يتوارد فيما أُعلّ من نحو : عَوِرَ وَسَوِدَ وحَوِلَ وٱلْجَوَلَانِ وٱلْحَيَدَان وغيرها .
حيث يمكننا أنْ نتصوّر أهمية ٱلْحركة ٱلسّابقة لنصف ٱلْمدّ في ٱلْاعتلال إذا نَظرنا إلى مجموعة من الالفاظ غير المعلّة من نحو : ٱلتّقْوَال والنّسْيَار وأُخَيْلَتِ ٱلسَّمَاءُ ، وأَغْيَلَتْ ٱلْمرأةُ وٱسْتَصْوَبَ وٱسْتَرْوَحَ وٱسْتَنْوَقَ ، وغيرها ساذكره (وهي مجموعة لابأس بها من ٱلْألفاظ) ، حيث لاوجود لِلْحركة ٱلسَّابقة قبل نصف ٱلْمدّ ؛ وهنا أطرح تصوّريْن لعدم اعتلال هذه ٱلْألفاظ وكلاهما يستند إلى ٱنْعدام هذه ٱلْحركة هُما :

١ـ إنّ صوت ٱلْمدّ ٱلْمركّب ٱلصّاعد يتمتع بدرجة ٱستقرار (أوقبول) في نظام ٱلْعربيّة ٱلْمقطعيّ أمام صوت ٱلْمدّ المركّب ٱلْهابط[1] .

٢ـ تخلّف ظاهرة ٱلْمُماثلة عن ٱلْعمل بسبب ٱنْعدام ٱلْحركة ٱلسّابقة ؛ وهذا يُؤكّد قوة ٱلْموقعيّة ٱلّتي تتمتع بها ٱلْحركة ٱلْأولى فتميل إلى جذب نصف ٱلْمدّ نحو هاء فيتماثل معها ، وأيضاً يؤكد عمق العلاقة بين ٱلْحاجة ٱلْمقطعيّة وظاهرة ٱلْمماثلة إذ إنّ تخلّف ٱلْمماثلة أدّى إلى قبول ٱلنّظام ٱلْمقطعيّ بهذا ٱلتّتابع ٱلْمكروه .
وقد وردت مجموعةٌ أخرى من ٱلْألفاظ سالم يعلّ من نحو : ٱلطّوفان ، وٱلصّور ، والطّيران ، والدّوران ، والنّوال ، والسّيال ، وٱلْجولان ، وٱلْحَيَدان ، وسبق ذكر ٱلتّقوال ، وٱلنّسيار ؛ إذْ هذه الالفاظ ذات تشكيل صوتيّ واحد ، يكاد يكون واحداً بِٱتّفاقها جميعاً بالمقطع (ص م ص) في نهايتها ، وهو مقطع مكروه في ٱلْعربيّة ، فكره أنْ يتتابع مقطعان طويلان عند إعلال هذه ٱلْألفاظ ، فكان بقاؤها غير معلّة مناسباً جدّاً .
ويبدو لي أنّ ٱلرّضيّ قال بضعف علّة (قلب ٱلْواو وٱلْياء ٱلْمتحركتين ٱلْمفتوح ماقبلهما ألفاً) عندما رأى تخلفها في أعلال هذه الالفاظ .

---

(١) صوت المد المركب الصاعد (Rising) اذا كانت ٱلْحركة تالية لنصف المد .
ـ صوت ٱلْمدّ ٱلْمركّب الهابط (Falling) اذا كانت ٱلْحركة سابقة لنصف المدّ ، ينظر : أسس علم ٱللّغة : ٨١ .
ٱلْأصوات اللغوية : ١٦١ . في الاصوات اللغوية : ٤٤ ، علم ٱلْأصوات ٱلْعام : ١٤٠ حاشية ـ ٢ ـ ، علم ٱللّغة : ١٨٦ ، كلام ٱلْعرب : ٣٧ .

نتائج الفصل الثاني :

١ـ وضع العناوين المناسبة لاتجاهات الدراسة الصوتيّة التي قام بها الرضيّ وتم بهذا حصر تلك الدراسات في ثلاثة اتجاهات مثّلت مباحث هذا الفصل .

ويتبع هذا ، التوزيعُ الدقيق الجوانب تلك الدراسات على ما هو متعارف في الدرس الصوتيّ الحديث، وقد عملت في هذه العناوين على توظيف الاصطلاحات التي قدّمها لنا الرضيّ (على ما توصلت اليه في الفصل الاول من مبحث المصطلحات)، وقد رأيتُ في بعضها اصطلاحاً جديداً هو (المماثلة التناسبيّة) تعبيراً عن المماثلة الحاصلة في (سنّت ومحّم (التميمية) .

٢ـ وضع معالم النظرية الصوتيّة عند الرضيّ الخاصة بإنتاج الأصوات، ومراتب التمايز بين الأصوات، والظواهر الصوتيّة والمتطلّبات القطعيّة .

٣ـ الوقوف على المفهوم الذي يراه الرضي لصفتي الجهر والهمس وقد رأيت أن تصوّره لهما يتمّ في إطارين: الأوّل ، آليٌّ (أعني الآليّة المخرجيّة عند الصفتين)، والآخر : وظيفيّ (في تمايز الأصوات) وكلاهما لا ينسجم مع شيء من صفة الجهر والهمس في العصر الحديث .

٤ـ بالاعتماد على ما توصلت من مفهوم الجهر والهمس عند الرضي عرضت رأياً جديداً يفسّر وصف أصوات (الطاء والقاف والهمزة) بالجهر .

٥ـ التصورات الدقيقة عند الرضيّ للطبيعة المخرجيّة للأصوات: (الجيم والعين والضاد) تنفي احتمال توهّمه ، وإنّ ما توصف به هذه الأصوات في العصر الحديث جاء نتيجة التطورات الصوتيّة .

فقد قدّم لنا (عند وقوفه على مخرج الضاد) منحىً جديداً في النظرة الى الأصوات عموماً وإلى هذا الصوت خاصّة باعتماده على علم التشريح، إذ قام بوصف كامل للأسنان مع حافة اللسان .

وكذلك تمثّلت الدقة في الطبيعة المخرجيّة للأصوات الشديدة والرخوة وما بينهما ، ورأيت هناك أنّ اصطلاح ما بين الشدة والرخاوة مُلبِس شيئاً ما ورأيت عوضاً عنه اصطلاح (الشدة ـ الرخاوة) .

وقد برز تكلّف الرّضيّ في جعل أصوات (ٱلْواو وٱلْياء وٱلْألف) في جملة مابين ٱلشّديدة والرخوة ؛
لأنّه قدّم لنا تصوّرات عن هذه ٱلْأصوات في مواضع أُخرى ، يقف فيها على خصائصها ٱلْفينولوجية بحسب ما بيّنها ٱلدّرس ٱلْحديث ، كما إنّه فرّق بين ٱلْمدّيّة منها وغير ٱلْمدّيّة وقد قدّم لنا معها تصوّراً مهماً لما يعرف بالصّائت المركب ؛ وقد عملتُ في كلّ هذا على إبراز معلوماته إبرازاً واضحاً .

٦ــ تمّ لي دراسة ٱلْقلب ٱلْمكاني على وفق تصوّر تجاهله معظم اللغويين من درس هذه الظّاهرة ، وهذا ٱلتّصور قام على ملاحظة طبيعة خصائص أصوات ٱلْكلمة ٱلْمقلوبة وٱلْمتطلبات ٱلْمقطعيّة لِلْكلمة المفردة بأعتبارها ظاهرة صوتيّة صرفيّة ، وتمّ هذا في ظلّ ماقدّمه ٱلرّضيّ في هذه ٱلظّاهرة .

٧ــ عرض تصوّراتِه عن طبيعة نظام ٱلْأداء في ٱلْعربيّة ببيان ٱلتّشكيلات الصّوتيّة ٱلْمسموح بها في اللغة على وفق نظام ٱلْمتحرّك وٱلسّاكن .
وقد عملت على عكس تصوّراته على ٱلْمقطعيّة الحديثة ووجدت أنّ ٱلْمقاطع ٱلّتي يقبل بها ٱلرّضيّ في ٱلْعربيّة تنحصر في ٱلْمقاطع الأربعة الأولى مع كراهة واضحة لِلْمقطع ٱلرّابع .

٨ــ قدّمتُ في دراسة ٱلْمقطع تسميات رأيتُ أنّها أكثر دلالة على محتوى المقاطع ، وأشكالها مستفيداً من ٱلْأفكار ٱلسّابقة .

٩ــ لقد عامل ٱلرّضيّ صوت ٱلْمدّ ٱلْمركّب (فتحة + وْ أو فتحة + يْ) معاملة ٱلْأصوات ٱلْمدّيّة في ٱلنّظام ٱلْمقطعيّ لِلْعربيّة كما في خُوَيْصَّة ودُوَيْبَّة (يعني قبوله هنا لِلْمقطع ٱلْخامس) .

١٠ــ إنّ الإطار ٱلّذي ينبغي أن تُدرَس ظاهرة ٱلْإعلال في ضوئه هو ٱلْمقطعيّة ، وتوظيفها لظاهرة ٱلْمماثلة بين نصف ٱلْمدّ وٱلْحركة .

١١ــ تمّ لي طرح أفكار أفسّرُ من خلالها تخلّف ٱلْمقطعيّة عن اعلال مجموعة من الالفاظ ٱلّتي تتوارد فيها ٱلسّياقات ذاتها في المعلّات ، من خلال قبول ٱلْعربيّة ٱلْمدّ ٱلْمركب ٱلْصّاعد وتخلّف ٱلْمماثلة بحذف الحركة السّابقة ، والهروب من تتابع مقطعيّ مكروه .

١٢ــ قمتُ بعمل جداول لبعض الظواهر ، أخصُّ منها ماكان من جدولي ظاهرة الادغام وظاهرة الابدال ، وقد ساعدتني هذه على الخروج بنتائج وضعتُها تحت عنوان

ملاحظات حول الظاهرة ؛ وتعدّ من أبرز نتائجها أنّ العربيّة تبرز سلوكاً واضحاً للتّنازل عن صفة الجهر ممّا يعني أنّ هذه الصّفة ليست بتلك الأهميّة في نظام التّمايز العربيّ .

١٣ـ من خلال وقوفي على فهم الرّضيّ للجهر والهمس برز الإشباع سمة من سمات التّمايز الصّوتي عند الرّضي، فالإشباع في الصّوامت يميّز بين المجهورة والمهموسة، والإشباع في الصّوائت يميّز بين الحركات ومجانساتها من المدّيّة .

١٤ـ ومن الجدولين الآنفي الذّكر تبيّن أنّ العربية تتساهل في ضياع الصّفة الفضيلة عند تحولاتها ههنا .

١٥ـ تنحو العربيّة إلى قلّة واضحة في التّنازل عن صفتي الهمس والشّدة ممّا يؤدّي إلى القول بدورها الواضح في عمليّة التّمايز عند السّلسلة الكلاميّة (أو الأداء) .

١٦ـ وجود حالات تجاوزت نصف مجموع ما عدّه الرّضيّ من الإبدال ربّما لا تكون من الإبدال المعتمد على التّقارب المخرجيّ الذي جعله الرّضيّ المعيار الأساسيّ في القول بالإبدال .

١٧ـ نصف حالات الإبدال (تقريباً) تعتمد على عدم التّساهل في ضياع النّقطة المخرجيّة، ممّا يعني أنّ وظيفة هذه النّقطة في عمليات التّمايز عند الأداء .

الفصل الثالث

علاقات النظام الصوتي

تمهيد:

المبحث الاول : علاقة النظام الصوتي بالنظام النحوي

المبحث الثاني : علاقة النظام الصوتي بالنظام الصرفي

المبحث الثالث : علاقة الاصوات باللهجات والقراءات القرآنية

التمهيد

يعتقد اللغويون المحدثون أنّ التعامل بين الأنظمة اللغويّة (الصّوتيّ، والصّرفيّ، والنّحويّ) "غيرُ واضحةٍ تماماً ومتشابكة، فأصوات اللغة تتأثّر كثيراً بالصّيغ، أو العكس كذلك صحيح"(١)، وعلى وفق هذا التصور تمّ بناء منهجيّة لدراسة التغييرات التي وُصف بعضها بأنّه تغيّر صرفيّ ـ صوتيّ (Morphophonemic) بمعنى أنْ يتضمّن عاملاً صرفياً (Morphological) مشروطاً بعامل صوتيّ تشكيليّ (Phonologicacl) ومتى ما ارتبطتْ تلك الظّواهر بمجموعة الكلمات فإنّه يُطلق عليها في العرف الاصطلاحي اسم مشتق من علمي الأصوات التشكيليّ والنّحو هو (Syntactic Phonology)(٢)؛ وهذا تصوّر منهج النّحو الوصفيّ الذي يُقيم تحليلاته على أساس ارتباط الظّاهرة بالظّواهر الأخرى(٣)، يقول د. تمّام حسّان (عن منهج النحو): "لا يُمكنُ أنْ تقوم دراسة نحويّة صحيحة دون أنْ يدخل في منهجها علم الأصوات وعلم التّشكيل الصّوتيّ وعلم الصّوت، والبابُ الذي لا يُستغنى عنه من علم التّشكيل الصّوتيّ في الدّراسة النّحويّة هو باب الموقعيّة؛ لأنّ النّحو ملئ بالسّلوك الموقعيّ للكلمات، أيْ: إنّ الموقع يتحكّم إلى حدٍّ كبيرٍ بالإعراب"(٤) وهو هنا يأخذ الحركات والمدّ من نتائجه، ويأخذ من نتائجه أيضاً الإعلال والإبدال، والإدغام، والنقل والحذف(٥)..

وعلى وفق ذلك فإنّ النّحو الوصفيّ ركّز اهتمامه على درس الأشكال اللغوية باعتبارها أنماطاً يسهل رصدها ووصفها من خلال قوانين العلاقات"(٣)، بل إنّ الأمر هنا يتجاوز إلى عدّ الأصوات هي الاساس الذي تُبنى عليه الدّراسة اللغويّة بشتّى فروعها، قال بلومفيلد (Bloomfield): "إنّ وصف اللغة يبتدئ بالفنولوجيا التي تحدّد كلّ فونيم، وتقرّر ما التراكيب التي تقع"(٦).

---

(١) أسس علم اللغة: ٤٤

(٢) ينظر: نفسه: ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٣) النحو العربي والدرس الحديث: ٤٦.

(٤) مناهج البحث في اللغة: ٢٢٨.

(٥) القرائن النحوية: ٣٨.

(٦) خواطر وآراء صرفية: ١١.

وإذا كان المنهج الوصفيّ بشكل عام نتاج العقليّة التي تمتّع بها اللغوي الشهير (دي سوسير)،وكانت فكرة التداخل بين المستويات إحدى نتائجه الخاصة ؛ فإنّ من جدّيّة هذه الفكرة وحصافتها أنْ نجد أحدث وأخطر المدارس اللغويّة تنحو بها في منهجها وهي المدرسة اللغويّة الأمريكيّة المعروفة بمدرسة النحو التوليدي ـ التحويليّ بزعامة اللغوي المرموق چومسكي (Chomisky) إذ كوّنت القوانين المورفيميّة ـ الصوتيّة (Morphophoemic Kules)[1]، التي تحدّد وظيفتها في أنّها " تُعطي لمنتوج القواعد التحويليّة (أيْ : التراكيب السطحيّة) شكلها النهائيّ عن طريق إعطاء كلّ مورفيم شكله المحدّد "[2] ؛ وعلى العموم ،فإنّ الأفكار السابقة ما هي إلاّ نتاج طبيعيّ للإزدواجيّة التي تقوم عليها البِنية؛ فهي عبارة عن ازدواج مورفيميّ ـ ألفوني ، حيثُ بإمكان عدد كبير من المورفيمات أنْ تقوم بوظيفتها الدلاليّة بتركيبها من عناصر صُغرى لادلالة لها إنّما تُستعمل لتميز المرسلة (أعني:الألفونات)[3] ، ثمّ إنّ هذه البنى تدخل في أنماط تركيبيّة متعدّدة يقتضيها التركيب الجمليّ (النظام النحوي) لتقوم بوظيفة أخرى إلى جانب وظيفتها الدلاليّة السابقة (وهي :الدلالة الوظيفية) حيثُ تُستعمل بعض الألفونات كمميّز للمرسلة التركيبيّة .

وقد قامت بعض الدراسات[4] ، برصد مواطن تَبَنّى فيها سيبويه هذه المنهجيّة ورأتْ : " انّه عندما درس ظاهرة نحويّة أو صرفيّة ، وجد أنّ ظاهرة أخرى صوتيّة مرتبطة بها غير منفصلة عنها ،فوصفُ واحدة منهما يستدعي وصف الأخرى ،فوصفهما سيبويه وكأنّهما ظاهرة واحدة وليستا ظاهرتين "[5].

" والحقيقة أنّ مردّ هذا إلى أنّ هذه المستويات تتداخل بطبيعتها : أيْ إنّ طبيعة النحو من حيث هو علم متّصلة بعض الاتّصال بالصرف ، والاثنان معاً يتصلان

---

(١) القطريّة التحويليّة و اللغة العربيّة : ١٩٧.

(٢) قواعد تحويليّة للغة العربيّة : ٤١

(٣) الألسنية (علم اللغة الحديث):قراءات تمهيديّة : ٤٨.(التميز ههنا صوتي ابتداء)

(٤) مثل :الكتاب بين الوصفيّة والمعياريّة ، د . أحمد سليمان الياقوت .

(٥) الكتاب بين الوصفية والمعيارية : ٣٢

(الصحيح : يتصلان) ببعض الجوانب الصوتيّة ، أو بمعنى آخر إنّ بعض المسائل النّحوية لها وجه آخر صوتيّ متّصل بالنّحو مترتّب عليه ، فاختلاط المستويات عند سيبويه ليس اختلاطاً مفتعلاً بل إنّه ناتج عن ارتباط الظّاهرة المدروسة بالظّواهر الأخرى "(١) .

ولما تقدّم وتكملة لجوانب الدّرس الصّوتي عند الرضي أسعى في هذا الفصل إلى الوقوف على مواطن نظريّة وتطبيقيّة تظهر فيها معالم هذه المنهجيّة في التّعامل مع الظّاهرة اللّغويّة عند الرّضيّ ، ورائدي في هذا اعتقاده بفكره الجزئيّة بين علوم العربيّة (النّحو والصّرف والصّوت) ، فالتّصريف وما يعنى بالمباحث الصّوتيّة المختلفة جزء من علم النّحو ، قال الرّضيّ (في مقدمة شرح الشّافيّة) : " وَاعْلَمْ أَنَّ التَّصْرِيفَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النَّحْوِ بِلَا خِلَافٍ مِن أَهْلِ الصِّنَاعَةِ "(٢) ، كما أنّ فهم الواضح لأحوال الأبنية في الدّراسة الصّرفيّة (بحسب مصطلح أحوال الأبنية) وأخراجه موضوعات (الوقف والتقاء السّاكنين في كلمتين والادغام فيهما من هذه الاحوال) وجعلها لأبنية ولا أحوال أبنية - كما في المصطلح - يدعو إلى القول بإدراكه التفاعل المتبادل بين المستويات اللّغويّة المذكورة لأنّ هذا الأخراج ناتج عن ارتباطها بالتّركيب (النّحو) ، وإذا كان موضوع مخارج الحروف وصفاتها الصّوتيّة وليدة حاجة رآها سيبويه لتعليل تحولات البنية اللّغوية المرتبطة بظاهرة الإدغام(٣) ، فإنّني على ثقة بأنّ هذه الفكرة قد توسّعت عند الرّضيّ لتشمل تعليل تحولات البِنْية الأخرى فيما يخصّ تلك التي اصطلح عليها بالمصطلحين السّابقين (أحوال الأبنية ، ولا أبنية ولا أحوال أبنية) ، وقد بدا هذا لي من الرّضي حكماً نظريّاً يخضع هذه الموضوعات الصّرفيّة لمتطلبات علم

---

(١) الكتاب بين الوصفية والمعيارية : ٣١ .

(٢) ش ش ١/٦ .

(٣) الكتاب : ٤/٤٣٦ ، قال : " وإنّما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصّفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه ... "

ٱلأصوات في هذا الجانب (وقد سبق في المصطلح (أحوال الأبنية) أنْ رأيتُ مرادفته لِلمصطلح الحديث ٱلتّغيير ٱلصّرفيّ ٱلصّوتيّ Morphophoneme اعتماداً على أفكار ٱلرّضيّ)، وهذا ٱلخضوع من قبل الصّرف لِلأصوات أوضحته إحدى ٱلباحثات بقولها " ٱلنّظام ٱلمسيطر غالباً ، هو ٱلنّظام الصّوتيّ ٱلذي يفرض وجوده ، وملامح مكوناته عند تطبيق قواعد ٱلأنظمة ٱلأخرى وبٱلذّات قواعد ٱلنّظام الصّرفيّ " (١) .
وقالت أيضاً : " وقد نجد لذلك تفسيراً في تبلور علم ٱلصّرفصوتيات ، ٱلذي يهتمّ بتحليل ٱلعوامل ٱلصّوتيّة المؤثّرة على ٱلتّحقيق ٱلفعلي للوحدات ٱلصّرفيّة أو بتعبير آخر يدرس ٱلتّعديلات الطّارئة على ٱلوحدات ٱلصّرفيّة عند ٱلاستخدام في ظل ٱلنّظام ٱلصّوتيّ لهذه ٱللغة " (١)

فالبناء ثابت وهو معتبر بالحركات والسّكنات قبل ٱلحرف الأخير (على ما يرى الرّضي) (٢)، والاحوال هي ما يطرأ على هذا البناء من تغييرات تشمل (ٱلإعلال والإدغام والإبدال وٱلتّخفيف والإمالة) .
وأرى أيضاً أنّ الرّضيّ قد حكم بخضوع علم ٱلنّحو (ٱلتّركيب) لِلمقتضيات الصّوتية من خلال ٱصطلاحه ٱلآخر (لاأبنية ولا أحوال أبنية) لإرتباطه بٱلحرف الاخير من ٱلكلمة حيث تتنازل الكلمة عن دلالتها الوظيفيّة (ٱلحركة ٱلإعرابيّة) تحت ضغط ٱلرّغبة ٱلصّوتيّة ، سواء أكانت ٱلرّغبة مقطعيّة كما في ٱلتقاء ٱلسّاكنين ، أم تخفيفاً كما في ٱلإدغام أم غيرهما كما في الوقف .
وقد جعلت ٱلمبحث ٱلثّالث في علاقة ٱلأصوات بٱللهجات وٱلقراءات ٱلقرآنيّة ، لأبيّن موقف الرّضيّ تجاه سلوك ٱلأصوات في أنساط لغوية أدائيّة متعدّدة : اللهجات العربية والقراءات القرآنية اللتين تمثّلان مرآة للواقع اللغويّ السّائد في الجزيرة العربية أبّان نزول القرآن الكريم .
ويمكنني بعد هذا أن أقف عند طبيعة ٱلتّغيرات ٱلصّوتيّة ٱلتي تميل إليها لهجة ما أو مجموعة من ٱللّهجات دون غيرها ، ويبدو لي أنّ الاعتماد على الظّواهر ٱلعامّة في ذلك أكثر مناسبة هنا في هذا ٱلمبحث ٱلوثيق ٱلإتّصال بالجغرافيّة الصّوتيّة .

---

(١) ٱلفعل ٱلماضيّ مسنداً إلى ضمائر ٱلرّفع ص ٦٠ .
(٢) ينظر: ش ش ١/٥٨ .

ٱلْبحث ٱلْأوّل
علاقة النّظام ٱلصّوتيّ بٱلنّظام ٱلنّحـــويّ

١ـ ٱلْحَرَكَاتُ دِلالة ٱلْمعنى ٱلْوظيفيّ (ٱلطّارئ) :

وهي أبرز متعلقات الموقعية الّتي أشار إليها د . تمّام حسّان في كلامه السابـق ٱلذّكر ، وهو ٱلْأمر ٱلّذي لم يغبْ عن تفكير ٱلرّضيّ من خلال ٱشتراطه ٱلتّركيب كإطـــار تتحرك فيه ٱلْحركات لِلقيام بوظيفتها هـهنا ، إذْ قال : " ٱلتّرْكِيبُ شَرْطُ حُصُـــولِ مُوجِبِ ٱلْإعْرَابِ "(١) ، وقال أيضاً : " لِأَنَّ ٱلْاسْمَ يَسْتَحِقُّ ٱلْإعْرَابَ بَعْدَ تَرَكُّبِهِ مَعَ عَامِلِـــهِ كَمَاتَقَرَّرَ "(٢) .

وقد بدا لي الرّضيّ هنا أكثر شموليّة من ٱلْمصنّف حينما ٱنتقل من ٱلدّلالات ٱلْجزئيّة ٱلّتي أعطاها لِلْعلامات ٱلْإعرابيّة في ٱلْكافية . من نحو ٱلْفاعليّة وٱلْمفعوليّة ... وغيرهـا(٣) إلى دلالات كليّة جامعة لِلْوظائف ٱلنّحوية بقوله بدلالتها على ٱلْعمد وٱلْفضلات معانٍ وظيفيّة (كما سيأتي) ، ويذهبُ ٱلرّضيّ إلى أنّ ٱلْمعاني الوظيفيّة ٱلّتي تحوّيها ٱلْعلامات (ٱلْحركات وٱلْحروف ٱلْمدّيّة) معانٍ طارئة على ٱلْأسماء ، وقد جاءت هذه العلامـــات " لَازِمَة لِلْكَلِمَةِ دَالَّة عَلَى مَعْنَاهَا ٱلطَّارِئ "(٤) ، فٱلْمعنى ٱلْوظيفي أو ٱلْمعنى ٱلطّارئ هو ٱلْمعنى ٱلتّحليليّ ٱلّذي " لَايُمكن أن يكون معنىً معجميّاً يُلتمَس في ٱلْقاموس ٱلْمحيط مَثَلاً ولا دلالياً يتطلّب في دراسات الدّلالة Semantics "(٥) كما يقول د . تمّام حسّان ، ويزيد ٱلرّضيّ ٱلْأمر وضوحاً بقوله : " وَمِثْلَ هٰذَا ٱلْمَعْنَـــى (يَقْصُد ٱلْمعنى ٱلطّارئ على ٱلْكلمة) إِنَّمَا يَكُونُ فِي ٱلْاسْمِ ، لِأَنَّهُ بَعْدَ وُقُوعِهِ فِي ٱلْكَـــلَامِ لَابُدَّ أَنْ يَعْرِضَ فِيهِ : إِمَّا مَعْنَى كَوْنِهِ عُمْدَةً ٱلْكَلَامِ ، أَوْ كَوْنِهِ فَضْلَةً فَجُعِلَ عَلَامَتُهُ أَبْعَـاضَ حُرُوفِ ٱلْمَدِّ ٱلَّتِي هِيَ أَخَفُّ ٱلْحُرُوفِ ، أَعْنِي ٱلْحَرَكَاتِ وَجُعِلَتْ فِي بَعْضِ ٱلْأَسْمَاءِ حُـــرُوفَ ٱلْمَـدِّ "(٦) ، ويبدو لي أنّ ٱلرّضيّ في آخر ٱلنّص يذهبُ إلى أنّ ٱلْأساس ٱلْمعتمد فـي

---

(١) ش ك ١/١٧ ، وينظر : ٱلْمفصّل : ٢٤ ، شرح المفصل : ١/٤٩ .

(٢) ش ك ١/٣٣ .

(٣) ش ك ١/٢٣ (المتن) يبدو أنّ بروز هذه ٱلنّظريّة كان على يد ٱلزّمخشريّ ومن ٱلْممكن جدّاً أنّه ٱستفادها من استعمال محدود جداً لابن جنّي من نحـو (علم ٱلرّفع) و (علم النّصب) ، ينظر : العلامة الإعرابيّة : ٢٣٦ .

(٤) ش ك ١/٢٠ .

(٥) القرائن ٱلنّحويّة : ٣٩ .

(٦) ش ك ١/٢٠ .

إختيار آلة أساس صوتي ويوذلك بإشارته إلى كون حروف المدّ أخفّ الحروف ومعها أبعاضها لطبيعة الحال المشتركة .

قال الرّضي محدّداً دلالات العلامات الإعرابيّة : " الرَّفْعُ عَلَمُ كَوْنِ الاسْمِ عُمْدَةَ الكَلَامِ ، وَلَا يَكُونُ فِي غَيْرِ العُمَدِ ، وَالنَّصْبُ عَلَمُ الفُضْلَةِ فِي الأَصْلِ ثُمَّ يَدْخُلُ فِي العُمَدِ تَشْبِيهًا بِالفُضْلَاتِ . . . أَمَّا الجَرُّ فَعَلَمُ الإِضَافَةِ أَيْ كَوْنُ الاسْمِ مُضَافًا إِلَيْهِ مَعْنَىً وَلَفْظًا " (١)

ويعطي الرّضيّ للرفع والنصب والجر اصطلاحاً يشمل جميع تلك العلامات إذ قال : " الرَّفْعُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ : الضَّمُّ ، وَالأَلِفُ ، وَالوَاوُ . . وَالنَّصْبُ أَرْبَعَةٌ : الفَتْحُ ، وَالكَسْرُ ، وَالأَلِفُ ، وَاليَاءُ . . . وَالجَرُّ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ : الكَسْرُ ، وَالفَتْحُ ، وَالياءُ . . " (١) .

ويعتمد الرّضيّ في هذا الجمع على أساس صوتي أيضاً ، وهو طبيعة التهيئة المخرجيّة للضمّ مع حركة الفكّ الأسفل ، يقول الرّضيّ : " وإِنَّمَا قِيلَ لِعَلَمِ الفَاعِلِ رَفْعٌ لِأَنَّكَ إِذَا ضَمَمْتَ الشَّفَتَيْنِ لِإِخْرَاجِ هَذِهِ الحَرَكَةِ ارْتَفَعَتَا عَنْ مَكَانِهِمَا ، فَالرَّفْعُ مِنْ لَوَازِمِ مِثْلِ هَذَا الضَّمِّ وَتَوَابِعِهِ ، فَسُمِّيَ حَرَكَةُ البِنَاءِ ضَمًّا وَحَرَكَةُ الإِعْرَابِ رَفْعًا ؛ لِأَنَّ دَلَالَةَ الحَرَكَةِ عَلَى المَعْنَى تَابِعَةٌ لِثُبُوتِ نَفْسِ الحَرَكَةِ أَوَّلًا ؛ وَكَذَلِكَ نَصْبُ الفَمِ تَابِعٌ لِفَتْحِهِ كَأَنَّ الفَمَ كَانَ شَيْئًا سَاقِطًا ، فَنَصَبْتَهُ ، أَيْ : أَقَمْتَهُ بِفَتْحِكَ إِيَّاهُ ، فَسُمِّيَ حَرَكَةُ البِنَاءِ ، فَتْحًا ، وَحَرَكَةُ الإِعْرَابِ نَصْبًا ، وَأَمَّا جَرُّ الفَكِّ الأَسْفَلِ ، وَخَفْضِهِ ، فَهُوَ كَكَسْرِ الشَّيْءِ ، إِذَا (خطأ : الالف زائدة) المَكْسُورُ يَسْقُطُ وَيَهْوِي إِلَى أَسْفَلَ فَسُمِّيَ حَرَكَةُ الإِعْرَابِ جَرًّا وَخَفْضًا ، وَحَرَكَةُ البِنَاءِ كَسْرًا ؛ لِأَنَّ الأَوَّلَيْنِ أَوْضَحُ ، وَأَظْهَرُ مِنَ المَعْنَى المَقْصُودِ مِنْ صُورَةِ الفَمِ مِنَ الثَّالِثِ " (٢) ويشير الرّضيّ إلى وجود العلامات السّابقة في بعض الكلمات لكنّها لا تعطي دلالة وظيفيّة ؛ وذلك عندما تكون تلك الكلمات غير خاضعة لنظام التّصرف الإعرابيّ ، أي : عند البناء حيث قال : " وَمِنَ الضَّمِّ وَالرَّفْعِ عُمُومٌ وَخُصُوصٌ مِنْ وَجْهٍ أَمَّا كَوْنُ الرَّفْعِ أَعَمَّ فَلِوُقُوعِهِ عَلَى الضَّمِّ ، وَالأَلِفِ وَالوَاوِ ، وَأَمَّا كَوْنُهُ أَخَصَّ فَلِأَنَّ الضَّمَّ قَدْ يَكُونُ عَلَمَ العُمْدَةِ كَمَا فِي (جَاءَ الرَّجُلُ) ، وَقَدْ لَا يَكُونُ كَمَا فِي حَيْثُ ، وَكَذَا الكَلَامُ فِي النَّصْبِ وَالجَرِّ " (٢) .

والرّضيّ لا يقدم هذه النّظريّة بديلاً عن نظريّة العامل بل إنّ الإعراب لمّا كان (على حدّ تعبير بعض الباحثين) علامة على المعاني النّحويّة وقرينة تميّز بعضها عن بعض

---

(١) ش ك ١/ ٢٤ .

(٢) ش ك ١/ ٢٤ .

وترجعه إلى ٱلمحور ٱلذي تنتمي إليه ؛ فإنّ ذلك قد يبدو منافياً لإعتبارهم ٱلعوامل سبباً للإعراب ، إلّا أنّ إعتمادهم ٱلعامل لا ينجرُّ عنه ثنائيّة في تعليل الإعراب ؛ إذ ليس العامل في نظرهم سوى مابه يتقوّم ٱلمعنى " (١) .

ويقصر الرّضيّ هذه ٱلدّلالات على طائفة خاصّة من ٱلكلمات؛ إذ لا تصلح لغيرها، وتلك ٱلطّائفة هي ٱلأسماء ، قال ٱلرّضيّ : "وَمِثْلُ هٰذَا ٱلْمَعْنَى إِنَّمَا يَكُونُ فِي ٱلْاِسْمِ ؛ لِأَنَّهُ بَعْدَ وُقُوعِهِ فِي ٱلْكَلَامِ لَابُدَّ أَنْ يَعْرِضَ فِيهِ مَعْنَى كَوْنِهِ عُمْدَةَ ٱلْكَلَامِ أَوْ كَوْنِهِ فَضْلَةً " (٢) ، وٱلحركات عند ٱلرّضيّ لمّا كانت أخفّ من حروف ٱلمدّ ؛ فهي لأجل هذا " ٱلْأَصْلُ فِي ٱلْإِعْرَابِ " (٣) ، ومثلما أعتمد علاقة ٱلتّبعيض بينهما للوقوف على وظيفتهما ٱلمقطعيّة ؛ فإنّه يعتمد هذا ٱلمبدأ ٱلصّوتيّ في تعليل إنابة حروف ٱلمدّ عن ٱلحركات في ٱلعمل كمميّزاتٍ نحويّةٍ للمعاني ٱلّتي يمكن أنْ تُجمع بها بعض ٱلبنى ٱلخاصّة من نحو ٱلأسماء ٱلسّتّة وٱلمثنى وٱلجمع ٱلمذكر ٱلسّالم .

ويُحاول ٱلرّضيّ أنْ يربط بين ٱلحركات ومميّزاتها ربطاً صوتيّاً ؛ فيعطي أقوى ٱلحركات للأهمّ في تكوين ٱلجمل وهي ٱلعمد ، أمّا في ٱلبقيّة فيعتمد على مبدأ ٱلتّطريز أو ٱلتّغاير ٱلصّوتيّ ، يقول ٱلرّضيّ : " جُعِلَ ٱلرَّفْعُ ٱلَّذِي هُوَ أَقْوَى ٱلْحَرَكَاتِ لِلْعُمَدِ ، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ : ٱلْفَاعِلُ وَٱلْمُبْتَدَأُ وَٱلْخَبَرُ ؛ وَجُعِلَ ٱلنَّصْبُ لِلْفَضْلَاتِ سَوَاءٌ ٱقْتَضَاهَا جُزْءُ ٱلْكَلَامِ بِلَا وَاسِطَةٍ كَغَيْرِ ٱلْمَفْعُولِ مِمَّا مِنَ ٱلْمَفَاعِيلِ وَكَٱلْحَالِ وَٱلتَّمْيِيزِ أَوِ ٱقْتَضَاهَا بِوَاسِطَةِ حَرْفٍ كَٱلْمَفْعُولِ مَعَهُ وَٱلْمُسْتَثْنَى غَيْرِ ٱلْمُفَرَّغِ وَٱلْأَسْمَاءِ ٱلَّتِي تَلِي حُرُوفَ ٱلْإِضَافَةِ أَعْنِي حُرُوفَ ٱلْجَرِّ ... ثُمَّ أُرِيدَ أَنْ يُمَيَّزَ بِعَلَامَةِ مَا هُوَ فَضْلَةٌ بِوَاسِطَةِ حَرْفٍ وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنَ ٱلْحَرَكَاتِ غَيْرُ ٱلْكَسْرِ ؛ فَمُيِّزَ بِهِ مَعَ كَوْنِهِ مَنْصُوبَ ٱلْمَحَلِّ ؛ لِأَنَّهُ فَضْلَةٌ " (٤) .

ومن هنا يبدو هذا ٱلربط ٱلصّوتيّ محمّلاً ببعض ٱلمعايير والقيم ٱلاجتماعيّة .

ويبدو الرّضيّ في ٱلقسم الاخير من ٱلنّصّ وكأنّه يقدّم لنا ٱلمفهوم ٱلحديث للمميّز ٱلنّحوي (٥) ؛ إذا ٱرتضى بهذا ٱلمفهوم إلى ٱستخدام ٱلألفاظ ٱلاصطلاحيّة الخاصّة كما في قوله : "ثُمَّ أُرِيدَ أَنْ يُمَيَّزَ " و " فَمُيِّزَ بِهِ " .

---

(١) ٱلنّظريّة ٱللّسانيّة والشّعريّة : ٣٢ (بتصرف) .
(٢) ش ك ١/ ٢٠.
(٣) ش ك ١/ ٢٦، (بحكم علاقة ٱلتّبعيض بينهما، ينظر : صفة المدّ في ٱلفصل ٱلثّاني).
(٤) ش ك ١/ ٢٠.
(٥) في : الألسنية العربية: ٢/ ١٢، ٱلمميّز ٱلنّحويّ : إشارة شكليّة تحدّد بالدّليل المادّيّ الحسيّ العلاقات ٱلنّحويّة ، وفي: ٢/ ١٣ : " فالمميّز النّحويّ : رمزٌ في غاية الإيجاز يحول دون اختلاط المعاني ويمنع الالتباس ويصنف المفردة المضبوطة بالحركة في باب من أبواب النّحو ".

ومن مظاهر علميّة هذه الأفكار ما نجده في الدّرس الحديث من ميلٍ واضحٍ إليها حتّى أنّ بعضهم إدّعاها لنفسه مع أنّ شرح الكافية كان أحد مصادر بحثه (١) ، الّذي قدّم فيه نظريته ، ولم يستطع أن ينتظر إلى ما بعد المقدمة لعرضها إذ يقول : " لقد أطلتُ تتبع الكلام ، أبحث عن معانٍ لهذه العلامات الإعرابيّة ، ولقد هداني اللّهُ - وله خالص الإخبات والشّكر - إلى شيء أرواهُ قريباً وأُبادر اليك الآنَ بتلخيصه : (١) إنّ الرّفع علمُ الإسناد ... (٢) إنّ الجر علمُ الإضافة ... (٣) إنّ الفتحةَ ليست بعلم على إعراب ، ولكنّها الحركة الخفيفة المستحبّةُ ، الّتي يُحبُّ العرب أنْ يختموا بها كلماتهم ... (٤) إنّ علامات الإعراب في الاسم لا تخرجُ عن هذا ..." (٢)

ومع كلّ هذا الجدّ والاجتهاد ، فإنّه لا يتعدّى ما أتى به الزّمخشريّ وتبعه فيه ابنُ الحاجب وما أتى به الرّضيّ الّذي عمل على توسعة أفكارهما وانضاجها بشكل واضحٍ لتشمل أقسام الكلام العامّة (العمد والفضلات) الّتي لم يشمل بعضها عمل

إبراهيم مصطفى ، فهو لم يضع في اعتباره ما يدل به على الخبر ، وأسقط دلالة النّصب ، لقوله : " إنّ الفتحة ليست بعلم على إعراب " مع أنّ طبيعة العمليّة الاستقرائيّة لا تعارض كون الفتحة علامة على شيءٍ محدّد ، يعضّده ارتباط هذه الحركة بأبواب معيّنة من أبواب الدّراسة النّحويّة ، فيمكن أنْ يكون بحسب ألفاظ (إحياء النّحو) النّصب علم لما ليس بإسنادٍ ولا مضافاً إليه .

ولا يفوتني أنْ أذكر تفرقة الرّضي لما يحدث هنا من تغيير في أحرف العلّة وما يحدث عند الإعلال ، إذ يقول : " قَوْلُهُ : (لِلتَّخفيف) ، احْتِرَازٌ عَنْ تَغْيِيرِ حَرْفِ الْعِلَّةِ فِي الْأَسْمَاءِ السِّتَّةِ نَحْوَ : أَبُوكَ وَأَبَاكَ وَأَبِيكَ ، وَفِي الْمُثَنَّى وَجَمْعِ السَّلَامَةِ الْمُذَكَّرِ نحو مُسْلِمَانِ وَمُسْلِمَيْنِ وَمُسْلِمُونَ وَمُسْلِمِينَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لِلْإِعْرَابِ لَا لِلتَّخْفِيفِ " (٣) .

---

(١) وهو : إبراهيم مصطفى في كتابه : إحياء النّحو ، وقد ذكر شرح الكافية في الحاشية ص ٧٣ ، ١٧٤) .

(٢) إحياء النّحو : المقدّمة : (و - ز) ، وقد تبعه في هذا تلميذه ، د . مهدي المخزوميّ في النّحو العربيّ ، ٦٧ ومابعدها ، وينظر : العربيّة وعلم اللغة البنيوي : ٦٥ - ٦٦ ، والعلامة الإعرابيّة ، ١٤٤ ومابعدها .

(٣) ش ش ٣ / ٦٧ .

فالتّغيير الصّوتيّ هنا يعد مقتضى من مقتضيات النّظام النّحوي، أمّا في الإعلال فهو مقتضى النّظام المقطعيّ (أو التّخفيف) كما بيّنتُ في الإتّجاه الثّالث من الفصل الثّانيّ .

٢ـ التّنوين علامة التّمام النّحوي : التّنوين إحدى ثاني أهمّ الظّواهر الصّوتيّة الموقعيّة الّتي تحدث في مستوى التّركيب الجمليّ ، يتمّ فيها توظيف صوت النّون للعمل ميّزاً نحويّاً ؛ ومن المتعارف في الدّرس النّحويّ العربيّ أنّ أبرز وظائفه أنّه يعمل على حصر الكلمات الّتي يلتحق بها في الأسميّة ، وتذكر كتب النّحو دلالات أُخرى لهذا المميّز، وهي : (١)

١ـ دلالة التّنكير ،
٢ـ دلالة التّمكّن ،
٣ـ دلالة التّعويض عن المضاف ،
٤ـ وعندما يلحق جمع الإناث فهو للمقابلة مع النّون في جمع السّلامة المذكر

(وسيأتي رأي الرّضيّ بأنّ هذه ليست من الدّلالات) .

وأقدّم تصوّر الرّضيّ لطبيعة عمل هذا المميّز على الشّكل الآتي :ـ

آـ إنّ للتّنوين دلالة عامّة يشترك فيها مع نوني التّثنية والجمع ، وهي دلالة التّمام النّحوي ، قالَ الرّضيّ : " ... فَالنّونُ فِي جَمْعِ الْمُذَكّرِ قَائِمٌ مَقَامَ التّنْوِينِ الّتِي فِي الْوَاحِدِ فِي الْمَعْنَى الْجَامِعِ لِأَقْسَامِ التّنْوِينِ فَقَطْ ، وَهُوَ كَوْنُهُ علامةَ تَمَامِ الْاسْمِ " (٢) ، ويحدّد الرّضيّ في موضع بعيد ما يقصده من علامة تمام الاسم بأنّه تمام نحويّ حين يقول : " وَمَعْنَى تَمَامِ الْاسْمِ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَالَةٍ لَا يُمْكِنُ إضَافَتُهُ مَعَهَا ، وَالْاسْمُ مُسْتَحِيلُ الْإِضَافَةِ مَعَ التّنْوِينِ وَنُونَيْ التّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ وَمَعَ الْإِضَافَةِ، لِأَنّ الْمُضَافَ لَا يُضَافُ ثَانِيَةً " (٣) فالتّنوين يشير إلى تمكّن الكلمة في وظيفتها النّحويّة وغير مفتقرة فيها إلى ما بعدها ؛ ولهذا فالاسم مع التّنوين مستحيل الإضافة، لأنّ الإضافة إنّما تكون مع افتقار الاسم ؛ فإذا انتفى هذا الافتقار انتفت الإضافة .

---

(١) ينظر: شرح المفصل : ٩/ ٢٩ـ ٣٤ ، المقتصد: ١/ ١٧ـ ٢٠ .
(٢) ش ك ١/ ١٤ .
(٣) ش ك ١/ ٢١٨ . يبدو أنّ د. غالب المطلبي كان سبّاقاً الى عرض فكرة التّمام النحوي عند علماء العربية ، وقد ذكر أسبقية سيبويه الى هذه الفكرة . ينظر بحثه : ظاهرة التنوين في العربية الأصول والوظيفة ، مجلة كلية التربية / الجامعة المستنصرية ، ٤/ ١٩٩٥ .

وقد عبّر عن هذه الفكرة في شرح الشافية بقوله في الوقف : " وَالتَّنوينُ كَحَرْفِ الْكَلِمَةِ الْآخِرِ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهَا عَلَى حَرْفٍ سَاكِنٍ مُفِيدٍ لِلْمَعْنَى فِي الْكَلِمَةِ الْمَتْلُوَّةِ " (١)

ب ـ الدّلالات الجزئيّة للتنوين : ويقدّمها الرّضيّ على وفق التّصوّر الآتي :

" وَأَمَّا التَّنْوِينُ فَاخْتَصَّ مِنْ جُمْلَةِ أَقْسَامِهَا الْخَمْسَةِ بِالْاسْمِ مَا لَيْسَ لِلتَّرَنُّمِ ، فَهِيَ إِذَنْ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ : أَحَدُهَا لِلتَّنْكِيرِ نَحْوَ : صَهٍ وَمَهٍ وَدَجٍ ، وَسِيبَوَيْهٍ ، قِيلَ : وَيَخْتَصُّ بِالصَّوْتِ ، وَاسْمِ الْفِعْلِ ، أَمَّا التَّنْوِينُ فِي نَحْوِ : رُبَّ أَحْمَدٍ وَإِبْرَاهِيمٍ ، فَلَيْسَ يَتَمَحَّضُ لِلتَّنْكِيرِ ، بَلْ هُوَ لِلتَّمَكُّنِ أَيْضاً ؛ لِأَنَّ الْاسْمَ يَنْصَرِفُ ، وَأَنَا لَا أَرَى مَنْعاً مِنْ أَنْ يَكُونَ تَنْوِينٌ وَاحِدٌ لِلتَّمَكُّنِ وَالتَّنْكِيرِ مَعاً ، فَرُبَّ حَرْفٍ يُفِيدُ فَائِدَتَيْنِ كَالْأَلِفِ وَالْوَاوِ فِي مُسْلِمَانِ وَمُسْلِمُونَ ؛ فَنَقُولُ : التَّنْوِينُ فِي رَجُلٍ يُفِيدُ التَّنْكِيرَ أَيْضاً ، فَإِذَا سَمَّيْتَ بِالْاسْمِ تَمَحَّضَتْ لِلتَّمَكُّنِ ، وَإِنَّمَا اخْتَصَّ تَنْوِينُ التَّنْكِيرِ بِالْأَسْمَاءِ لِمِثْلِ مَا ذَكَرْنَا فِي لَامِ التَّعْرِيفِ ،

وَثَانِيهِمَا لِلتَّمَكُّنِ ، وَمَعْنَاهُ كَوْنُ الْاسْمِ مُعْرَباً ، فَلَا يُمَكَّنُ إِلَّا فِي الْاسْمِ ... وَإِنَّمَا حُذِفَتْ عَلَامَةُ الْإِعْرَابِ مِنْ غَيْرِ الْمُنْصَرِفِ مَعَ كَوْنِهِ مُعْرَباً ؛ لِمُشَابَهَتِهِ لِلْفِعْلِ الَّذِي أَصْلُهُ الْبِنَاءُ ،

وَثَالِثُهَا لِلتَّعْوِيضِ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ كَحِينَئِذٍ ، وَمَرَرْتُ بِكُلٍّ قَائِماً ؛ وَسَيَجِيءُ أَنَّ الْمُضَافَ لَا يَكُونُ إِلَّا اسْماً ،

وَرَابِعُهَا لِمُقَابَلَةِ نُونِ جَمْعِ الْمُذَكَّرِ السَّالِمِ فِي جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ نَحْوَ مُسْلِمَاتٍ عَلَى الْأَعْرَفِ مِنْ أَقْوَالِهِمْ ؛ وَلَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا فِي الْاسْمِ ؛ وَإِنَّمَا قَالُوا : إِنَّهُ تَنْوِينُ مُقَابَلَةٍ إِذْ لَوْ كَانَتْ لِلتَّمَكُّنِ لَمْ تَثْبُتْ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى : (مِنْ عَرَفَاتٍ) (البقرة ـ ١٩٨) وَلَوْ كَانَتْ لِلتَّنْكِيرِ لَمْ تَثْبُتْ فِي الْأَعْلَامِ ، وَلَيْسَتْ عِوَضاً عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ ، وَلَا لِلتَّرَنُّمِ ؛ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يُقَالَ هِيَ فِي جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ فِي مُقَابَلَةِ النُّونِ فِي جَمْعِ الْمُذَكَّرِ ؛ لِأَنَّ هَذَا مَعْنًى مُنَاسِبٌ أَلَا تَرَى إِلَى جَعْلِهِمْ نَصْبَ هَذَا الْجَمْعِ تَابِعاً لِلْجَرِّ كَمَا فِي جَمْعِ الْمُذَكَّرِ " (٢)

وألمهم من هذه الدلالات دلالتا التنكير والتمكن ، إذ لهما مقدار غير قليل من الجدّية المنهجيّة ، وقد جلبتا انتباه المحدثين ممّن توقّف عند هذه الظّاهرة (٣)

---

(١) ش ش ٢ / ٢٧٤ .

(٢) ش ك ١ / ١٣ ـ ١٤ .

(٣) ينظر : احياء النحو : ١٦٥ .

وقد بدا أمرهما مع الرّضيّ مثل ذلك فقد توقف عندها وأشار إلى خاصّيّة مهمّة فيهما هي أنّه يُمكن أنْ يُجمع التّنوين هاتين الدّلالتين في السّياق نفسه فلا مانع يراه الرّضيّ من أنْ يكون تنوين واحد ذا دلالتين ويؤكد نظرته هذه في غير الموضع المذكور سابقاً فيقول : " التّنْوِينُ فِي كُلِّ اسْمٍ مُتَمَكِّنٍ غَيْرِ عَلَمٍ يُفِيدُ التَّمَكُّنَ وَالتَّنْكِيرَ مَعاً "(١) فإلى كون الاسم متمتّعاً بخاصّية التّصرف الإعرابي يدلّ التّنوين على كونه نكرة ، أي : شياعه في أمّته وكونه بعضاً مجهولاً من جملة .

أمّا في جمع الإناث فإنّ الرّضيّ يرى فيه رأياً آخر غير ما تعارف عليه السّابقون إذْ يقول في (تنوين عرفاتٍ) : " وَالْأَوْلَى عِنْدِي أَنْ يُقَالَ : إنّ التَّنْوِينَ لِلصَّرْفِ وَالتَّمَكُّنِ "(٢) فالاسم مستمر في قسم الأسمية على المستفاد من دلالة الصّرف(٣) ، وكذلك فالاسم يمتلك الخاصّية الإعرابية .

٣ـ حَالَةُ الْوَقْفِ : العلاقة بين الوقف والنّحو وطيدةٌ جداً وقد ربطه الرّضيّ ربطاً واضحاً بالنّحو عندما أخرجه من أنْ يكون من الأبنية أو من أحوالها فقد جعله مع قسمي الإدغام والتقاء السّاكنين ممّا كان بين كلمتين ، فيما اصطلح عليه بـ (لَاأبنية وَلَا أحوال أبنية) (كما مرّ في المصطلحات) ، ممّا يعني الربط الواضح مع مستوى التّركيب الجمليّ .

ولابُدّ لي أنْ أعرض لمفهوم الرّضيّ من الوقف الّذي اختلف فيه مع ابن الحاجب ، حيث يقول الرّضيّ عن الوقف : "السُّكُوتُ عَلَى آخِرِ الْكَلِمَةِ مُخْتَاراً لِتَمَامِ الْكَلَامِ " (٤) بينما يقول ابنُ الحاجب : " الْوَقْفُ قَطْعُ الْكَلِمَةِ عَمَّا بَعْدَهَا "(٥) ، ويعني ذلك أنّ الرّضيّ يرتكز في تعريفه على تمام التّركيب ، وذلك يعني أكثر التصاقاً بالجانب النّحويّ من كلام ابن الحاجب الّذي كما يقول الرّضيّ : " يُوهِمُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ الْوَقْفُ عَلَى كَلِمَةٍ إلَّا وَبَعْدَهَا شَيْءٌ "(٥) ، وذلك يعني أكثر اعتباراً لجانب البنية منه لجانب التّركيب .

---

(١) ش ك ٢/ ١٢٩ .

(٢) ش ك ١/ ١٤ .

(٣) وهو ما استعمال سيبويه كما فهم في: نشأة النّحو العربيّ : ١٣٠ .

(٤) ش ش ٢/ ٢٧١ .

(٥) الشّافية : ٢٣٣ .

مكتبة لسان العرب
https://lisanarabs.blogspot.com

ويقرر الرّضيّ أنّ هذه الحالة (أي :حالة الوقف) ذات تأثيرات سلبيّة في الصّوت الأخير وحركته بما تُسبِّب من خلل بالدّلالة النّحويّة لعمل المميّزات النّحويّة (الحركات والتّنوين)وذلك لأنّ الوقف يكونُ موضع الإستراحة وتؤدّي مشارفة هذه الإستراحة إلى إضعافٍ واضح في إخراج الصّوت الأخيرفي السّلسلة الصّوتيّة وقد عَدَّ الرّضيّ حالة الوقف إحدى مواضع التّغييرات الصّوتيّة؛لأجل ذلك(١) ورأى أيضاً أنّ الأواخر هي المحل الّذي يظهر فيه التّخفيف .

وما يتصوّره الرّضيّ لهذه الحالة قد وافقه عليه المحدثون عند ملاحظاتهم لمظاهر التّطورات الصّوتيّة بمختلف أبعادها ؛ من ذلك ما رآه نولدكه(٢)، من أنّ ظاهرة الوقف قد عجّلت بالتّغيير الصّوتيّ الّذي سمح بضياع ظاهرة الإعراب ؛ لأنّ هذه النّهايات الإعرابيّة تسقط بحسب الإستعمال اللغوي الكلاسيكيّ حينما تكون واقعة في آخر الكلمة ، ويوافقه على ذلك أيضاً فندريس(٣) ؛ إذ يرى أنّ هذه الظّاهرة مظهر من مظاهر البلى الصّوتيّ الّذي يعمل على اختزال طول الكلمة وهدم الإعراب .وإذا كان الإستحباب المقطميّ عند العرب قد سعى إلى جعل الإسكان مظهراً بارزاً من مظاهر الوقف ؛ فإنّه قد برزت إلى جنب هذا المظهر مظاهر أخرى يتجلّى فيها بوضوح الميل نحو الحفاظ على الحركة الإعرابيّة حرصاً على بيان المعنى الوظيفيّ للكلمة ،وتلك المظاهر هي: الرّوم والإشمام والتّضعيف(٤)، قال الرّضيّ : " اعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالرَّوْمِ وَالْإِشْمَامِ وَالتَّضْعِيفِ ثَلَاثَتِهَا شَيْءٌ وَاحِدٌ ،وَهُوَ بَيَانُ أَنَّ الْحَرْفَ الْمَوْقُوفَ عَلَيْهِ كَانَ مُتَحَرِّكاً فِي الْوَصْلِ بِحَرَكَةٍ إِعْرَابِيَّةٍ أَوْ بِنَائِيَّةٍ،فَالَّذِي أَشَمَّ نَبَّهَ عَلَيْهِ بِهَيْئَةِ الْحَرَكَةِ وَالَّذِي رَامَ نَبَّهَ عَلَيْهِ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ ؛ فَهُوَ أَقْوَى فِي التَّنْبِيهِ عَلَى تَحَرُّكِ الْحَرْفِ مِنَ الْإِشْمَامِ ،وَالَّذِي يُضَعَّفُ ؛ فَهُوَ أَقْوَى تَبْيِيناً لِتَحَرُّكِ الْحَرْفِ فِي الْوَصْلِ مِمَّنْ رَامَ ؛ لِأَنَّهُ نَبَّهَ عَلَيْهِ بِالْحَرْفِ ؛ وَذَلِكَ بِبَعْضِ الْحَرَكَةِ ، وَإِنَّمَا قُلْنَا : إِنَّهُ نَبَّهَ بِتَضْعِيفِ الْحَرْفِ عَلَى كَوْنِهِ مُتَحَرِّكاً فِي الْوَصْلِ ؛ لِأَنَّ

---

(١) ينظر:ش ش ٢/ ٢٧٤ ، ٣/ ١٧٤، وينظر:سرّ الصّناعة : ١/ ١٧٦.

(٢) اللغات السّاميّة: ٨٠.

(٤) في (أوجه الوقف)،ينظر:شرح المفصل : ٩/ ٦٧.

(٣) اللغة : ٤٢٣ .

ٱلْحَرْفَ ٱلْمُضَعَّفَ فِي ٱلْوَصْلِ لَا يَكُونُ إِلَّا مُتَحَرِّكاً ؛ إِذْ لَا يُجْمَعُ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ " (١)
ويبدو أنّ تدخل ٱلْمتطلبات التّعليميّة كان له أثر واضح على ما يبدو في حالة الـــروم وٱلْإشمام، وهذه ٱلظّاهرة مختلفة ٱلْإتّجاهات؛ فبعضها اتّجه إلى حركة ٱلْأخير، وبعضهـا الآخر اتّجه إلى ٱلْحرف نفسه .

وأرى أنّ ٱلرّضيّ يدعو في ٱلْحكم على قوّة هذه ٱلْمظاهر إلى ٱلْإعتماد على ٱلْمعيار ٱلصّحيح ألا وهو مدى تعلّقه ببيان ٱلْحركة عند ما أتبع ٱلنّصّ ٱلسّابق بقوله :
" هَذَا مَا قِيلَ ؛ وَٱلَّذِي أَرَى أَنَّ ٱلرَّوْمَ أَشَدُّ تَبْيِيناً ؛ لِأَنَّ ٱلتَّضْعِيفَ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى مُطْلَقِ ٱلْحَرَكَةِ ، وَبِٱلرَّوْمِ عَلَى ٱلْحَرَكَةِ وَخُصُوصِهَا ، وَأَيْضاً ؛ فَإِنَّ ٱلرَّوْمَ ـ ٱلَّذِي هُـــوَ بَعْضُ ٱلْحَرَكَةِ ـ أَدَلُّ عَلَى ٱلْحَرَكَةِ مِنَ ٱلتَّضْعِيفِ ٱلَّذِي يُلَازِمُ ٱلْحَرَكَةَ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ ، أَيْ فِي حَالِ ٱلْوَصْلِ دُونَ حَالِ ٱلْوَقْفِ " (٢) .
فٱلرّوم بدلالته على ٱلْحركة ٱلْخاصّة يكون أكثر بياناً وأقوى في معرفة الوظيفة النّحويّـــة لِلْكلمة ٱلْموقوف عليها مِنَ التّضعيف ٱلّذي يُعطي دلالة تحرّك ٱلْحرف ليس إلّا ، وهـــو رأيٌ أكثرُ دقةً من ٱلرّأي ٱلسّابق ٱلّذي نظر إلى مقدار ٱلْجهد ٱلْمبذول في كلّ حالـــة من هذه ٱلْمظاهر ٱلْوقفيّة (٣) ، ويبدو لي أنّ كلا ٱلرّأيين قد يبيّن ما قاله ٱلرّضيّ فـــي تردّد هذه ٱلْمظاهر عند الاستعمال، فكان ٱلْأثقل وٱلْأقلّ دلالة على ٱلْحركة أقـــلّ ٱستعمالاً من ٱلْباقيين ، يقول ٱلرّضيّ : " وَٱلتَّضْعِيفُ أَقَلُّ ٱسْتِعْمَالاً مِنَ ٱلرَّوْمِ وَٱلْإِشْمَامِ ؛ لِأَنَّهُ إِتْيَانٌ بِٱلْحَرْفِ فِي مَوْضِعٍ يُحْذَفُ فِيهِ ٱلْحَرَكَةُ ، فَهُوَ تَثْقِيلٌ فِي مَوْضِعِ ٱلتَّخْفِيفِ " (*) .
ويُزاد على هذه ٱلْمظاهر مظهرٌ آخر يبرز فيه ٱلْميل نحو ٱلْحفاظ على بيان ٱلْوظيفـــة النّحويّة ، وهو (ٱلْوقف بِالنَّقْل) ، قالَ ٱلرّضيّ : " وَهُوَ قَلِيلٌ كَقِلَّةِ ٱلتَّضْعِيفِ ، إِلَّا فِي ٱلْهَمْزَةِ " (٤) ؛ وذلك مراعاةً لطبيعة ٱلْهمزة ٱلصّوتيّة ؛ وَذَلِكَ ؛ لِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ بَعْـــدَ ٱلسَّاكِنِ كَانَتْ أَخْفَى ؛ لِأَنَّ ٱلسَّاكِنَ خَافٍ ، فَيَكُونُ خافٍ بَعْدَ خَافٍ ، فَإِذَا حُرِّكَـــتَ

---

(١) ش ش ٢/ ٣١٤-٣١٥ ، وينظر : الكشف : ١/ ١٢٢ .
(٢) ش ش ٢/ ٣١٥
(٣) والرأي السّابق هو رأي سيبويه ، ينظر: الكتاب : ٤/ ١٦٨-١٦٩ .
(٤) ش ش ٢/ ٣٢١ ، وينظر مجالس ثعلب : (٢/ ٥٥٣) يكون في الهاء والهمـــزة ؛ لانهما خفيان .
(*) ش ش ٢/ ٣١٥ .

مَاقَبْلَهَا كَانَ أَبْيَنَ لَهَا "(١)، ويقول الرّضيّ أيضاً : " وإنّماقَلَّ هٰذَا لِتَغْيِيرِ بِنَاءِ الْكَلِمَةِ فِي الظَّاهِرِ بِتَحَرُّكِ الْعَيْنِ السَّاكِنِ مَرَّةً بِالضَّمِّ ، وَمَرَّةً بِالْفَتْحِ ،وَمَرَّةً بِالْكَسْرِ ، وإنْ كَانَتِ الْحَرَكَاتُ عَارِضَةً ،وأيْضاً لِاسْتِكْرَاهِ انْتِقَالِ الْإِعْرَابِ الَّذِي حَقُّهُ أنْ يَكُونَ على الْأَخِيرِ إلَى الْوَسَطِ ،وإنَّمَا سَهَّلَ لَهُمْ ذٰلِكَ الْفَرَارُ مِنَ السَّاكِنَيْنِ ، والضَّنُّ بِالْحَرَكَةِ الْإِعْرَابِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَعْنَى "(٢) .

ويبدو تداخل متطلّبات الأنظمة الثّلاثة (الصّوتيّ والصّرفيّ والنّحويّ) واضحاً في كلامه وقد ترجّحتْ كفّة الصّوتي والنّحوي هنابل إنّ الأمر تجاوز إلى تحمّل صعوبة النّطق بالبناء المرفوض (أي : كسرٍ فضمٍ،وضمٍ فكسرٍ) النّاتج عن نقل الحركة بسبب طبيعة صوت الهمزة على مارأى الرّضيّ،فقال : " ولِكَرَاهَتِهِمْ ذٰلِكَ فِي الْهَمْزَةِ (يَقْصِدُ : ، خَفَاءَهَا) جَوَّزُوا فِيهَا النَّقْلَ مَعَ الْأَدَاءِ إلَى الْوَزْنِ الْمَرْفُوضِ ، نَحْوَ: هٰذَا الرُّدُؤُ ومِنَ الْبُطِيءِ ، وَلَمْ يُجَوِّزُوا ذٰلِكَ فِي غَيْرِهَا ، فَلَمْ يَقُولُوا : هٰذَا عِدْلٌ وَلَا مِنْ قُفِلٌ ، بَلْ مَنْ كَانَ يَنْقُلُ فِي نَحْوِ بَكْرٍ إذَا اتَّفَقَ لَهُ مِثْلَ عِدْلٍ وقُفْلٍ أتْبَعَ الْعَيْنَ الْفَاءَ فِي الرَّفْعِ وَالنَّصْبِ وَالْجَرِّ ، فَيَقُولُ : هٰذَا الْعِدْلُ وَالْقُفْلُ ، وَرَأيْتُ الْعِدْلَ وَالْقُفْلَ ، وَمَرَرْتُ بِالْعِدْلِ وَالْقُفْلِ " (٣)

وبعدُ ، فإنّ حالة الوقف يبرز فيها غلبة النّظام الصّوتي لِمَا كان من شيوع الإسكان الّذي يعني إهمالاً واضحاً للمميّزات النّحويّة ، قال الرّضيّ : " والْإِسْكَانُ أكْثَرُ فِي كَلَامِهِمْ مِنَ الرَّوْمِ وَالْإِشْمَامِ وَالتَّضْعِيفِ وَالنَّقْلِ "(٤) .

ويعلّل الرّضيّ هذا السّلوك بما ينسجم مع الميل نحو الحدّ الأدنى مِنَ الجهد ، حيثُ قال : " وإنَّمَا حُذِفَ التَّنْوِينُ فِي الرَّفْعِ وَالْجَرِّ ، لِأَنَّكَ قَصَدْتَ كَوْنَ الْكَلِمَةِ فِي الْوَقْفِ أخَفَّ مِنْهَا فِي الْوَصْلِ ، لِأَنَّ الْوَقْفَ لِلْاسْتِرَاحَةِ ومَحَلُّ التَّخْفِيفِ الْأَوَاخِرُ ، لِأَنَّ الْكَلِمَةَ تَتَثَاقَلُ إذَا وَصَلْتَ إلَى آخِرِهَا "(٥) ، ولاجل هذا يتمّ إسقاط التّنوين وإسقاط الحركة من المنوّن في حالة النّصب الّتي يقول فيها : " فَتَخْفِيفُ الْكَلِمَةِ غَايَةُ التَّخْفِيفِ يَحْصُلُ مِنْ حَذْفِ التَّنْوِينِ ، وَذٰلِكَ بِقَلْبِهَا أَلِفاً ،إذِ الْأَلِفُ أخَفُّ الْحُرُوفِ ، وَكَذٰلِكَ فِي الْمُثَنَّى وجَمْعِ السَّلَامَةِ الْمُذَكَّرِ يَحْصُلُ التَّخْفِيفُ فِيهَا بِحَذْفِ حَرَكَةِ النُّونِ فَقَطْ "(٥) .

---

(١) ش ش ٢/ ٣١١ .
(٢) ش ش ٢/ ٣٢١ .
(٣) ش ش ٢/ ٣٢١ ـ ٣٢٢ .
(٤) ش ش ٢/ ٢٧٢ .
(٥) ش ش ٢/ ٢٧٤ .

المبحث الثاني

علاقة النظام الصوتي بالنظام الصرفي

١ ـ الحركات والبنى الصرفية : إن ما تتمتع بها الحروف الصحاح في نظام الكتابة العربية أمام ضعف موقف الحركات فيه ، قد يوحي بضعف موقف الأخيرة الوظيفي أيضاً ، لكن الحقيقة المدركة عكس ذلك ؛ فهذه الأصوات (الحركات) تؤدي وظيفة خطيرة في أكساب البنية الصرفية هويتها التي تتمايز بها عن غيرها ؛ لإن الصحاح لاتعطي غير بنىً كليّة ، ذاتَ معانٍ كليّة تجريدية وتأتي الحركات لتحوّل تلك المجردات اللفظية إلى مدركات كلامية متعيّنة ؛ ويبدو لي أنّ الرضيّ قد أدرك خطورة ماتقوم به الحركات هنا ؛ وهذا الإدراك وإنْ تجلّى تطبيقاً في عمليات الاشتقاق إلا أننا لانعدم له موقفاً نظرياً يتجلّى في بعض مقولاته التي كثيراً مايستعمل فيها تعبيراً "لِلتَّنْبِيهِ عَلَى الْبِنْيَةِ" (١) عندما يريد الإشارة إلى وظيفة إحدى الحركات يعلّل به بقاءها في محالّ تقتضي تغيرها أو سقوطها ؛ ومنه أيضاً قوله : "لِأَنَّ فُعْلاً يَلْبَسُ بِفِعْل ، فَجَازَ إِبْقَاءُ الضَّمِّ فِيهِ دَلَالَةً عَلَى أَصْلِ الْبِنْيَةِ وفي غَيْرِهِ لَا يَلْبَسُ بِنْيَةٌ بِبِنْيَةٍ" (٢) ، ويقول أيضاً (مُشيراً إلى أثرها في الأوزان الصرفية) : "الْحَرَكَاتُ إِذَا غُيِّرَتْ تَغَيَّرَ الْوَزْنُ ؛ وَبِإِبْقَائِهَا لِلْحَرْفِ لَا يَتَغَيَّرُ ، وَالْإِبْقَاءُ عَلَى الْوَزْنِ أَوْلَى" (٣) .

٢ ـ التغيير الصرفي ـ الصوتي (Morphphonemic) : أرى أنّ أعمق إدراك للعلاقات الصوتية ـ الصرفية وصل إليه الرضيّ وعبّر عنه في وقت مبكر في شرح الشافية وفي أولى كلماته عن حدّ ابن الحاجب للتصريف الذي قال فيه : "التَّصْرِيفُ عِلْمٌ بِأُصُولٍ تُعْرَفُ بِهَا أَحْوَالُ أَبْنِيَةِ الْكَلِمِ الَّتِي لَيْسَتْ بِإِعْرَابٍ" (٤) ، فقد قال الرضيّ : "أَقُولُ : قَوْلُهُ (بِأُصُولٍ) يَعْنِي بِهَا الْقَوَانِينَ الْكُلِّيَّةَ الْمُنْطَبِقَةَ عَلَى الْجُزْئِيَّاتِ ، كَقَوْلِهِمْ مَثَلاً : كُلُّ وَاوٍ أَوْ يَاءٍ إِذَا تَحَرَّكَتْ وَانْفَتَحَ مَاقَبْلَهَا قُلِبَتْ أَلِفاً ، وَالْحَقُّ أَنَّ هَذِهِ الْأُصُولَ هِيَ التَّصْرِيفُ ، لَا الْعِلْمُ بِهَا" (٥) .

---

(١) ش ش ١/ ١٠ ، ٨١ ، ٣/ ١٠٠ .
(٢) ش ش ٣/ ١٩٧ .
(٣) ش ش ٣/ ٨٥ ـ ٨٦ .
(٤) ش ش ١/ ١ (المتن) .
(٥) ش ش ١/ ١ ـ ٢ .

إذ إنّ الاصل الّذى ذكره هوأحد ٱلقواعد ٱلصّوتيّة ٱلّتي تمّ لي رصدها عند دراسة ظاهرة الاعلال ، فٱلتّحريف في حسابات ٱلرّضيّ ماهو إلّا مجموعة ٱلقواعد أوٱلقوانين ٱلصّوتيّة ٱلّتي تُعطي للبِنَى هيئاتها النّهائيّة ، كماهو واضح في ظاهرة الاعلال ، وعلى مايكون عليه أحد أنماط ٱلقواعد التّحويليّة ٱلتي أشرت إليها في التمهيد لهذا الفصل . ولمزيد من ٱلإحساس بمتانة العلاقة بين ٱلصّوتِ وٱلصّرف عند الرّضيّ يرجع إلى (مصطلح أحوال ٱلأبنية ، وٱلمبحث ٱلخاص بمواضع ٱلدّراسة الصّوتيّة).

وأزيد على ماسبق ماكان من تغليب ٱلجانب الصّرفيّ على ٱلاعتبارات الصّوتيّة،وذلك فيما يؤدّي ٱلتّغيير ٱلصّوتيّ إلى ٱللّبْس،ففي نحو كساء يقول ٱلرّضيّ : " أقول : إنّما تُقلَبُ ٱلوَاوُ وَٱلْيَاءُ أَلِفًا ثُمَّ هَمْزَةً لِمَا ذَكَرْنَا قَبْلُ فِي قَلْبِ ٱلْوَاوِ وَٱلْيَاءِ أَلِفًا لِتَحَرُّكِهِمَا وَٱنْفِتَاحِ مَاقَبْلَهُمَا ثُمَّ يَجْتَمِعُ ٱلسَّاكِنَانِ ، فَلَا يُحْذَفُ ٱلْأَوَّلُ مَعَ كَوْنِهِ مَدَّةً ، لِئَلَّا يَلْتَبِسَ بِنَاءٌ بِبِنَاءٍ ، بَلْ يُقْلَبُ ٱلثَّانِي إِلَى حَرْفٍ قَابِلٍ لِلْحَرَكَةِ مُنَاسِبٍ لِلْأَلِفِ ، وَهُوَ ٱلْهَمْزَةُ ، لِكَوْنِهِمَا حَلْقِيَّيْنِ " (١) .

فمقتضى ٱلقطعيّة أنْ يتمّ ٱلتّخلص من أوّل ٱلسّاكنين إذا كان مدّة ، ولكنّ هذا ٱلمقتضى قد عُطّل لأنّ ٱلحذف يؤدّي إلى ٱللّبْس بِبِنَاء ٱلمقصور فَقُلب إلى همزة لأجل هذا .

ويربط ٱلرّضيّ هذا بحدود ٱلبِنْية فيقول : "إنّما كانَ لِتَطَرُّفِهِمَا ، إذ ٱلآخِرُ مَحَلُّ ٱلتّغْيِيرِ " (٢) ، وعلى هذا فإنّ ٱلتّغييرات الصّوتيّة لاينبغي لها أنْ تنتهك خصوصيّات ٱلبِنَى ٱلصّرفيّة ، وهو أعتبارٌ يراعى في مجمل ٱلتّغييرات ٱلتي تعتري ٱلأبنية .

ويوقفنا ٱلرّضيّ على مواضع أخرى يجري فيها تعطيل ٱلقوانين ٱلصّرفيّة لاعتبارات صوتيّة بحتة من نحو قوله : " إنّ ٱلغَالِبَ أنْ يُجْمَعَ فَعَل ٱلمفتوح ٱلفاء ٱلسّاكن ٱلعين في ٱلقِلّةِ عَلَى أفعل ، إلّا أنْ يَكُونَ أجْوَفَ وَاوِيًّا أوْيَائِيًّا ، فَإنّ ٱلغَالِبَ فِي قِلّتِهِ أفْعَال : كَثَوْبٍ وأثْوَابٍ وسوط وأسواط وَبَيْتٍ وَأبْيَات وشَيْخٍ وَأشْيَاخٍ ، وَذلك لِأنّهم لو قَالُوا فِيهِ أيْضاً أفْعُل نحو أسوط ، وأبْيُت لِتَقَلْتَ ٱلضّمّةُ عَلَى حَرْفِ ٱلعِلّةِ وإنْ كانَ قَبْلَهَا سَاكِنٌ " (٣) وإن وجدنا في بعضها إطراداً للقانون الصّرفيّ،فقد جاء أفْعُل قليلاً نحو أقْفُس وأثْوُب وآبُر وأعْيُن . (٤) .

---

(١) ش ش ٣ / ١٧٣ ـ ١٧٤ .
(٢) ش ش ٣ / ١٧٤ .
(٣) ش ش ٢ / ٩٠ .
(٤) ش ش ٢ / ٩٠ .

والمسؤول عن هذا كراهيّة التتابع الناتج لصوت المدّ المركّب، فيسلك بالبِنية سلوكاً يتجنّب فيه هذه .

وفي السّياق نفسه يقيم الرّضي مثالاً آخر، إذ الغالب في كثرة فَعْل أنْ يكون على فُعُول، وفِعَال ككُعُوب وكِعَاب ... وأمّا الأجوف، فإنّ كان واويّاً ففُعُول فيه قليل ، والأكثر الفِعَال لاستثقال الضّمّة على الواو في الجمع وبعده الواو ... ولمّا استبدّ الواو بأحد الجمعيْن المذكورَيْن، استبدّ اليائيّ بالآخر، أعني فُعُولاً ، فلم يجئ فيه فِعَال، وأيضاً لو قيل فيه بِيَات كحِيَاض، لالتبس الواويّ باليائيّ (١) ، ويرصد الرّضيّ موضعاً آخر يكون فيه الجانب الصّوتيّ عاملاً مهمّاً لإيجاد مجموعة من الصّيغ المهموزة ، وقد كانت ولاءهدلها بالهمز من نحو قائم وقائل وغيرهما ، حيثُ يقول الرّضيّ :

" وَقَدْ تُقْلَبُ الْوَاوُ وَالْيَاءُ أَيْضاً قَرِيبَيْنِ مِنَ الطَّرَفِ وَقَبْلَهُمَا أَلِفٌ زَائِدَةٌ أَلِفاً بِشَرْطِ أَنْ يَنْضَمَّ إِلَى الْعِلَّةِ الْمُقْتَضِيَةِ (٢) لِلانْقِلَابِ مُقْتَضَىً آخَرُ، وَذَلِكَ لِضُعْفِ الْعِلَّةِ ، إِذَنْ بِسَبَبِ فَصْلِ الْأَلِفِ بَيْنَ الْوَاوِ وَالْيَاءِ وَبَيْنَ الْفَتْحَةِ أَوْ بِعَدَمِ كَوْنِهِمَا فِي الطَّرَفِ ، وَذَلِكَ الْمُقْتَضَى، إِمَّا مُشَابَهَةُ الْفِعْلِ كَمَا يَجِيءُ وَأَدَاؤُهُ مَعْنَاهُ وَعَمَلَهُ كَمَا فِي قَائِمٍ وَبَائِعٍ ، وَإِمَّا اكْتِنَافُ حَرْفِ (الْأَصحّ : حَرْفَيْ) الْعِلَّةِ لِأَلِفِ الْجَمْعِ الْأَقْصَى، فَيُسْتَثْقَلُ لِأَجْلِ حَرْفَيْ الْعِلَّةِ وَكَوْنِ الْجَمْعِ أَقْصَى الْجُمُوعِ ، وَذَلِكَ فِي بَوَائِعَ وَأَوَائِلَ وَعَيَائِلَ فِي جَمْعِ بَائِعَةٍ وَأَوَّلٍ وَعَيِّلٍ " (٣) .

إذ يستعامل الرّضيّ مع هذه الظّاهرة الصّوتيّة على وفق اعتبارات صرفيّة ، ويجعل الرّضيّ للبِنى الفِعْليّة وعملها قوّة تساعد القانون الصّوتيّ في عمله بالبِنى الأسميّة عند مشابهتها للفعل، والحقيقة في مثل هذه البِنى يمكن أنْ تكون في قول هنري فليش الّذي ذكرته في قرب نهاية الفصل السّابق في ظاهرة الإعلال، حيث يذهب فيه إلى وجود توتر شديد عند إصدار أصوات المدّ، وتتميّز العربيّة بقوّة هذا التّوتر، فيسبب بروز صوت الهمزة في نهاية المدّ، وأزيدُ إليه هنا أنّ هذا البروز يعمل على إسقاط نصف المدّ التّالي، وحلول الهمزة محله .

---

(١) ش ش ٢/ ٩٠ ـ ٩١ .

(٢) وهي : تحرّك الواو أو الياء وانفتاح ماقبلها .

(٣) ش ش ٣/ ١٠١ .

وبسبب العلاقة المتبادلة بين النظامين التي يتغلب في معظمها النظام الصوتي، ظهرت بنى متعددة وقفت على الاشارة المفصلة إليها عند دراستي للظواهر التعاملية في الفصل السابق، منها ما كان بسبب الإدغام الذي يحدث بين الصوتين المتقاربين، وما كان من مظاهر المماثلة الأخرى كالمماثلة التناسبية والاتباع، وما كان من المماثلة الجزئية وحدوث التقريب الصوتي والتجانس والإمالة، وقد أدى ذلك إلى بروز أوزان جديدة، قال الرضي (ردّاً على كلام ابن الحاجب فيما كان من عدم إبدال وزن افتعل عند إبدال التاء): "وهذا مما لا يسلّم، بل تقول: اضطرب على وزن افطعل، وفحطط وزنه فعلط، وهراق وزنه هفعل، وفقيج وزنه فعيل، فيعبّر عن كل الزائد المبدل منه بالبدل، لا بالمبدل منه".(١)

والإدغام هو المسؤول عن وجود أوزان من نحو افعلّ وافاعل التي يتتابع في أولها مثلان، فتجلب الهمزة (الزائدة الصوتية) ليتمّ النطق بالساكن الأول في المدغم.

وأذكر أيضاً ما كان من عمل المخالفة والقواعد الخاصة بظاهرة الإعلال، وأيضا ما كان من القلب المكاني بوجود بنى مزدوجة.

---

(١) ش ش ١/١٨.

المبحث الثالث
علاقة الأصوات باللهجات والقراءات القرآنية

يتم النظر إلى هذه العلاقة ضمن مجموعة من الظواهر ويعقبها الخروج بالنتائج في آخر الفصل.

١ـ الميل إلى الكسر : ومظاهره نجدها متمثلة في :

آ ـ الإمالة (وقد سبق اصطلح الإمالة)، يقول الرضي : " وليست الإمالة لغة جميع العرب، وأهل الحجاز لا يميلون، وأشدهم حرصاً عليها بنو تميم "(١)، ويعبّر بعض المحدثين عن الصوت الممال بـ " صوت لين نصف ضيق "(٢) فغير الحجاز على ما يبدو ينطقون الألف مع رفع الجزء الأمامي من اللسان إلى ما دون نطق الياء أو الكسرة.

ب ـ كسر حرف المضارعة : قال الرضي : " واعلم أن جميع العرب إلا أهل الحجاز يجوّزون كسر حرف المضارعة سوى الياء في الثلاثي المبني للفاعل، إذا كان ماضيًا على فعِل بكسر العين، فيقولون : أنا إعلَم ونحن نعلَم، وأنت تعلَم، وكذا في المثال الأجوف والناقص والمضاعف نحو إيجَل وإخال، وإشقَى، وإعضّ "(٣)، ومع الياء لا تكسر إلا إذا كان ألفاً واواً حتى يتم التخلص منها بقلبها ياءً كما في يجل وهي لغة جميع العرب إلا الحجازيين(٤)، وقد وقفت بعض الدراسات على " أن الأصل في الصوت الصائت من هذا المقطع هو الفتح، ثم اعترى هذا الأصل تطوّر حين مالت هذه اللغات إلى الكسر، بيد أن اللهجة الحجازية قد حافظت على الأصل، وظلت آثاره جزئياً في بعض اللغات السامية الأخرى "(٥).

ويعلل الرضي هذه الظاهرة تعليلاً صرفياً بقوله : " وإنما كسرت حروف المضارعة تنبيهًا على كسر عين الماضي "(٦)، وذكر الرضي هذا السلوك

---

(١) ش ش ٣/ ٤٠ (*)

(٢) في البحث الصوتي : ٧٨.

(٣) ش ش ١/ ١٤١، وعُرفت بقلقلة بسهراء، اللهجات والقراءات : ١١٥، وينظر مجالس ثعلب : ١/ ٨١.

(٤) ينظر: ش ش ١/ ١٤١.

(٥) مقطع المضارعة : ١١٩ (الملخص).

(٦) ش ش : ١/ ١٤٦.

منسوباً للسّابقين في بعض ٱلألفاظ هي : إبَىٰ وإحبُّ نِحِبُّ يِحِبُّ تِحِبُّ ، (١) ومن غير ٱلثّلاثيّ ، إذ كسروا أيضاً تِسْتَغْفِرُ وتِحْرَنْجَمُ ، يقول الرّضي فيه : " تَنْبِيهًا عَلَى كَوْنِ ٱلْمَاضِي مَكْسُورَ ٱلْأَوّل ، وهُوَ ٱلْهَمْزَةُ "(٢).

وينسجم مع هذه ٱلظّاهرة ٱختيار بعض ٱلعرب كسر أوّل ٱلمصغّر من ذوات ٱلياء نحو نِبيب وشِييخ ، خوفاً على ٱلياء من ٱنقلابها واواً لضمة ماقبلها ، وتقصّياً من ٱستثقال يـاءٍ بعد ضمةٍ لوبقيتا كذلك ، وهذا كماقيل في ٱلجمع بِيُوت وشِيوخ بكسر ٱلفاء ـ وقُرِئَ بـه في ٱلكتاب ٱلعزيز (٣) ، وقد ذكر ٱلرّضيّ قراءةً ٱنعكست فيها هذه ٱلظّاهرة ، وذلك في قراءة (أَمَّنْ لَا يِهِدِّي) (يونس ـ ٣٥) بكسر ٱلياء وٱلهاء على ٱلإتباع ، ولم يَنسبها .(٤)

جـ ـ وأورد طائفة من ٱلقراءات وٱلاستعمالات ٱللهجيّة تمثّل ٱلميل نحو ٱلكسر ، فذكر ان كسر ميم مِنْذُ و مُنْذُ لغة سليميّة ، (٥) وأيضاً إيّانَ بكسر ٱلهمزة (٦) ، وفي (مدّ وعضّ وعزّ) قال ٱلرّضيّ : " مِنْهُمْ مَنْ يُبْقِي عَلَى ٱلْكَسْرِ ، وَهُوَ ٱلْأَصْلُ ، وَهُمْ كَعْبٌ وَغَنِيّ ، فَيَقُولُون : مِدّ وعِضّ وَعِزّ " (٧) .

وجاء ٱلكسر في قراءة (ٱلمِ ٱللّهُ) (آل عمران ـ ١) وقرأ بها عمرو بن عبيد ، وأجازها ٱلأخفش قياساً لاسماعاً بناءً على أنّ ٱلحركة لِلسّاكنين ، وليست للنقل (٨) وذكر ٱلرّضيّ عن أبي عَمْرٍو ٱختيارَ ٱلكسر في ٱلسّاكنين (وهو ٱختيار ٱلفُصحى) في قوله تعالى (عَلَيْهِمِ ٱلذِّلَّةُ) (البقرة ـ ٦١) و(آل عمران ـ ١١٢) و (بِهِمِ ٱلْأَسْبَابُ) (البقرة ـ ١١٦) ، وٱختار غيره ٱلضّمّ ، وسيأتي .

وذكر أيضاً أنّه جاء في ٱلشّواذ (ذَاتَ ٱلْحِبُكِ) (الذّاريات ـ ٧) بكسر ٱلحاء وضم ٱلباء ، وهو لايُسَلَّمُ بمقترح ٱبن جني في تركّب الحِبُك من ٱلحِبِك وٱلحُبُك ، لأنّهُ يبعد تركيب اسم من مفرد وجمع فالحِبِك جمع الحِبَاك والثانية إنْ ثبت فهو مفرد (٩) .

---

(١) ش ش ١/ ١٤١ ـ ١٤٢ .
(٢) ش ش ١/ ١٤٣ .
(٣) ش ش ١/ ٢٠٩ .
(٤) ش ش ٣/ ٢٨٥ ،
(٥) ش ك ٢/ ١١٨ .
(٦) ش ك ٢/ ١٤٦ .
(٧) ش ش ٢/ ٢٤٣ .
(٨) ش ش ٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ، وهي في المصحف (ٱلٓمٓ . ٱللَّهُ ...) (آل عمران ١ ـ ٢) .
(٩) ش ش ١/ ٣٨ ـ ٣٩ .

ومما أورده الرّضيّ ويحمل على هذه الظّاهرة ماجاء في الشّواذ في قوله تعالى : (فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ) (البقرة ـ ٢٨٠)،إذ قُرِئت (فَنَظْرَةٌ إلى مَيْسُرِهِ) (١)، وذكر أيضا قراءة (حتّى مَطْلِعِ الفَجْرِ) (٢) (القدر ـ ٥) عن سيبويه بكسر لام مَطْلَع .

د . ومن ظاهرة الميل نحو الكسر مانسبه الرّضيّ من كسر حركة الضّمير حيث قال : " وبعض بني تميم من بني عدّيّ يحذفون حركة الهاء ويحركون الأوّل بالكسر فيقولون : ضَرَبْتِهْ وأَخَذْتِهْ " (٣) وذلك في الوقف خاصة . وقد نقل عن أبي الخطاب عن ناس من العرب : إِرْعِهْ واغزِهْ من دعوت وغزوت وقد علّل الرّضيّ هذا السّلوك فقال : " كأنهم سكنوا العين المتحركة بعد حذف اللام للوقف ، توهّماً منهم أنّهم لم يحذفوا شيئاً للوقف كما قلنا في لم أَبْلَهْ في الجزم " (٤) واورد ايضا : " إنّ ناساً من بكر من وائل يكسرونها (يعني : الهاء) في الواحد والمثنى والجمعين ، نحو منِهِ ومنِهما ومنِهم ومنِهنّ إتّباعاً للكسر " (٥) .

ويبدو واضحاً أنّ ذلك كان بسبب الانسجام الصوتي الّذي عبّر عنه بالاتباع وقد جاء الضمير في نحو لديه وبه باشباع الكسر وهي لغة غير أهل الحجاز ويقول عنها الرّضيّ : " وعلته أنّ الهاء حرف خفيف فهو إذن حاجز غير حصين فكأنّ الواو الساكنة وليت الكسرة او الياء فقلبت ياء وكسرت الهاء لاجل الياء بعدها " (٥) وورد أنّ بعض القراء اختار هذه اللغة اذ قال الرضي : " وابن كثير يصل مطلقاً نحو عليهي ومنهو ونحوها " (٦) وقال أيضاً : " ... عليكمو واليهمي على ماهو قراءة ابن كثير " (٧) .

٢ ـ الميل نحو الضّمّ :

آ ـ أبرز مظاهرها ماكان من النّطق الخاص بأهل الحجاز في (ألف التفخيم)،وهو أحد المتفرعات المستحسنة حيث يُنحى فيها بالألف نحو الواو (ينظر ـ الأصوات المتفرّعة)،وقال الرّضيّ : " قِيلَ وقُرِئَ فِي الشَّوَاذِ :(يَمْحُقُ اللَّهُ الرِّبُوا) (البقرة ـ ٢٧٦) بضم الباء)(٧) .

وقد علّق عليها قائلاً : " لَمْ يَغِرَّ هٰذَا القَارِيءُ إلّا كِتَابَتُهُ بِالْوَاوِ " (٧) .

ب ـ وفي حركة الضّمير،وقد سبق اختيار بكرمن وائل لِلْكسر،وهنا فإنّ " أَهْلَ الْحِجَازِ يَضُمُّونَ فِي الوَاحِدِ وَالْمُثَنَّى وَالْجَمْعِ : لَهُو وعُلَامَيْهُمَا وغُلَامَيْهُنَّ وَغُلَامَيْهِم وَبِغُلَامِهِمَا وَبِغُلَامِهِمْ وَبِغُلَامِهِنَّ ... وَغَيْرُ أَهْلِ الْحِجَازِ يَكْسِرُونَ الْهَاءَ فِي الْمُثَنَّى وَالْجَمْعَيْنِ

---

(١) ش ش ١ / ١٧٠،وقد اختلف القراء في قراءتها ،ينظر : السّبعة : ١٩٢ .

(٢) ش ش ١ / ١٧١،وهي في المصحف :(حتّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)،وينظر : الكتاب ٤ / ٩٠،وهي قراءة الكسائي وأبي عمرو ينظر : السّبعة : ٦٩٣ .

(٣) ش ش ٢ / ٢٤٨ ،وينظر: ٢ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

(٤) ش ش ٢ / ٢٩٨ .

(٥) ش ش ٢ / ١٢ .

(٦) ش ك ٢ / ١٢،وينظر اختياره هذا في السبعة : ١٣٢ .

(٧) ش ش ٢ / ٢٧٨ .

(٨) ش ش ١ / ٣٩ .

مُطْلَقاً،وَهُوَ ٱلْأَشْهَرُ "[١]،وذكر أنّ ٱلحجاز تقول بٱلْإشباع بهُو ولده يهُو وغيرهم يكسرونها[٢]؛وذكر ٱلرّضيّ أيضاً أنّ قارِيء ٱلكوفة حمزة يَخصُّ ضمّ ٱلْهاء في جمع ٱلْمذكر ثلاث كلمات(عَلَيْهُمُ وإلَيْهُمُ وَلَدَيْهُمُ)،وهو سلوك حاول بعض ٱلْعلماء تعليله بأنّ أصل ٱلْياء ٱلف،وردّه ٱلرّضيّ بأنّه لوكان ٱلْأمركذلك لقرأ في ٱلْواحد،وٱلْمثنّى وٱلْجمع أي: (عليهُ وعليهُما وعليهُن)،وبحسب أعتقاد ٱلرّضيّ فإنّه لم يقرأ بذلك إلّا إتّباعا للأثر[١].

ج ـ أورد ٱلرّضيّ عن حمزة في ٱلْتقاء ٱلسّاكنين الضّمّ في (عَلَيْهُمُ ٱلْقِتَالُ)(البقرة-٢٤٦)، النساء ٧٧)،وقد أختاره بعض ٱلْقرّاء في قوله تعالى: (بِهُمُ ٱلْأَسْبَابُ) (ٱلْبقرة-١١٦)،و(عَلَيْهُمُ ٱلْقِتَالُ)[٣]،وجاءَ أيضاً في (مِنْ دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ) (ٱلْقصص ـ ٢٣)[٤]، و(قُمِ ٱللَّيْلَ) (ٱلْمزمّل ـ ٢)[٥].

د ـ وجاء في بعض الشّواذ قوله تعالى: (تُرْزَقَانُه)(يونس ـ ٣٧)، و(أَتَعِدَانِنِي) (الاحقاف ـ ١٧)[٦] بضمّ نون ٱلْمثنّى في ٱلْفعل،وتقول هذيل:ٱلْلَذُونَ فِي ٱلرّفع[٧]،وقريء في قوله تعالى: (ذُرِّيَّةً ضِعَافاً)(ٱلنّساء ـ ٩)،ضُعافٍ وضَعافى، أورد ذلك عن ٱلْكشاف[٨]،ومّما ذكره أنّ تميماً تقول (أَمْسُ) رَفْعاً[٩].

٣ـ ٱلْميلُ نحو ٱلْفتح :

آ ـ ٱلْفتح أختيار ٱلْحجاز مقابلة مع ٱلْإمالة عند غيرهم وأبرزهم تميم[١٠].

ب ـ وفي ٱلتقاء ٱلسّاكنين قُرِيء في ٱلشّواذ (قُمِ ٱللَّيْلَ)(المزمل ـ ٢) بفتح ٱلْميم،

---

(١) ش ك ٢/ ١٢.
(٢) ش ك ٢/ ١١.
(٣) ش ش ٢/ ٢٤٢
(٤) ش ش ٢/ ٢٣٨ و ٢٤٢.
(٥) ش ك ٢/ ١٧٣.
(٦) ش ك ٢/ ٢٣٠.
(٧) ش ك ٢/ ٤٠.
(٨) ش ش ٢/ ١٧٥.
(٩) ش ك ٢/ ٦٦ و ١٤٤.
(١٠) ش ش ٣/ ٤.

وقرأ الكسائيّ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ)(الفاتحة ـ ١ـ٢). (١)

جـ ـ وذكر الرضي قراءات اخرى تفضل الفتح على غيره وهي :

" قَرَأَ الْحَسَنُ (وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ)(البقرة ـ ٢٠٥) بِفَتْحِ اللَّامِ شَاذٌّ " (٢) وقد " قُرِئَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: (فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي) (طه ـ ٨١) عَلَى الْوَجْهَيْنِ " (٣) وذلك لكون مضارعه على الوجهين كما يرى الرضي، وقُرِئَ أيضاً :(إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ) و (يُدَافِعُ)(الحج ـ ٣٨) (٤)، وجاءَ عَلَى لغة بني الْحَرث بن كعب الأيـــة: (إِنْ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ) (طه ـ ٦٣)، وذكر الشّاهد : (إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا ...) (٥) (٦)، وأورد الرّضيّ القراءة بالفتح والكسر في قوله تعالى : (فَنِعِمَّا هِيَ) (البقرة ـ ٢٧١)، وأيضاً ما قرأبه يحيى بنُ وثّاب في الشّاذ : (نَعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)(الرّعد ـ ٢٤) بفتح الفاء وسكون العين (٦).

ومنها أن سعيداً بنَ جبير قرأ : (أَلَا أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) (الفرقان ـ ٢٠)، وكذا قُرِئَ في الشّواذ : (أَنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الانفال ـ ٤٢) بالفتح (٧) . ومِمّا أورده بفتح الهمزة قراءتا قوله تعالى : (إِنْ تَضِلَّ) (الْبقرة ـ ٢٨٢) فقد قرأ بفتح الهمزة وبكسرها، قال الرّضيّ : " وقد قالوا: إنّهما بِمَعْنًى وَاحِدٍ: أَيْ بِمَعْنَى الشـــرط (٨) .

ومنها ما ذكره في قوله تعالى : (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًى) (البقرة ـ ٨٣) فيمـــن قرأ بالألف (٩)، وقد سبق في الاية (ذُرِّيَّةً ضِعَافًا) ذكر قراءة ضعافى .

د ـ ذكر الرّضي أنّ قَلَىٰ يَقْلَىٰ عامرّية ضعيفة، "أمّا قَلِيَ يَقْلَى ـ كَتَعِبَ، يَتْعَبُ ـ فيُمكن أنْ يكون متداخلاً، وأنْ يكون طائيّاً، لأنّهم يجوّزون قلب الْيَاء ألفاً في كلّ ما آخـــره ياءٌ مفتوحةٌ فتحةً غير إعرابيّة مكسور ماقبلها نحو بَقَى فِي بَقِيَ، وَدَعَى فِي دَعِيَ وَنَاصَـــاة في ناصية (٢)، وقد فضّل بعضهم في وَجْل أن يُقلب الواو ياءً (أي: يَجْـــل) " وَآخَرِينَ يُفَضِّلُوا (كذا) الْفَتْحَ فَيَقْلِبُونَهَا أَلِفًا، وَهِيَ لُغَةٌ فِي كُلِّ مِثَالٍ وَاوِيٍّ وَهِـــيَ قَلِيلَةٌ " (١٠) .

---

(١) ش ش ٢ / ٢٣٨ .
(٢) ش ش ١ / ١٢٥ .
(٣) ش ش ١ / ١٨٢ .
(٤) ش ش ١ / ٩٩ .
(٥) ش ك ٢ / ١٧٢ .
(٦) ش ش ٢ / ٣١٢ .
(٧) ش ك ٢ / ٣٥١ .
(٨) ش ك ١ / ٢٥٣ .
(٩) ش ك ٢ / ٢١٩ .
(١٠) ش ش ١ / ١٤١ .

٤ـ التّخفيف : وهي عمليّة إسقاط حركة عين الكلمة وعلى الأغلب تكون هذه الحركة كسرةً أو ضمّة ؛ إذ إنّه ورد في قليل من أمثلتها سقوط الفتحة ؛ وسقوط هذه الحركة كما يرى يعتمد على مبدأ التّحقيق النّطقي، ويرى رابين (١) أنّ سقوط هاتين الحركتين يعود لأسباب نبريّة نتيجة ضعف النّبر عليهما ؛ وذلك مما تميّزت به تميم عن الحجاز، وقد توصّل د. إبراهيم أنيس (٢) في بحث له عن صيغة الاسم الثّلاثيّ المجرّد، وباعتماد نظرة تاريخيّة مقارنة : أنّ الأصل هو السّكون، وأنّ المتحرّكة هي صيغ حديثة، وهي نتيجة مخالفة (٢) لتصوّرات جميع علماء اللّغة العربيّة ومنهم الرّضيّ .

وقد أورد الرّضيّ من أمثلة هذا السّلوك ما يأتي :

١ـ تتابع ضمّتين : بُزُل (٣) ومُحُرْف مخفف عند تميم، ودُهُن (٤) يجوز أن يخفف عند بني تميم كما في عُنُق، وفي قُذُل وقُدُن "إن شئت خفّفته في لغة تميم بإسكان العين" (٥)، وقال الرّضيّ : " وَلِتَوَالِي الثَّقْلَيْنِ أَيْضاً خَفَّفُوا نَحْوَ عُنُقٍ وَإِبِلٍ بِتَسْكِينِ الْحَرْفِ الثَّانِي فِيهِمَا، وَهَذَا التَّخْفِيفُ فِي نَحْوِ عُنُق أَكْثَرُ مِنْهُ فِي إِبِلٍ ؛ لِأَنَّ الضَّمَّتَيْنِ أَثْقَلُ مِنَ الْكَسْرَتَيْنِ حَتَّى جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَهُوَ حِجَازِيٌّ رُسْلَنَا وَرُسْلُهُم، وَهُوَ فِي الْجَمْعِ أَوْلَى مِنْهُ فِي الْمُفْرَدِ لِثُقَلِ الْجَمْعِ مَعْنًى " (٦)

وفي بُيُض يُخفف أيضاً على ما ذكر الرّضيّ الّذي أعقب ذلك بقوله : " مَنْ خَفَّفَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ كَسَرَ الضَّمَّ لِتَسْلَمَ الْيَاءُ فَتَقُولُ عَيْنٌ مَا قَالُوا : بِيضٌ فِي جَمْعِ أَبْيَضَ " (٧)، وفي (ذُبٌّ) قال : " أَصْلُهُ ذُبُبٌ، وَالْإِدْغَامُ بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِ بَنِي تَمِيمٍ فِي تَخْفِيفِ نَحْوِ عُنُقٍ، وَإِلَّا فَحَقُّ فُعُل أَنْ لَا يُدْغَمَ " (٨) فسقوط الحركة الثّانيّة يسمح بإمكانيّة ضياع الحدود الفاصلة بين الصّوتين فيُرفع بهما رفعةً واحدة .

---

(١) ينظر: اللهجات العربية الغربية : ١٧٥ و ١٧٦ .

(٢) عن : أثر القراءات : ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

(٣) ش ش ٢ / ١٥٧ .

(٤) ش ش ٢ / ٩١ .

(٥) ش ش ٢ / ١٢٥ .

(٦) ش ش ١ / ٤٤ .

(٧) ش ش ٢ / ١٢٨ .

(٨) ش ش ٢ / ١٢٩ .

٢ـ تتابع كسرتين : ذكر الرّضيّ هذا السّلوك في نحو إبِل غير أنّ تتابع الكسرتين أخفّ من تتابع الضّمتين (وقد سبق) .

٣ـ تتابع (فتحة وكسرة ،فتحة وضمة ،ضمة وكسرة ،كسرة وفتحة) .

قال الرّضي في انطلق ولم يَلْدَهُ : " شَبّه طَلِقَ في لُغَةِ تَمِيمٍ ،فَسَكَّنَ اللامَ .. وكَذا الكلامُ في لَمْ يَلْدَهُ " (١) ،وفي نحو عَضُد قال الرّضيّ : " قَدْ ذَكَرْنا أنّ مِثْلَهُ يَجُوزُ عِنْدَ تَمِيمٍ فِي الفِعْل أيْضاً نَحْوُ كَرُمَ الرَّجُلُ في كَرُمَ " (٢)

وممّا ذكره لهذه الظّاهرة المثل : لَمْ يُحْرَمْ مَنْ قُصِدَ لَهُ ،وقال أبو النّجم وهو تميميٌّ :

لَوْ عُصِرَ مِنْهُ المِسْكُ وَالبَانُ انْعَصَرْ .

وكذا قولهم عُزْيَ بالياء دون الواو في غُزِي لعروض سكون الزّاي ،فليس التّخفيف في مثله لكراهة الانتقال من الأخف إلى الأثقل كما كان في كَتِف وعَضُد ،كيف والكسرة أخفُّ من الضّمّة والفتحة أخفُّ من الكسرة ،بل إنّما سكن كراهة توالي الثّقلين في الثّلاثي المبني على الخفّة ، فسكن الثّاني لامتناع تسكين الأوّل ،ولأنّ الثّقل من الثّاني حَصل ،لأنّه لأجل التّوالي .(٣)

ويرى الرّضيّ أنّ البقية الأوليّة لـ (وَدٌّ) هي وَتِدٌ ،إذ قال : " وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ وَدٌّ فِي وَتِدٍ ، خَفَّفَهُ بَنُو تَمِيمٍ بِحَذْفِ كسرة التّاءِ ،وَلَمْ يَجُزْ فِي لُغَتِهِمْ وَقْدٌ بِسكُونِ التّاءُ مُظْهَرة " (٤) ،وقالَ (معلّقاً على قول ابن الحاجب وقد جاء وَدٌّ في تتم) : " أَيْ : فِي لُغَةِ تَمِيمٍ وَهِيَ إسْكَانُ كَسْرَةِ عَيْنِ فَعِل نحو كَبْدٍ في كَبِدٍ " (٥)

ومنها أيضاً قولُهُ :"وَإنّمَا جُمِعَ مَعِدَة وَنَقِمَة على فِعَل بِكَسْرِ الْفَاءِ وَفَتْحِ الْعَيْنِ ،لأنّهُمْ يَقُولُونَ فِيهِمَا عِنْد بَنِي تَمِيمٍ وَغَيْرِهِمْ مِعْدَة ونِقْمَة كَكسرة

---

(١) ش ش ٢ / ٢٣٨ .
(٢) ش ش ١ / ٤٢ .
(٣) ش ش ١ / ٤٣ـ ٤٤ .
(٤) ش ش ٣ / ٢٦٨ .
(٥) ش ش ٣ / ٢٦٩ .

نحو كِتْف في كَتِف " (١) " وفي " نَحْوِ كَلِمَةٍ وخَلِفَة فَلَا يَجيءُ عَلَى وَزْنِ كِسْرة إلّا عِنْدَ بَنِي تَمِيمٍ " (١) .

ومن مظاهر انعكاس هذه الظاهرة على المستوى القراءاتي ما ذكره من قوله : " قُرِئَ في الشَّواذِ : (أَنْ يُمِلَّ هُوَ) (البقرة ـ ٢٨٢) فَجَعَلَ لَهُوَ كَعَضُد وَهُوَ قَبِيحٌ ... " (٢) ويُبرز هذا أنّ هذه الظاهرة لاتخضع للبنية المفردة بل لمستوى سياقيّ أوسع وهو بين كلمتين ؛ إذن فالتتابع الصّوتيّ هو المسؤول عن هذا السّقوط لا البنية .

وذكر الرّضيّ أيضاً (وهو ما ينطبق عليه الكلام السّابق) إنّ الكسائيّ وغيره قرأ (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُم)(الحج ـ ٢٩) بإسكان لام الأمر " وَاسْتَقْبَحَ ذٰلِكَ الْبَصْرِيُّونَ " (٣) ومنه أيضاً قال الرّضيّ : " وَقَدْ شُبِّهَ بِفَعِلَ الْمَفْتُوحِ الْفَاءُ الْمَكْسُورِ الْعَيْنُ نَحْوَ قَوْلِهِمْ : وَلْيَضْرِبْ وَفَلْتَضْرِبْ ـ أعني واوَ العطفِ وفاءَه مَعَ لامِ الأمرِ وحَرْفِ المضارعةِ ـ وذلك لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ ـ وقُرِئَ بِهِ في الكِتَابِ العَزِيزِ ، وشُبِّهَ بِهِ نَحْوَ : ثُمَّ لْيَفْعَلْ ؛ وهُوَ أقلُّ .. وَكَذَا شُبِّهَ بِفَعِلَ فَعَلَ قولهم : فَهُوَ وفَهْيَ وَوَهْوَ وَوَهْيَ وَلَهْوَ وَلَهْيَ لِمَا قُلْنَا فِي وَلْيَفْعَلْ ، وَكَذَا أَهْوَ وَأَهْيَ ... " (٤) ، وجاء عليه قوله تعالى : " وَلْيُوفُوا)(الحج ـ ٢٩) (٥) .

وقد أورد الرّضيّ طائفة أخرى من الألفاظ الّتي بأن فيها السّلوك الصّوتيّ المتبع مع الثّلاثي فقد جاء قولهم : أراك مُتْفَخاً ، وقال الشّاعر :

فَبَاتَ مُنْتَصْباً وَمَا تَكَرْدَسَا (٦)

وجاء في جمع الإناث على ما يقول الرّضي ، إذ : " أَهْلُ الْحِجَازِ يَعْدِلُونَ مِنْ حَرَكَةِ الْوَسَطِ إلى السّكون لئلا يكون إزالة ثِقْلٍ بِثِقْلٍ آخَرَ هي الْفُصْحَى " (٧) ، وذلك في الجمع الأجوف الّذي قال عنه : " وَتُفْتَحُ هٰذَيْلٌ الْعَيْنَ الْمُعْتَلَّةَ كَجَوَزَاتٍ وَبَيَضَاتٍ ... وقُرِئَ فِي الشّوَاذِ (ثَلٰثُ عَوْرَاتٍ) (النور ـ ٥٨) " (٨) .

---

(١) ش ش ٢ / ١٠٨ .
(٢) (٣) ش ش ٢ / ٢٧٠ .
(٤) ش ش ١ / ٤٤ ـ ٤٥ وينظر ش ش ٢ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .
(٥) ش ش ٢ / ٢٦٩ .
(٦) ش ش ١ / ٤٥ .
(٧) ش ك ٢ / ١٨٩ .
(٨) ش ك ٣ / ١٨٩

وروى الرّضي أنّ ذلكَ فعل تميم في(١) هذه الألفاظ، وقد جاء رَوَضَات (٢) أيضاً وعلّل هذا السّلوك بخفة الفتحة على حرف العلّة وبكونها عارضة .

٥ـ الإدغام (إدغام المتماثلين) :

آ ـ ذكر الرّضيّ أنّ لغة الحجاز: لَمْ يكْعَ في تكَعَّ وتكِعَّ وبالكسر أشهر، وقال : " وَمَنْ فَتَحَ، فَلِأَنَّهَا قَدْ تَتَحَرَّكُ فِي لُغَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ ، نَحْوَ : لَمْ يَكْعَ " (٣)

ويقولون أيضاً في الأمر والجزم : ارْدُدْ، ولَمْ يَرْدُدْ، بفكّ الإدغام بينما تقول تميم : لَمْ يَرُدَّ، ورُدَّ، وجاء على لغة تميم في القرآن الكريم قوله تعالى : (لَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ) (البقرة ـ ٢٨٢)، ويعتقد الرّضيّ أنّ تميماً لم يعتدّوا بالإسكان أو جعلوا الثّاني كالمتحرّك، وسكّنوا الأوّل للإدغام، والتقى ساكنان فلو حرّك الأوّل لنقض الغرض " (٤) .

ب ـ عند تميم رُدَّ، وعُضَّ، وفَرَّ يجب الادغام (٥)، وكذا في ذُبَّ (٦)، وَوَدَّ (٧) .

جـ ـ وافق التميميون الحجازيين على ما ذكر الرّضيّ في رَدَدْتُ، ورَدَدْنَا، ورَدَدْنَ، وذلك للزوم سكون الثّاني، وزعم الخليل أنّ أناساً من بكر بن وائل وغيرهم يَقُولُونَ : رَدَّ نَ ورُدَّ نَ وكذا رَدَّتْ لعروض الضّمائر، ويحرّكون بالفتح للسّاكنين ؛ ولكن هذه اللغة لا تروق كما يبدو للسّيرافيّ الّذي ذكر عنه الرّضيّ : " هَذِهِ لُغَةٌ رَدِيئَةٌ فَاشِيَةٌ فِي عَوَامِ أَهْلِ بَغْدَادَ "(٨) .

وزاد بعضهم ألفاً بعد الإدغام فيقول : ردّاتُ وردّانَ ليبقى ماقبل هذه الضّمائر ساكناً كما في غير المدغم على ما يرى الرّضيّ .

د ـ وأورد الرّضيّ في إدغام المتماثلين قراءة أبي عمرو (شَهْرُ رَمَضَانَ) (البقرة ـ ١٨٥) و(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ) (الأعراف ـ ٩٩)، ولكنّ الرّضيّ يذهب فيه إلى أنّه إخفاء لا إدغام(٩) .

---

(١) ش ش ٣/ ١١٠ .
(٢) ش ك ٢/ ١٩٠ .
(٣) ش ش ١/ ١٣٤ .
(٤) ش ش ٢/ ٢٣٩ .
(٥) ش ش ٣/ ٢٨٤ .
(٦) ش ش ٢/ ١٢٩
(٧) ش ش ٣/ ٢٦٨ .
(٨) ش ش ٢/ ٢٤٦ .
(٩) ينظر ش ش ٣/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨، ومصطلح الاخفاء .

مكتبة لسان العرب
https://lisanarabs.blogspot.com

هـ ـ ويذكر الرّضيّ سلوكاً آخرفي هذا الإدغام حيث يقول : " جاء في لُغَةِ سُلَيْمٍ قليلاً ـ وربّما استعملَهُ غيرُهُمْ ـ حذفُ العَيْنِ في مِثْلِهِ أيضا، وذلكَ لكراهتِهِمْ اجتماعَ المِثْلَيْنِ، فحذفوا ما حقُّهُ الإدغامُ ـ أعني أوّلَ المِثْلَيْنِ، فتعذّرَ الإدغامُ فإنْ كانَ ماقبلَ الأوّلِ ساكناً أوجبُوا نقلَ حركةِ الأوّلِ إليهِ، نحوَ: أحسْنَ، ويُحِسْنُ، ومِنْهُ قولُهُ تعالى : (وقَرْنَ في بُيُوتِكُنَّ) (الأحزاب ـ ٣٣) على أحدِ الوجوهِ، وإنْ كانَ متحرّكاً جازَ حذفُ حركةِ الأوّلِ، ونقلُها إلى ماقبلَهُ، إنْ كانتْ كسرةً أوضمّةً قالوا: ظِلْتُ بفتحِ الفاءِ وكسرِها ـ وكذا لَبِبْتُ ولُبْتُ ـ بفتحِ الفاءِ وضمِّها، وذلكَ لبيانِ وزنِ الفعلِ كما بيّنّا في ضَمَّةِ قُلْتُ وكسرةِ بِعْتُ "[1]، ولاحظَ الرّضيّ أنّ هذا الحذف يكون في الماضي أكثرمنه في المضارع والأمر .

٦ـ المماثلة الصوتية : وتدرج مظاهرها تحت ما يأتي :

آ ـ إدغام المتقاربين : ولتحليل مظاهرها عند الرّضيّ صنعتُ الجدول الآتي :

---

(١) ش ش ٣/ ٢٤٥ .

جدول رقم (٧) لحالات الإدغام في اللهجات
ينظر لحالات الادغام: ش ش ٣ /٢٦٤-٢٩٢.

	حالات الإدغام	المخرج		الصفات الصوتية				الملاحظات
		-	+	الجهر	الهمس	الشدة	الرخاوة	الصفة الفضلية
١	ح > ع	حلقيّ	حلقيّ	+	-			أبو عمرو (فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ) (آل عمران ١٨٥
٢	ج > ت	غاريّ	أسنانيّ - لثويّ	-	+			أبوعمرو (ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ) (المعارج ٤
٣	ش > س	غاريّ	أسنانيّ لثويّ					أبوعمرو: (ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً) (الأسراء ٤٢) قال الرّضيّ: الصّوتان من حروف التفشي والصّوت. - تفشي + صفير
٤	س > ش	أسنانيّ لثويّ	غاريّ					أبوعمرو: (الرَّأْسُ شَيْباً) (مريم - ٤) - صفير + تفشي
٥	ض > ش	بين أضراسيّ	غاريّ	-	+			قراءة (لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ) (النور: ٦٢) إطباق
٦	ر > ل	لثويّ	لثويّ					قراءة (أَغَرِلْتَ)(ابراهيم - ٤١) - تكرير
٧	ط > ت	أسنانيّ لثويّ	أسنانيّ-لثويّ					بعض العرب: حطتهم > حتّهم - إطباق
٨	ت > ج	أسنانيّ لثويّ	غاريّ	+	-			قراءة (وَجَبَتْ جُنُوبُهَا) (الحج: ٣٦)
٩	ف > ب	شفويّ أسنانيّ	شفويّ	+	-			قراءة (نَخْسِفْ بِهِمْ) (سبأ: ٩) التأنيف
١٠	ت > د	أسنانيّ لثويّ	أسنانيّ- لثويّ	+	-			بعضهم (عُدَّه ، جِدْتُ > جِدْ ، تميم: ودَّ اصلها وَتْدْ.
١١	ت > ط	أسنانيّ لثويّ	أسنانيّ لثويّ					في: خَبَطَّه حمزة: اسطّاع) (آل عمران: ٩٧) + إطباق
١٢	ت > ص	أسنانيّ لثويّ	أسنانيّ - لثويّ			-	+	اصّبّر شاذ + إطباق
١٣	ت > ش	أسنانيّ لثويّ	بين أضراسيّ	+	-	-	+	اضّرب + إطباق + استطالة
١٤	ض > ط	بين أضراسيّ	أسنانيّ-لثويّ	-	+	+	-	قال بعضهم: مّطجع في مضطجع. استطالة
١٥	ظ > ط	أسنانيّ	أسنانيّ - لثويّ	-	+	+	-	حفظْتُ > حفظْطُ > حفطُّ.

ملاحظات حول جدول حالات الإدغام في اللهجات

(١) التنازل عن صفة الجهر بلغ (٢٨٪)، وعن الهمس (٣ ر٣٣٪) من مجموع الحالات البالغ (١٥) حالةً ، أمّا صفتا الشدّة والرّخاوة فقد بلغ التنازل نسبة طفيفة إذ لكلّ منهما (٣ ر١ ٪) .

وهذا يؤدّي إلى القول : إنّ نظام التمايز يعتمد عند الأداء على صفتي الشدّة والرّخاوة أكثر ممّا يعتمد على صفتي الجهر والهمس .

(٢) التنازل الواضح عن صفات الفضيلة (التفشي ، والصفير والاستطالة ، والتكرير والإطباق ، والتأفيف) ؛ إذ وصل إلى (٥٠٪) من مجمل الحالات ، وهذا يبرز هو ان هذه الصفات في تمايز أصواتها عند متكلمي اللهجات عند الأداء .

(٣) وجود حالات إدغام وبين الصوتين تباعد مخرجيّ كافي : (ج < ت ، ش < س س < ش ، ت < ج) ويبدو أنّ الصفة المشتركة قد قامت هنا ، وأزيد على حالتيّ التبادل في (السّين والشّين) أنّه يُمكن تبرير حدوثهما بامتداد منطقة التفشي إلى المخرج (الأسنانيّ - اللثويّ) ، وهو مخرج السّين ، فإذا تضيقت تلك المنطقة عند هذا المخرج بشكل كبير أدّى ذلك إلى حدوث السّين ، والعكس أيضاً عند تحوّل السّين إلى الشّين .

(٤) قيام معظم الحالات على التقارب المخرجيّ يؤدّي إلى القول بوجود تساهل واضح في نقطة المخرج ، ودورها في عملية التمايز ؟ إذ يبدو أنّ التعويل في ذلك على ما يمكن أن أشبهه بمنطقة مخرجيّة ، إلّا ما كان في حالتي الإدغام (ت < د و ت < ط) إذ يحافظ عليها ؛ لأنّ الإدغام تمّ في المقابل المجهور أو المطبق .

ب ـ المماثلة التناسبية :

سبق أن أشرتُ إلى أنّ هذا المصطلح وضعته للدلالة على مفهوم الرّضيّ في الإدغام في (ستّ) وفي (مَحُّم) وقد سبق الكلام عن الأولى ؛ لأنّها من الفصحى ، أمّا الآن فالكلام عن الثّانية (أيْ : مَحُّم) التي أصلها مَعَهُم ، وهي ممّا امتازتْ به تميم عن غيرها ، قال الرّضيّ :

" كانَ القياسُ الأوّلُ أيْ قَلْبُ الأوّلِ إلى الثّاني ، أنْ يُقالَ مَهُّم ، بقَلْبِ العَيْنِ هاءً ، وقِياسُ العارِضِ ، وهُوَ كَوْنُ الثّاني : أيِ الهاءُ أدْخَلَ في الحَلْقِ وأثْقَلَ أنْ يُقْلَبَ الثّاني إلى الأوّلِ ، فيُقالَ : مَعُّم ، فاسْتُثْقِلَ كِلاهُما ، ولِهذا كانَ تَضْعِيفُ الهاءِ ، نَحْوَ فَهَّ وكَهَّ السَّكْرانُ ، والعَيْنِ نَحْوَ دَعَّ وكَعَّ قَليلاً جِدّاً ، واسْتُثْقِلَ أيْضاً تَرْكُ الإدْغامِ ، لأنَّ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُما مُسْتَثْقَلَةٌ لِنُزُولِها في الحَلْقِ ، فكَيْفَ بِهِما مُجْتَمِعَيْنِ مَعَ تَنافُرِهِما ، إذِ العَيْنُ مَجْهُورَةٌ ، والهاءُ مَهْمُوسَةٌ ، فَطَلَبُوا حَرْفاً مُناسِباً لَهُما أخَفَّ مِنْهُما ، وهُوَ الحاءُ : أمّا كَوْنُهُ أخَفَّ فَلأنَّهُ أعْلى مِنْهُما في الحَلْقِ ، ولِذلِكَ كَثُرَ نَحْوَ مَحَّ ودَحَّ وزَحَّ ، بخلاف دَعَّ وكَعَّ وكَهَّ وفَهَّ ، وأمّا مُناسَبَتُهُ لِلْعَيْنِ ، فَلأنَّهُما مِنْ وَسَطِ الحَلْقِ ، وأمّا الهاءُ فَبِالهَمْسِ والرَّخاوَةِ ، فلِذا قَلَبَ بَعْضُ بَني تَمِيمٍ العَيْنَ والهاءَ جائِيْنِ وأدْغَمَ أحَدَهُما في الآخَرِ نَحْوَ مَجُّمْ ومَحّاءٌ لاءٌ ، في مَعَهُمْ ومَعَ هُوَ لاءٌ ... " (١) (*)

جـ ـ الإتباع :

(وسبق مصطلح الأتباع) وهو جنوح أصوات المدّ المتجاورة للتّماثل ؛ أي إلى الانسجام فيما بينهما حتّى لا ينتقل اللسان من ضمٍ إلى كسر إلى فتح أو بالعكس في أثناء الأداء تسهيلاً (٢) ، ويعرف عند المحدثين (Vowel Assimilation) وأيضاً (Vowel Harmony)

(أي الانسجام المدّي) ، وهي كثيرة الشيوع في مستوى اللهجات والقراءات حتّى أنّ معظم الأمثلة التي وقفتُ عليها عند الرّضيّ تكاد تقتصر عليهما فلذا فإنّا أسجّل هنا سلوكاً واضحاً للهجات والقراءات للميل نحو الانسجام المدّي الذي من مظاهرة ما سبق أنْ وقفتُ عليه في الميل نحو الكسر من أنّ ناساً من بكر بن وائل يكسرون في نحو مِنْ ومِنْهُما ومِنْهُم ومِنْهُنَّ إتباعاً للكسر (٣) ، ويقول بعض تميم :

---

(١) ش ش ٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ . (التعليق : ينظر المماثلة التناسبية في الفصل الثاني : ١٠٤) .

(٢) ينظر : في الاصوات اللغوية : ٥٥ .

(٣) ش ك ٢/ ١١ .

(*) ينظر : الكتاب : ٤/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

مُذُ وعَضَّ وعَزَّ بالاتباع فيها (١) ، وأورد الرّضيّ أيضاً قراءة (فِي إِمِّهَا) (القصص ـ ٥٩) بالاتباع بكسر الهمزة (٢) .

د ـ المماثلة الجزئيّة : ومن أمثلة هذه الظّاهرة التي رصدها الرّضيّ قولُ حاتم : هكذا ـــــــــــ فزدي أنّه ، أي فصّطي ، قال الرّضيّ : "أمّا الإبدال فلأنّ الصّاد مُطْبَقَةٌ ، مَهْمُوسَةٌ ، رِخْوَةٌ ، وقد جاورت الدّال بلا حائل من حركة وغيرها ، والدّال مجهورة ، شديدة ، غير مُطْبَقَةٍ ... فغيّروا الأوّل لضعفها بالسّكون ، بأن قرّبوها من الدّال ، بأن قلبوها زاياً خالصةً ، فتناسبت الأصوات ، لأنّ الزّاي من مخرج الصّاد ، وأختُها في الصّفير ، وهي تناسب الدّال في الجهر وعدم الإطباق " (٣)

وينظر في هذه الظّاهرة مصطلح المضارعة حيث سُمع من العرب ضارعة الصّاد للزّاي في نحو لفظ الصّاد والصّادر والصّراط .

وقال الرّضيّ (في سقطٍ) : " قبيلة كلب يقلبون العين الواقعة قبل القاف زايا ، كما يقلبها غيرهم صاداً ؛ وذلك لأنّه لمّا تباين السّين والقاف لكون السّين مهموسة والقاف مجهورة أبدلوها زاياً لمناسبة الزّاي للسّين في المخرج والصّفير وللقاف في الجهر " (٤)

ومنها أيضاً ما ذكره في إشراب الجيم والشّين الواقعتين قبل الدّال صوت الزّاي في نحو أجدر وأشدق الذي نقل الرّضيّ فيه عن سيبويه (*) قوله : "إنّ البيان أكثر وأعرف وهذا عربيّ كثير" ، يخصّ به حالة الشّين ويبرر الرّضيّ ذلك بأنّ الشّين تشابه الصّاد والسّين اللذين يُقلبان زاياً ، وذلك لكونها مهموسة رخوة مثلهما ، أمّا في حالة الميم ، فيعتقد الرّضيّ أنّ الجيم حُملت على الشّين ، لأنّها من مخرجها ، ولا يجوز أن يجعل الشّين والجيم زاياً خالصة كالصّاد والسّين ، لأنّهما ليستا من مخرجهما (٤) ، وكلاهما في الأصوات المتفرّعة ، وهما من المستهجنة .

وذكر الرّضيّ من الأمثلة الاخرى للمماثلة الجزئيّة أنّ تاء الضّمير تقلب طاء عند ما يسبقها حرف مطبق (الصّاد أو الضّاد أو الظّاء) ، فيحدث معها ما يحدث في

---

(٢) ش ش ٣ / ٢٦٣ .

(٣) ش ش ٣ / ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

(٤) ش ش ٣ / ٢٣٣ . وينظر : سر الصناعة : ٦٦٠ .

(١) ش ش ٢ / ٢٤٣ .

(*) ينظر : الكتاب ٤ / ٤٧٩ .

صيغة ٱفْتَعَل (وقد سبق ذكرها)،قال الرّضيّ :" هٰذهِ لُغَةُ تَمِيمٍ وَلَيْسَتْ بِٱلْكَثِيرَةِ أعني جَعْلَ ٱلضّميرِ طَاءً،إذَا كَانَ لامُ ٱلْكَلِمَةِ صَادًا أوضَادًا ،وكَذَا بَعْدَ الطّاءِ وٱلظّاءِ نَحْوَ فَحَصْطُ بِرِجْلِي،وحِصْطٌ عَنْهُ : أبِحْدْتُ،وأحَطْ وَحَفِظْطُ ،وانّمَا قَلّ ذٰلِكَ ،لِأَنّ تَاءَ ٱلضّمِيرِ كَلِمَةٌ تَامّةٌ ،فلا تُغَيَّر "(١)

وسبب ذلك عند ٱلرّضيّ "لِأَنّ ٱلتّاءَ مَهْمُوسَةٌ لَا إطْبَاقَ فِيهَا ،وهٰذهِ ٱلْحُرُوفُ مَجْهُورَةٌ مُطْبَقَةٌ ،فَٱخْتَارُوا حَرْفًا مُسْتَعْلِيًا مِنْ مَخْرَجِ ٱلتّاءِ،وَهُوَ ٱلطّاءُ،فَجَعَلُوهُ مَكَانَ ٱلتّاءِ ، لِأَنّهُ مُنَاسِبٌ لِلتّاءِ فِي ٱلْمَخْرَجِ،وٱلصّادِ،وٱلضّادِ،وٱلظّاءِ فِي ٱلْإِطْبَاقِ "(٢)، إنّ مايحدث مع ٱلطّاء هو مماثلة كليّة لاجزئيّة،لِأنّ ٱلتّاءَ هو طاء بلا إطباق والعكس . قَالَ ٱلرّضيّ : "بِأَنْ تَجْعَلَ فِي ٱلتّاءِ إطْبَاقًا،فَيَصِيرُ طَاءً "(٣) .

وعلى مثال ماسبق تحدث المماثلة الجزئية في نحو (فزت)،إذْ تكسب ٱلزّاي ٱلْجهر للتّاء فتحوّلها إلى ٱلْمقابل ٱلْمجهور أي تصبح دالاً فتتناسب مع الزّاي في الجهر ومع التّاءِ في ٱلْمخرج(٤)، وقد جاء هذا ٱلسّلوك على مثال مايحدث في صيغة الافتعال ٱلّتي سبق ذكرها .

وقَالَ ٱلرّضيّ : "وَقَدْ شَذّ قَلْبُ تَاءِ ٱلافتعال دَالاً بَعْدَ ٱلْجِيمِ ،لِأَنّ ٱلْجِيمَ وَإنْ كَانَتْ مَجْهُورَةً ،وٱلتّاءُ مَهْمُوسَةً إلّا أنّهَا أقْرَبُ إلى ٱلتّاءِ مِنَ ٱلزّايِ وَٱلدّالِ ؛ فَيَسْهُلُ النّطْقُ بِٱلتّاءِ بَعْدَ ٱلْجِيمِ،وَيَصْعُبُ بَعْدَ ٱلزّايِ وَٱلدّالِ ،قَالَ :

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي لاتَحْبِسَانِي ... بِنَزْعِ أُصُولِهِ وٱجْدَزَّ شِيحَا

ولاقياس على المسموع منه(٥)، موازنةً بين وجوب القلب في ٱدّكر وٱزدجر وشذوذه في ٱجْدَزَّ ويمتلك ٱلرّضيّ في عموم هذه ٱلظّاهرة (أعني ظاهرة ٱلْمماثلة) تفرقة واضحة تعدّ في صميم ٱلإدراك ٱلْمنهجيّ في ٱلدّرس ٱلصّوتيّ،ويتمثّل ذلك عندما وصف قلب التاء دالاً في ٱجْدَ مَعَ بأنّه : "لِتَنَاسُبِ ٱلصّوْتِ كَمَا فِي صُوَيْقٍ بِخِلَافِ دَوْلَجٍ "(٦) فمايحدث هنا بسبب التّناسب (يمكن أنْ يكون قريباً من مفهوم ٱلْمماثلة كما هي عند ٱلْمحدثين) بين

---

(١) ش ش ٣/٢٢٦ـ ٢٢٧،وينظر ٣/٢٨٧ـ ٢٨٨ .
(٢) ش ش ٣/٢٢٦ .
(٣) ش ش ٣/٢٨٧ .
(٤) ش ش ٣/٢٢٧ .
(٥) ش ش ٣/٢٢٨، وسر الصناعة : ١/٢٠١ (للبيت) .
(٦) ش ش ٣/٢٢٩ .

ٱلأصوات: ٱلتّاء، وٱلدّال، وٱلصّوت السّابق ٱلمجهور، أمّا في نحو دولج فمفهوم ٱلرّضيّ يقوم على ٱلعلاقة ٱلمخرجيّة بين ٱلتّاء وٱلدّال، وإنّ ٱلذّي حدث هو ٱكتساب التا ٱلجهر لسببٍ ما، ولم يستدعِ هذا ٱلقلب صوتٌ مجاورٌ كما في (فزتُ).

ومن أمثلة ٱلظّاهرة ما تمتّعت به لهجة ٱلحجاز من ٱلنّطق ٱلخاص بٱلألف عند ما يمال به إلى ٱلواو ٱلّتي عُرِفتْ بألف التفخيم على ظاهرة ٱلأصوات ٱلمتفرّعة ٱلمستحسنة .

ومنها ما حدث عند بعض ٱلعرب في إدغام ٱلنّون، إذْ قال ٱلرّضيّ : "وَيَعْضُ ٱلْعَرَبِ يُدْغِمُهَا فِي ٱللَّامِ وَٱلرَّاءِ مَعَ الغنّة أيضاً ضَنًّا بفضيلة النُّونِ ؛ فَلَا يَكُونُ ٱلْإِدْغَامُ إِذَنْ إِدْغَاماً تَامًّا " (١) .

٧ ـ ظاهرة ٱلإبدال :

وقفَ الرّضيّ عند دراسته لهذه ٱلظّاهرة على مظاهر لهجيّة تفوق كثيراً ما عدّه من ٱلفصحى ممّا وقفتُ على رصده في الجدول الرقم (٦) وللوقوف على طبيعة ٱلتّطورات الصّوتيّة الخاصة بهذه الظاهرة فقد عملت الجدول رقم (٨) على ٱلشّكل ٱلآتي :

---

(١) شرح شافية ٣ / ٢٧٣ .

جدول رقم (٨) لحالات الابدال في اللهجات

ينظر لحالات الإبدال : ش ش ٣/ ٢١٥ – ٢٣٣ .

	حرف البدل ومخارجه	الرف المبدل منه	مخرج البدل منه	الصفات المكتسبة (+) المتنازل عنها (–) الجهر	الهمس	الشدة	الرخاوة	الصفة الفضيلة	الملاحظات
١	ش (غاريّ)	ك	طبقيّ			–	+	+تشي	شين الكشكشة بدل من كاف المؤنث .
٢	ف (أسنانيّ)	ث	شفويّ أسنانيّ					–تأفيف	ثروغ الدّلو وفروغه .
٣	ب (شفويّ)	م	شفويّ					– غنة	في : ما أسبك ؟
٤	ح (حلقيّ)	خ	طبقيّ						قال : يَنْفَحْنَ مِنْهُ لَهَباً مَنْفُوحا / أي ينفخن ... منفوحاً ﴿ ألسنخ ﴿ ألسنح .
٥	ر (لثوي)	ل	لثوي					+ تكرير	نثر الدّرع ونثله .
٦	ف شفويّ أسنانيّ	ث	أسناني					+تأفيف	ثُمَّ وفُمَّ / وجدث وجدف .
٧	ك (طبقيّ)	ق	لهويّ						عربيٌّ كحّ وقحّ .
		ت	أسناني لثويّ						عصيكا (الرّضي : يجوز أن يكون وضع الضّمير المنصوب مقام المرفوع) .
٨	ع (حلقيّ)	ء	حنجريّ						تمنعنه تميم : (أعَنَّ تَرَسَّمْتَ ...)
٩	ء (حنجريّ)	ع	حلقيّ						عُباب بحرٍ ﴿ أُباب بحرٍ .
١٠	ي (غاريّ)	ج	غاريّ			–	+	+لثين	شجرة وشجيرة ﴿ شيره وشييرة .
١١	م (شفويّ)	ل	لثويّ					+ غنة	(لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصيام في السفر .)
		ن	لثويّ						البنان ﴿ البنام / طامه الله على الخير أي طانه .
		ب	شفويّ			–	+	+ غنة	بنات بخر ﴿ بنات مخر / رتباً ﴿ راتماً / كثب وكثم
١٢	ن (لثويّ)	ل	لثويّ					+غنة	لعلّ ﴿ لعنّ .
١٣	ت (أسنانيّ لثويّ)	س	أسنانيّ لثويّ			+	–	– صفير	طسوس ﴿ طسوت / النّاس ﴿ النّات / أكياس ﴿ أكيات
		ب	شفويّ	–	+				ذ عالب ﴿ ذعالبت .
		ص	(أسنانيّ لثويّ)			+	–	– صفير – إطباق	لصّ ﴿ لصت ، وجمعوه على لصوت .
		ط	(أسنانيّ لثويّ)					– إطباق	فسطاط ﴿ فستاط .

	حرف البدل ومخارجه	الحرف المبدل منه	مخرج المبدل منه	الصفات المكتسبة (+) التنازل عنها (−) الجهر	الهمس	الشدة	الرخاوة	الصفة الفضلة	الملاحظات
١٤	هـ (حنجري)	ء	حنجريّ			−	+		أنرت الثّوب ﴿ هنرت الثوب ، وهرجست الدابة أي: أرحتها، وهردت أي: أردتُ ، إيّاك ﴿ هيّاك، وطبيءٌ تقلب إنْ الشّرطيّة إلى هِنْ ، وحكى قطرب: هزيدٌ منطلقٌ ؟ وقال : فقلن هذا الّذي، أي: أذا وأيا ﴿ هيا (للنّداء) .
١٥	ل (لثوي)	ض	بين أضراسيّ لثويّ					استطالة وإطباق	في : أضطجع ﴿ الطجع .
		ن	لثويّ					− غنة	أصيلان ﴿ أصيلال
١٦	ط أسنانيّ- لثويّ	ت	أسنانيّ لثويّ					+إطباق	فحصت ﴿ فحصط ، فندتميم (المماثلة) .
١٧	د أسنانيّ لثوي	ت	أسنانيّ- لثويّ	+	−				فزتُ ﴿ فزد ، (المماثلة) .
١٨	ج (غاريّ)	ي	(غاريّ) المشدّدة والخفيفة			+	−	− لين	الأيّل ﴿ الأجّل
						+	−	− لين	أمسجتْ وأمسجا ﴿ أمسيت وأمسيا .
١٩	ز أسنانيّ- لثويّ	س	أسنانيّ لثويّ	+	−				السّراط ﴿ الزّراط .
		ص	أسنانيّ لثويّ	+	−			− إطباق	الصّراط ﴿ الزّراط ، فصدي ﴿ فزدي، (قول حاتم). صقر ﴿ زقر (كلبية) .

− ملاحظات حول جدول حالات الإبدال في اللهجات :

١ − جرى الحفاظ على صفات : الجهر ، والهمس ، والشدّة ، والرّخاوة ؛ إذ جاء التّنازل عنها بنسبة واطئة، وهي على التّوالي (٥٪ ، ١٧٪ ، ٢٠٪) من مجموع حالات الإبدال البالغ (١٩) حالة .

وبالجملة فإنّ هذا يجعل لهذه الصّفات أثراً مهماً في التّمايز عند الأداء

٢ـ جرى تنازل عن الصّفات ٱلفضيلة (أي : ٱلتّأفيف ، وٱلتّكرير ، وٱلإطباق ، وٱلصّفير ، وٱلاستطالة ، وٱللين وٱلغنّة) بنسبة ٥٠٪ ويدو أنّ ٱلتّقارب ٱلمخرجيّ بين ٱلصّوتين عاملاً فعّالاً في هذا ٱلتّنازل (ينظر الحالات : م > ب / س > ت / ص > ت / ط > ت / ض > ل / ن > ل / يّ > ج / يْ > ج / ص > ز).

٣ـ وجود حالات إبدال وبين ٱلصّوتين تباعد مخرجيّ كما في : (خ > ح / ت > ك / ل > م / ن > م / ب > ت) .

ويدو ان الصفة المشتركة قد قامت مقام ٱلمخرج في التّقارب فحدث ٱلإبدال ، وهذه ٱلنّقطة تؤكّد دور ٱلصّفات (كما في ٱلنّقطة الأولى) في عمليّة التّمايز .

٤ـ جاء معظم ٱلحالات مقترنة بٱلتّقارب ٱلمخرجيّ بين ٱلصّوتين (وهذا يؤدّي إلى ٱلقول بعدم ٱلإعتبار لِلنّقطة ٱلمخرجيّة والتّحويل على منطقة المخرج) .

ـ موازنة بين ملاحظات جدولي الادغام والابدال في اللهجات :

١ـ تبرز صفتا ٱلرّخاوة وٱلشّدّة عاملاً فعّالاً في ٱلتّمايز ٱلصّوتيّ عند ٱللهجات ، فلم يُتنازل عنهما في ٱلحالتين إلّا بمقدار طفيف ؛ أمّا صفتا ٱلجهر وٱلهمس فليستا بذلك ٱلإعتبار لورد التنازل عنهما بمقدار واضح في حالة الادغام .

٢ـ ٱلتّنازل واضح جداً عن ٱلصّفة ٱلفضيلة بـ (٥٠٪) لكل من ٱلحالتين ، ويدو أنّها ليست بتلك الهالة ٱلّتي وضعها ٱلرّضيّ فيها في عمليات ٱلإدغام .

٣ـ ٱلإعتبار بالمنطقة ٱلمخرجيّة ٱلضّيّقة في عمليّة ٱلتّمايز ٱلمخرجيّ دون ٱلإعتماد على ٱلنّقطة ٱلمخرجيّة ، لإشتراك ٱلحالتين بوجود ٱلتّقارب ٱلمخرجيّ بين ٱلصّوتين .

٩ـ ٱلسّلوك ٱلصّوتي لِلّهجات وٱلبنية ٱلصّرفيّة :

آـ تفريعات لهجة تميم : لقد أدّى تباين ٱلسّلوك ٱللّهجي تجاه ٱلحركات إلى تفضيل بعضها داخل ٱلبنية أو ماكان في ٱلظّواهر ٱلّتي سبق أن عرضتها في هذا ٱلمبحث ٱلتي تكاد تكون جميعها بياناً لموقف ٱللّهجات من ٱلحركات سوى ماكان من ظاهرة ٱلإبدال ، وبعض مظاهر ٱلمماثلة ، أقول : لقد أدّى هذا ٱلتّباين إلى تأثير خطير في ٱلدّرس ٱلصّرفيّ ٱلعربيّ ٱلذي يتتداخل فيه ٱلإعتبارات ٱللّهجيّة مع إعتبارات ٱللغة ٱلفصحى (على ماوضحته في الأسس ٱلفكرية ٱلتي هي ٱلمنهج ٱلنّظري للرّضيّ) ، وهو مالم يغب عن إدراك ٱلرّضيّ ، إذ جعل في بعض وقفاته ٱلإستطراديّة على كلام ٱبن ٱلحاجب مايمكن أن تكون فقرة خاصّة في تفريعات لهجة تميم .

ففي الأوزان الصرفيّة ،وعلى ماقدمه تبدو تميم أكثر تطرّفاً من قبائل العرب في نظامها الصّرفيّ ؛ ولكن الحقيقة أنّ هذه القبيلة ربّماتكون أكثر محافظة على الأصول التّاريخيّة للبنية اللغويّة بحسب ماقدّمه الدّكتور إبراهيم أنيس (وقد ذكرته في ظاهرة التّخفيف).و قال الرّضيّ (والكلام خاصّ بوزن الثّلاثيّ) : "وَجَمِيعُ هٰذِهِ التَّفْرِيعَاتِ فِي كَلَامِ بَنِي تَمِيمٍ ، وَأَمَّا أَهْلُ الْحِجَازِ فَلَا يُغَيِّرُونَ الْبِنَاءَ وَلَا يُفَرِّعُونَ "(١) ويمتلك الرّضيّ في هذا الجانب تصوّراً واضحاً عمّا عُرف في الدّرس الحديث بالتحول الدّاخليّ الّذي يبرز عند المستشرق الشّهير هنري فليش (في كتابة:العربيّة الفصحى) من خلال قوله بإمكانيّة ردّ بعض الأوزان إلى بعض،وبإمكانيّة وجود أصل يتولّد عنه ، إذ قال الرّضيّ:يعني يردّ بعضه إلى بعض أنّه قد يُقالُ فِي بَعْضِ الْكَلِمِ الَّتِي لَهَا وَزْنَانِ أَوْ أَكْثَرُ مِنَ الْأَوْزَانِ الْمَذْكُورَةِ قَبْلُ : إِنَّ أَصْلَ بَعْضِ أَوْزَانِهَا الْبَعْضُ الْآخَرُ كَمَا يُقَالُ فِي فَخْذٍ ـ بِسُكُونِ الْخَاءِ ـ إِنَّهُ فَرْعُ فَخِذٍ بِكَسْرِهَا "(٢) ،وأتي على فكرته في التّفريع بشيء من التّلخيص والبساطة،إذ إنّها لم تخلُصْ من تداخل شديد لكثرة استطراداته بذكر أوزان أخرى للأفعال والأسماء(٣) ،يذكر الرّضيّ أنّ فَعِلاً (الحلقيّ العين) فِعْلا كَانَ كَشَهِدَ أو اسْماً كَفَخِذٍ يَطّرد فيه ثلاثة تفريعات أطراداً لاينكسر،واثنان من هذه الفروع يشاركه فيهما ما ليس عينه حلقيّاً،وهي :

١ـ فِعِل (إتباع فائه لعينه) ويختصّ به الحلقيّ ،وقد يجيء منه من فَعَل بكسر فتح مابعد الحلقيّ إتباعاً لكسر الحلقيّ ،كما قيل في خِبَق على وزن هِجَفّ للطّويل : خِبِق ؛ وَأَمَّا أَهْلُ الْحِجَازِ ،فنظروا إلى أنّه حق حروف الحلق إمّا فتحها ،أو فتح ماقبلها .

٢ـ فَعْل (بفتح الفاء ،وسكون العين) نحو شَهْد في الفعل وفَخْذ في الاسم ، وهوأوّل اللغتين اللتين يشترك فيهما الحلقيّ وغيره ؛ وفي غير الحلقيّ جاء عَلْم في الفعل وكَبْد في الاسم .

---

(١) ش ش ١/ ٤٠.

(٢) ينظر في الآتي:ش ش ١/ ٤٠ـ ٤٧.

قال الرّضيّ : وانّما سكّنوا العين كراهة الانتقال من الأخفّ أي الفتح إلى الأثقل منه أي الكسر في البناء المبني على الخفّة :أي بناء الثّلاثيّ المجرد ،فسكّنو ه لأنّ السّكون أخفُّ من الفتح،ولمثل هذا قالوا في كَرُمَ الرَّجُلُ : كَرْمَ ،وفي عَضُد : عَضْد ،بالاسكان،وقولهم : لَيْسَ مِثل عَلِم في عَلِم . ش ش ١/٤٧

٣ـ فِعْل (بكسر الفاء، وسكون العين) ثاني اللغتين اللّتين يشترك بهما الحلقيّ مع غيره نحو شِهْد وفِخْذ في الحلقيّ وكِبْد وكِتْف في غيره ، ولم يُسمع في غير الحلقيّ في الفعل ، وحكي قطرب في المبنى للمفعول نحو : ضِرْب زيدٌ . كما قيل : قِيْل وبِيْع وردَّ ،وهو شاذ ،ونبّه الرّضيّ إلى أنّ الحلقيّ منه يمكن أنْ يكون فرع فِعِل المكسور الفاء والعين كما تقول في إبِل : إبْل ،أو يجوز حدوث قلب مكانيّ بين الحركة والحرف:أي نقل حركة العين إلى الفاء كراهة الانتقال من الأخفّ إلى الأثقل (أي : فَعِل ← فِعْل)،وكره حذف احدى الحركتين ، أي الكسرة ، والّذي من غير الحلقيّ لايكون إلّا على الوجه الثّاني،لأنّه لايجوز فيه فِعِل بالاتباع .

وقد ذكرتُ في التّخفيف إنّ الرّضيّ يذكر هذا التخفيف في غير الثّلاثيّ،وفي ما يتجاوز به إلى مستوى السّلسلة الصّوتيّة .

ويقول الرّضيّ في (فُعُل وفُعْل) ،ولقائل أنْ يقول : بل السّاكن العين في مثله فرع لضمومها كما هو كذلك في عُنْق اتّفاقا .

وبدا لي أنّ مايقترحه الرّضيّ في الخفة والثّقل هو المسؤول عن مجانفة الصّواب في القول بفرعية المخفف،وخاصّةً أنّ الرّضيّ يردّ به على من ذهب إلى الاعتماد في فرعيتها على قلّة الاستعمال فعُسْر ويُسْر بالسّكون أشهر لغتها بالضّمّ ، فيكون الضّمّ فرع السّكون .

قال الرّضيّ : " فالجواب إنّ ثِقَلَ الضّمّتين أكثر من الثّقل الحاصل في سائر الأصول المذكورة ،فلا يمتنع أن يحمل تضاعف الثّقل في بعض الكلمات على قلّة استعمالها مع كونها أصلاً " (١) ويعزّز ذلك بقوله : " وإذا كان الاستثقال في الأصل يؤدّي إلى ترك استعمالها أصلاً كما في نحو يَقْوُلُ ويَبْيِعُ،وغير ذلك ممّا لايحصى فما الظّنّ من أدائه إلى قلّة استعمالها) (١) .

ويختم الرّضيّ وقفته هذه بأنّ (فَعْل) إذا كان حلقيّاً ساكناً جاز تحريكه بالفتح نحو الشَّعْر والشَّعَر،والبَحْر والبَحَر،ومثلها لغتان عند البصريين في بعض الكلمات

---

(١) ش ش ١/٤٦ .

وليست إحداهما فرعاً عن الأخرى؛ أمّا الكوفيون فجعلوا المفتوح العين فرعاً لساكنها ورأوا هذا قياساً في كل فَعْل شأنه ماذكرنا ،وذلك لمناسبة حرف الحلق للفتح ، وتبرز هذه المناسبة عند الرّضي فيماكان من التّقارب المخرجيّ بين الفتحة، وحرف الحلق لكون الفتحة بعض الألف (الحلقيّ) ؛" فَيَكُونُ قَبْلَهَا جُزْءٌ مِنْ حَرْفٍ مِنْ حَيِّزِهَا "(١)

وفيماتوالت فيه فتحتان رأى الرّضيّ أنّ الحذف لايتمّ لخفة الفتحة ،وماجاء فيه ذلك فشاذٌّ ضرورة نحو قوله :

وَمَاكُلُّ مُبْتَاعٍ وَلَوْ سَلَفَ صَفْقُهُ بِرَاجِعِ مَاقَدْ فَاتَهُ بِرَدَادِ (٢)

ب ـ تَخْفِيفُ الْهَمْزَة

من أبرز المظاهر اللهجيّة ، ماكان من التّخلّص من نطق الهمزة عند الحجازيّين، ولاسيّما قريش،وقد لخّص الرّضيّ سبب هذا السّلوك بقوله : " اعْلَمْ أَنَّ الْهَمْزَةَ لَمَّا كَانَتْ أَدْخَلَ الْحُرُوفِ فِي الْحَلْقِ،وَلَهَا نَبْرَةٌ كَرِيهَةٌ تَجْرِي مَجْرَى التَّهَوُّعِ، ثَقُلَتْ بِذَلِكَ عَلَى اللِّسَانِ الْمُتَلَفِّظِ بِهَا ،فَخَفَّفَهَا قَوْمٌ،وَهُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَلَاسِيَّمَا قُرَيْشٌ،وَرُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ(رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ)على ما سبق في مصطلح النَّبْر ... وَحَقَّقَهَا غَيْرُهُمْ،وَالتَّحْقِيقُ هُوَ الْأَصْلُ كَسَائِرِ الْحُرُوفِ وَالتَّخْفِيفُ اسْتِحْسَانٌ "(٣) .

و مايقوله الرّضيّ في أصالة التّحقيق مقبولٌ من النّاحيّة التّاريخيّة،إذ ثبت أنّ الهمز أصلٌ في السّاميّة ، وقد مالت اللهجات السّامية إلى التّخلّص منه أيضاً ويبدو أنّ الحجازيّة تبعتها في هذا الصّوت الاحتباسيّ الحنجريّ (٤) ، الّذي تبنّته الفصحى ، فجُعِل لأجل هذا نمطاً صوابيّاً يروم النّاطقون العرب إبرازه ممّا أدّى إلى بروز تغييرات تدخل في ضمن مايُعرف بالتّفصح أو مراعاة المستوى الصّوابي وسآتي على ذكرها قريباً بعون الله . والمتأمّل هذا الصّوت ووظيفته الفينولوجيّة في العربيّة يجد أنّه في أغلب مواقعه وهي سوى (همزة القطع) لايشكل فونيماً مميّزاً للمعاني،فنحن لانجدُ فرقاً في المعنى بين

---

(١) ش ش ١/ ١١٩ .

(٢) ش ش ١/ ٤٤،والبيت في شرح شواهد الشافية ،وهو الجزء الرّابع من ش ش ص(١٨٤) وعنه أنّ ابن عصفور ذكره في الضّرائر.

(٣) ش ش ٣/ ٣١ـ ٣٢ .

(٤) ينظر:اللهجات العربية الغربية : ٢٣٦، في اللهجات العربية :٧٧، القراءات القرآنية : ١٨

كلمتي: قائل، وقايل، وحمراء، وحمرى، وأمّا ماكان من نحو سال من سأل وسال لسيل ألماء فيبدو لي أنّ سياق ألكلام هو ألمسؤول عن ألمعنى ألمراد لا ألهمز .

فالحقيقة أنّ ألهمز كما يبدو ما هو إلّا سلوك نبّري في ألكلمة ألعربيّة عبّر عنه بهذا ألرّمز، وإنّ التّسمية ألقديمة للهمز (أبي الشّبر) موفقة جدّاً في ألوقوف على حقيقة هذا ألصّوت .

ويمكنني من هذا أن أفسّر تبادله مع أصوات ألمدّ بأنّ ألحجازيّة تميل إلى نوع آخر من ألنّبر وهو ألنّبر ألطّوليّ أيام غيرها ألتي مالت إلى ألنّبر ألتّوتريّ ألذي يمثّله نطق ألهمزة (١) ، وفي كلتا ألحالتين فإنّ ألعربيّة تتمتّع بثبات عام في نظامها ألنّبريّ ألخاص بألبنية ألّلغوية (ألمفردة) ، وقد وقفتُ على نضج فكرة ألرّضيّ ههنا في (مصطلح ألنّبر ، فينظر) وتُعرَف هذه ألعمليّة بين ألفونيمات في ألدّرس ألحديث بألفونيم ألرّئيسيّ وألتّحييد (Archiphoneme and Neutralization) (٢) ولهذا فوظيفة ألهمزة ههنا تتحدّد بأنّها وظيفة تباينيّة وليست تمييزية ويعرف (أندريه مارتينيه) ألوظيفة التباينيّة فيقول "إنّ ألصّوت ألّلغويّ يساعد في أن يُسهّل على ألسّامع عمليّة تحليل ألكلام إلى وحدات متعاقبة" (٣) ، وهذه ألوظيفة "غالباً ماتكون منوطة بالنّبر في أكثر ألّلغات المعروفة" (٤) ، وذلك ينسجم مع كون الهمز أحد أنواع ألنّبر (كما قدّمتُ) ، وقد "كانت ألعرب تنبر باشكال مختلفة منها ألهمز والمدّ" (٥) وكانت النتيجة في عمليات الاستبدال ههنا بروز بغيٍّ مخففة إلى جانب ألبنى ألمهموزة، وممّا يمكن أن يكون تاكيداً للوظيفة التّباينيّة الخاصّة بالهمزة ماذكره ألرّضي تخلّصاً من ألتقاء السّاكنين وأولهما لين (وعنده الدرس الحديث هو القطع الرابع ص م ص) على نحو مايحكى عن أبي أيوب ألسّجستانيّ في الشواذ (وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) (الفاتحة ـ ٧) ودأيّة وشأبّة، وما قرأ به عمرو بن عبيد: (عَنْ ذَنْبِهِ أَنْسٌ وَلَا جَآنٌّ) (الرّحمٰن ـ ٣٩) بألهمز وألتّحريك، وقد قُرِئ أيضاً: (يُضَاهِئُونَ) (ألتّوبة ـ ٣٠) و (بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ) (ص ـ ٣٣) كما مرّ في ألاتّجاه ألثّالث من ألفصل ألثّاني ، ومنه ماأورده عن ألحجاج في قوله :

---

(١) ينظر : القراءات القرآنية ١٠٥ و ١٠٩ .

(٢) الفونيم ألرّئيسيّ : أسرة من ألفونيمات أبطل ألتّمييز بينها في مواقع معينة ، فقد اخلت وصارت فونيماً واحداً، ومثال ذلك إبطال التّمييز بين الطّاء والتّاء في صيغة الافتعال ، والتاء والهاء في نحو: قادمة والتّحييد مصطلح هذه العملية اى: ابطال التمييز بين اكثر من فونيم في مواقع معينة (ينظر : دراسة الصّوت: ٢١٧، وايضاً: أسس علم اللغة : ٨٩ حاشية (١) ، مدرسة براغ اللغوية : ٨٨ـ٩٢.

(٣) عن نظرة في الاعلال : ١٧٩ (٤) نفسه : ١٧٩ـ١٨٠. (٥) نفسه : ١٨٠

يادارَ سَلْمَى يا سَلَمِي ثُمَّ سَلَمِي فخندفٌ هامةُ هذا العَالَمِ ،

وأيضاً ،ماحكاه اللحيانيّ في بأز (١) وأنشد أبو علي (٢) :

لَحَبَّ المُؤْقِدِينَ إليَّ مُوسَى

وفي اعتقاد الرّضيّ أنّ هذا " لَيسَ فِرَاراً مِنِ التِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ ،ولكنْ لِتَقَارُبِ مَخْرَجَيِ الألِفِ والهَمْزَةِ " (٣)

ويمكن أن أفسر هذا في ضوء المبالغة أو الإسراف في المدنيّة على ما يقول فندريس (٤) أو التّفصح مراعاة للمستوى الصّوابيّ ،وقد أبرزت نماذج القراءات مبالغة في ذلك فقد ذكر الرّضيّ عن قُرّاء أهل الكوفة وابنِ عامر تحقيق الهمزتين والمعروف أنّه " لَيْسَ مِنْ كَلَامِ العَرَبِ أنْ تَلْتَقِيَ هَمْزَتَانِ فَتُحَقَّقَا " (٥) ،وكذلك نقل الرّضي : " إنّ أهْلَ التَّحْقِيقِ يَعْنِي غَيْرَ أَهْلِ الحِجَازِ يُخَفِّفُونَ إحْدَاهُمَا ،ويَسْتَثْقِلُونَ التَّحْقِيقَ فِيهِمَا ،كَمَا يَسْتَثْقِلُ أَهْلُ الحِجَازِ تَحْقِيقَ الوَاحِدَةِ " (٦) ،ومما نقل الرّضيّ في السّلوك تجاه الهمز ماكان من قراءة أبي عمرو الّذي يحذف أولى المتفقتين (في الحركة) نحو : (أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ) (الاحقاف ـ ٣٢) و (جَاءَ أَشْرَاطُهَا) (محمد ـ ١٨) و (مِنَ السَّمَاءِ إِنْ) (الشعراء ـ ١٨٧) ،ونقل عن ورش وقنبل في ثانية المتفقتين قلبَها حرفَ مدٍّ صريحاً أي :ألفاً إنْ انفتحت الأولى وواواً إن انضمّت وياء إن انكسرت (٧).

وجاءَ قراءة الكسائيّ بتخفيف ما أوله همزة الاستفهام من (رأى) المتصل به التّاء والنّون أي : أرأيتَ ← أريتَ (٨) .

ومنه أيضاً ،قال الرّضيّ : " وَقَدْ تُسَهَّلُ الهَمْزَةُ مِنَ اللاءِ بين الهَمْزَةِ والياءِ ،لِكَوْنِهَا مَكْسُورَةً عَلَى مَا هُوَ قِرَاءَةُ وَرْشٍ (اللَائِ يَئِسْنَ) (الطّلاق ـ ٤) ،وقد يُقال : اللايْ بِيَاءٍ سَاكِنَةٍ بَعْدَ الألِفِ مِنْ غَيْرِ هَمْزَةٍ كَقِرَاءَةِ أَبِي عَمْرٍو والبَزِّيِّ " (٩) وقرأ الأخفش : (والّلائي يأسن من نسائكم) (البقرة ٢٢٦) (١٠) وما أدخل في باب المبالغة في التّحقيق ماشتهر من تميم من (العنعنة) ، قال الرّضي " وتَكُونُ العَيْنُ بَدَلاً مِنَ الهَمْزَةِ فِي أَنْ وَهِيَ عَنْعَنَةُ تَمِيمٍ ،قال :

---

(١) ش ش ٣/ ٢٠٥ .
(٢) ش ش ٣/ ٣٠٦ .
(٣) ش ش ٣/ ٢٠٤ ،وينظر: ٢/ ٢٥٠ .
(٤) اللغة : ٨٠ .
(٥) الكتاب : ٣/ ٥٤٩ .
(٦) ش ش ٣/ ٦٥ .
(٧) ش ش ٣/ ٦٥ ـ ٦٦ ،وينظر: السبعة: ١٣٨ـ١٤٠.
(٨) ش ش ٣/ ٣٧ .وينظر: السبعة: ٢٥٧.
(٩) ش ك ٢/ ٤١٠ ،وينظر: ٢/ ٤٠٤ .
(١٠) ش ك ٢/ ٤١٠ .

أَعَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرْقَاءَ مَنْزِلَةً مَاءُ ٱلصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومُ (١)

ويبدو أنّ ابنَ دريد قد أدرك هذه المبالغة من تميم ، حيثُ قال : " لِأَنَّ بَنِي تَمِيمٍ يُحَقِّقُونَ ٱلْهَمْزَةَ فَيَجْعَلُونَهَا عَيْناً فَيَقُولُونَ: هَذَا خِبَاعُنَا ؛ يُرِيدُونَ : خِبَاؤُنَا "(٢) (٣) وذكر لسيتمان ، إنّ هذه الظّاهرة عريقة في السّاميات وقد سمع من أهل الحبشة . ويقيم الرّضيّ هذه الظّاهرة من خلال العلاقة المخرجيّة يقول : " ... ومَنْ قال : إنّه بَدَلٌ مِنْهُ ، فَلِقُرْبِ مَخْرَجَيْهِما ، وَلِذَا أُبْدِلَ مِنْهُ الْعَيْنُ ، نَحْوَ قَوْلِهِ : أَعَنْ تَرَسَّمْتَ (٤) " وهي في نظره لاتعدو أنْ تكون موطناً من المواطن الّتي تتجلّى فيها ظاهرة الإبدال الّتي يسعى الرّضيّ فيها دائماً لإبراز العلاقة المخرجيّة بين الصّوتين .

٩ ـ السّلوك الصّوتيّ للهجات والوقف :

على ماقدّمتُ في المبحث الأوّل من هذا الفصل فإنّ الوقف يعدّ من المواقع الّتي تبرز فيها التّغييرات الصّوتيّة وقد ذكرت أسباب ذلك عند الرّضيّ والمحدثين ، ومظاهر الوقف هي :

أ ـ الإسْكَانُ : لُغة ربيعة ، إذْ يجيزون إجراءَ المنصوب المنون مجرى المرفوع والمجرور ، قال الشّاعر :

وَآخِذٌ كُلَّ حَيٍّ عُصُمِ (٥)

ب ـ الهمز : قال الرّضيّ : " يَعْنِي قَلْبَ أَلِفِ الْمَقْصُورِ وَقَلْبَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَلِفَاتِ ، سَوَاءٌ كَانَتْ لِلتَّأْنِيثِ ، أَوْ لِلْإِلْحَاقِ كَمِعْزًى ، أَوْ لِغَيْرِهَا نَحْوَ يَضْرِبُهَا ، فَإِنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ يَقْلِبُهَا هَمْزَةً "(٦) ، ويعلّله بقوله : " وَذَلِكَ لِأَنَّ مَخْرَجَ الْأَلِفِ مُتَّسِعٌ ، وَفِيهِ الْمَدُّ الْبَالِغُ ، فَإِذَا وَقَفْتَ عَلَيْهِ خَلَّيْتَ سَبِيلَهُ وَلَمْ تَضُمَّهُ بِشَفَةٍ وَلَا لِسَانٍ وَلَا حَلْقٍ كَضَمِّ غَيْرِهِ ، فَيَهْوِي الصَّوْتُ إِذَا وَجَدَ مُتَّسَعاً حَتَّى يَنْقَطِعَ آخِرُهُ فِي مَوْضِعِ الْهَمْزَةِ ، وَإِذَا تَفَطَّنْتَ وَجَدْتَ ذَلِكَ كَذَلِكَ "(٦) ، أعتقدُ أنّ مايعبّر عنه الرّضيّ هنا يمكن أنْ يكون تعبيراً آخر عن رأي هنري فليش في وجود توتر في نهاية الصّوائت يمتاز في العربيّة بقوّته الّتي أشرتُ إليها فيما سبق .

جـ ـ قلب الألف ياءً : قال الرّضيّ : " اعْلَمْ أَنَّ فَزَارَةَ وَنَاساً مِنْ قَيْسٍ يَقْلِبُونَ كُلَّ أَلِفٍ فِي الْآخِرِ يَاءً سَوَاءٌ كَانَتْ لِلتَّأْنِيثِ كَحُبْلَى أَوْلَا كَمُثَنَّى ، كَذَا قَالَ النُّحَاةُ وَخَصَّ الْمُصَنِّفُ بِأَلِفِ حُبْلَى ، وَلَيْسَ بِوَجْهٍ "(٧) .

---

(١) ش ش ٣/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ، البيت لذي الرّمة ، مجالس ثعلب : ١/ ٨١ ، الخصائص : ٢/ ١١ .
(٢) عن لهجة تميم : ٨٨ .
(٣) نفسه : ٨٩ .
(٤) ش ش ٣/ ٢٠٨ .
(٥) ش ش ٢/ ٢٧٢ و ٢٧٩ .
(٦) ش ش ٢/ ٢٨٥ .
(٧) ش ش ٢/ ٢٨٦ ، وينظر : ٣/ ٢١٠ .

وقال الرضي (معلّلاً) : " وإنّما قلبوها ياءً لأنّ الألف خفيّة .. فيُبدَلُونها إذ نْ في الوقْفِ حَرْفاً مِنْ جِنْسِها أظْهَرَ مِنْها ، وهي الياءُ " (١) .

والّذي جرى في الحقيقة أنّه يتمّ عند ابتداء النّطق بالألف رفع مقدّمة اللسان إلى موضع إصدار شبه الصّائت (يْ) فكأنّ صوْتَ الألِفِ قد جُزِّءَ إلى جُزئين (الفتحة + يْ) وطيء تفضّلها وقفاً ووصلاً (١) .

د ـ قلب الألف واواً : وذلك كما يفيد الرّضيّ ، لأنّ الواو أبين من الياء " والقَصْدُ البَيَانُ ، والياءُ أكثرُ مِنَ الواوِ في لُغَةِ طَيِّءٍ في مِثْلِهِ .. والّذينَ يَقْلِبُونَها واواً يَدْعُونَ الواوَ في الوَصْلِ بِحَالِها في الوَقْفِ " (١) .

ويعلّل الرّضيّ الحالتين السّابقتين فيقول : " وإنّما قُلِبَتْ واواً أو ياءً لِتَشابُهِ الثّلاثةِ في المَدِّ وسَعَةِ المَخْرَجِ " (١) .

والّذي أرى أنّ الّذي يحدث هنا مثل ما حدث مع الياء غير أنّ الّذي يرتفع في هذه الحالة هو مؤخرة اللسان إلى نقطة إصدار الواو الاحتكاكيّة (وْ) .

هـ ـ إشباع الحركة الإعرابيّة : وهو عمل أزد السّراة فيما زعم عنهم أبو الخطاب ، إذ قال الرّضيّ : " زعم أبو الخطاب أنّ أزدَ السّراةِ يَقُولُونَ : هذا زَيْدُو ، ومَرَرْتُ بِزَيْدِي ، كما يُقال : رأيْتُ زَيْدَا بحرْصاً على بَيانِ الإعْرابِ " (٢) .

وعند الرّضيّ إنّ هذا الوقف يتمّ عن طريق القلب ، أيْ قلب التّنوين واواً أو ياءً أو الفاء ، وليس كما قدّمته في العنوان ؛ ويبدو لي أنّ أزد السّراة كانت تميل إلى المقاطع المفتوحة عند الوقف فتعمل على إسقاط التّنوين وتشبع الحركة السّابقة .

و ـ الترنم : وهو الوقف الخاص بترنيم على قوافي الشّعر إذ تأتي بصوت النّون عند القوافي المطلقة ، فتعمل على غلقها وعُرف اصطلاحاً بـ (تنوين التّرنّم) ، قال الرّضيّ : " وهُوَ في الحَقِيقَةِ لِتَرْكِ التَّرَنُّمِ ، لأنّه يُؤْتَى بِهِ إشْعَاراً بِتَرْكِ التَّرَنُّمِ عِنْدَ بَنِي تَمِيمٍ في رَوِيٍّ مُطْلَقٍ ، وذلِكَ أنّ الألِفَ والواوَ والياءَ في القَوافي تَصْلُحُ لِلتَّرَنُّمِ بِمَا فِيهَا مِنَ المَدِّ ، فَيُبْدَلُ مِنْها التَّنْوِينُ لِمُنَاسَبَتِهِ إيّاها ، إذا قُصِدَ الإشْعَارُ بِتَرْكِ التَّرَنُّمِ لِخُلُوِّ التَّنْوِينِ مِنَ المَدِّ ، وهذا التَّنْوِينُ يَلْحَقُ الفِعْلَ أيْضاً والمُعَرَّفَ بِاللاّمِ قالَ :

أقِلِّي اللَّوْمَ عاذِلَ والعِتَابَنْ وقُولِي إنْ أصَبْتُ لقَدْ أصَابَنْ " (٣)

---

(١) ش ش ٢/ ٢٨٦ (٢) ش ش ٢/ ٢٨٠ (٣) ش ك ١/ ١٤ .

يقول في ذلك الجندي : " ويظهر والله أعلم ـ أنّ لهجة تميم كانت النغمة الموسيقيّة عندها هابطة، وكانت القافية تميل، إذ ذاك إلى الغناء في أصواتها وحركاتها، وذلك يلائم الطّابع العام للهجتها، حيث كانت تميل إلى السّرعة في نطقها، وتتلمس أيسر السّبل إلى ذلك ؛ ولهذا تركت الترنم والإنشاد "(١).

وقد بدا لي من خلال وقوفي على آراء النّحاة ههنا أنّ التّسمية الإصطلاحيّة كانت تعني الترنم لاتركه فمثلاً ، قال ابن يعيش فيه : " يُسْتَعْمَلُ فِي الشِّعْرِ وَالْقَوَافِي لِلتَّطْرِيبِ مُعَاقِبًا بِمَافِيهِ مِنَ الْغُنَّةِ لِحُرُوفِ الْمَدِّ وَاللِّينِ ، وَقَدْ كَانُوا يَسْتَلِذُّونَ الْغُنَّةَ فِي كَلَامِهِمْ "(٢) ، على أنّ الرأي الأصوب هنا، ماقاله الرّضيّ لأنهم لوكانوا كما يقول ابن يعيش، لأشربوا أصوات المدّ صوت الغُنّة لا أن يسقطوا بعضها ويُؤتوا بالنّون كاملة، لأنّ هذا الإشراب يوفّر لهم الترجيع والإمتداد في الصّوت .

ز ـ إبدال الياء جيماً : قال الرّضيّ : "وَيُبْدَلُ نَاسٌ مِنْ تَمِيمٍ مَكَانَ الْيَاءِ فِي الْوَقْفِ شَدِيدَةً كَانَتِ الْيَاءُ أَوْ خَفِيفَةً لِخَفَاءِ الْيَاءِ كَمَا ذَكَرْنَا ، وَقُرْبُ الْجِيمِ مِنْهَا فِي الْمَخْرَجِ مَعَ كَوْنِهِ أَظْهَرَ مِنَ الْيَاءِ، فَيَقُولُ : تَمِيمِيٌّ وَعَلَجٌ فِي تميميٍّ وَعَلَيٍّ قوله :

خَالِي عُوَيْفٌ وَأَبُو عَلِجّ ... الْمُطْعِمَانِ اللَّحْمَ بِالْعَشِجّ
وَبِالْغَدَاةِ فِلَقَ الْبُرْنِجّ ... يُقْلَعُ بِالسُّودِ وبالصِّيصِجّ

مِنْ بَابِ إِجْرَاءِ الْوَصْلِ مَجْرَى الْوَقْفِ عِنْدَ النُّحَاةِ ... وأنشد أبو زيد في الياء الخفيفة :

يَارَبِّ إِنْ كُنْتَ قَبِلْتَ حِجَّجْ ... فَلَا يَزَالُ شَاحِجٌ يَأْتِيكَ بِجّ
أَقْمَرُ نَهَّاتٌ يُنَزِّي وَفْرَتِجّ "(٣)

والعلاقة المخرجيّة بينما تسمح بمثل هذا التّطور، وتؤكد سلوك نصف المدّ سلوك الصّوامت(٤) .

ح ـ الإبقاء على تاء التّأنيث : وذلك في نحو رحمة، وروي الرّضيّ أنّه جرى معاملة الأسميّة كما تُعامل السّاكنة، وقال : " زَعَمَ أَبُو الْخَطَّابِ ، أَنَّ نَاسًا مِنَ الْعَرَبِ يَقِفُونَ عَلَى الْإِسْمِيَّةِ أَيْضًا بِالتَّاءِ قَالَ:

---

(١) اللهجات العربيّة في التّراث: ٢/ ٥٢٣ . (٢) شرح المفصل: ٩/ ٣٣ .
(٣) ش ش ٢/ ٢٨٧، والابيات الاولى في شرح الشّواهد (ش ش ٤/ ٢١٢ ـ ٢١٣) وهو من شواهد سيبويه والأبيات الثانية فيه أيضا : ٤/ ٢١٦، وينظر: التصريف الملوكي : ٥٠ .
(٤) ينظر : جرول الخارج : ٧٢ (الخرج السادس) ، دراسة الصّوت : ٢٧١ .

اَللّٰهُ نَجَّاكَ بِكَفَّيْ مُسْلِمَـــتْ مِنْ بَعْدِ مَا وَبَعْدِ مَا وَبَعْدِ مَتْ
صَارَتْ نُفُوسُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْغُلْصُمَتْ وَكَادَتِ الْحُرَّةُ أَنْ تُدْعَى أَمَتْ (١)

ط ـ هاءُ السَّكت: تقف بها على هذي بالْهاء، أي هذه، وعند قَيْسٍ والْحجاز وقفاً ووصلاً، ويقول الرَّضيّ : " إنَّ بَعْضَهُمْ يَقْلِبُ تَاءَ الْجَمْعِ أَيْضاً فِي الْوَقْفِ هَاءً لِكَوْنِهَا مُفِيدَةً مَعْنَى التَّأْنِيثِ كَإِفَادَتِهَا مَعْنَى الْجَمْعِ فَيُشَبِّهُ بِتَاءِ الْمُفْرَدِ حَكَى قُطْرُبٌ: كَيْفَ الْبَنُونَ وَالْبَنَاهْ " (٢) .

وجاء أيضاً الْوقف بالْهاء على أَنَا، إذْ نَقَل الرَّضيّ قول حاتم الطَّائيّ : هٰكَذَا فَزِدِنِي أَنَهْ (٣) ، وكَذَا فِي (مَهْ (٤)) فكأنّه حذف الْألف وألْحق هاء السَّكت (٥)

ى ـ الْوقف على مهموز الْآخِر : سبق أنْ وقفتُ على تقديم الرَّضيّ بأنَّ نقل الْحركة هو الْمظهر الْبارز هنا، وإنْ أدّى إلى الْوزنين الْمرفوضين، وهنا يذكر أنَّ من بني تميم من يتفادى هذين الْوزنين بأنْ يتبع الْعين الْفاء " فَيَقُولُ : هٰذَا الْبُطُوْ، وَرَأَيْتُ الْبُطُوْ وَمَرَرْتُ بِالْبُطُوْ ، وهٰذا السُّرِدُوْ وَمَرَرْتُ بِالسُّرِدِيْ وَرَأَيْتُ السُّرِدُوْ " (٦) .

واختار آخرون قلب الْهمزة إلى حرف علة مجانس لِلْحركة الْإعرابيّة، فإنَّهم بها أكثر حرصاً على بيان الْإعراب ، حيثُ قالَ الرَّضيّ : " فَيَقُولُ: هٰذَا الْوَثْوْ وَالْبُطْوْ والرَّدْوْ، وَمَرَرْتُ بِالْوَثْيْ وَالْبُطْيْ وَالرَّدْيْ ... " (٦) .

أمَّا النَّصب فلا يقول إلّا رأيتُ الْوَفَا وَالْبُطَا وَالرِّدَا، لأنَّه لا يمكن تسكين ماقبل الالف، ومنه أيضاً : قال الرَّضيّ : " بَعْضُ الْعَرَبِ ـ أَعْنِي مِنْ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ـ يُؤَدِّونَ الْمَفْتُوحَ مَاقَبْلَهَا بِحَرَكَةٍ نفسها حرصاً عَلَى الْبَيَانِ لِعَدِّهِمْ الْفَتْحَةَ كَالْعَدَمِ ، فَلَا تَقُومُ بِالْبَيَانِ حَقَّ الْقِيَامِ ، فَيَقُولُونَ : هٰذَا الْكَلَوْ ، ورَأَيْتُ الْكَلَاءْ وَمَرَرْتُ بِالْكَلَيْ " (٧) ، ولم يفعلوا ذلك مع الضّمّة والْكسرة .

ونفهم ممّا سبق أنّ هناك سلوكاً عند مجموعة من اللّهجات المحققة للتّخلص من الْهمز .

---

(١) ش ش ٢/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ، ينظر الكتاب : ٤/ ١٦٧ .
(٢) ش ش ٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩١ .
(٣) ش ش ٢/ ٢٩٤ ، وينظر: ٣/ ٢٣٢ .
(٤) ش ش ٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .
(٥) ش ش ٢/ ٢٩٦ و ٢٩٧ .
(٦) ش ش ٢/ ٣١٢ .
(٧) ش ش ٢/ ٣١٣ .

أمّا الوقف هناعند أهل التخفيف فيقول الرضيّ عنه : " فأمّا أهلُ التخفيفِ ،فإنّهم يُخفّفونها كما هو حقُّ التخفيفِ ،فإن كان ماقبلها ساكناً نقلوا حركتها إلى ماقبلها، وحذفوها ثمّ حذفوا الحركة للوقفِ ،نحو الخبْ والردْ والبسْط فيجيء فيه الإسكانُ والإشمامُ والتضعيفُ وفي المنصوبِ المنوّنِ يقلبُ التنوينِ ألفاً لاغيرُ ، نحو:رأيتُ بُطا وردا وخِبا ،وإن كان ماقبلها متحرّكاً دُبّرتْ بحركةِ ماقبلها ،فالخطا ألفٌ في الأحوالِ الثلاثةِ ،وكذا واو وأهنيء ياءٌ فلا يكون فيها إلاّ الإسكانُ دونَ الرومِ والإشمامِ"(١) .

ك ـ سين الكسكسة : قال الرضيّ : " وأمّا سينُ الكسكسةِ وهي في لغةِ بكرِ بنِ وائل فهي السينُ التي تلحقُ بكافِ المؤنّثِ في الوقفِ "(٢) ،حتّى لاتلتبس بالتي للمذكر عند الوقف،وقال الرضيّ :"وجعلوا تركَ السينِ في الوقفِ علامةَ المذكّرِ(٢) ، وذلك نحوقولهم : أكرمتُكْسْ".

وزعم الفراءُ(٣) أنّ الكسكسةَ عبارةٌ عن إلحاق كافِ المذكر سيناً في لغة ربيعة وحضر، ويشير هذا إلى إختلاط الأمرعند المتقدمين ، بل إنّ منهم من رأى أنّها إبدال الكاف سينا لإلحاقها بها(٤) .

ل ـ شين الكشكشة : قال الرضيّ : " وقومٌ من العربِ يُلحقون كافَ المؤنّثِ الشينَ في الوقفِ فإذا وصلوا حذفوا،وغرضُهم مامرّ في إلحاقِ السينِ ،وناسٌ كثيرٌ من تميمٍ وأسدٍ يجعلون مكانَ كافِ المؤنّثِ في الوقفِ شيناً ،قال :

تضحكُ مني أن رأتني أحترشْ ولو حرشتُ للكشفَ عن حرشْ

وذلك للغرضِ المذكورِ،وإنّما أبدلوها شيناً،لأنّها مهموسةٌ مثلُها ، ولم يجعلوا مكانها مهموسةً من الحلقِ،لأنّها ليستْ حلقيّةً ،وقد يُجرى الوصلُ مجرى الوقفِ فيُقال : إنّشِ ذاهبةٌ،قال:

فعينا شِ عينا هاوجيدِ شِ جيدُها سوى أنّ عظمَ الساقِ منشِ دقيقُ(٥)

والظاهرتان السابقتان أرى أنّه يمكن أن تُفسّرا وفق قانون الأصوات الحنكيّة حيث تميل أصوات أقصى الحنك ،كالكاف والجيم الخالية من التمطيش ، كالجيم القاهرية مثلاً تميلُ بمخرجها إلى نظائرها من الأصوات الأماميّة حين تليها في النطق حركةٌ أماميّة كالكسرة(٦) .

---

(١) ش ش ٢/ ٢١٣ ـ ٢١٥ .
(٢) ش ك ٢/ ٤٠٩ .
(٣) الاقتراح : ١٢٨ ،وفصول في فقه العربية: ١٤١ . (٥) ش ك ٢/ ٤٠٩ وينظرش ش ٣/ ٢٠٠
(٤) ينظر الصاحبي : ٥٤ . (٦) التطور اللغوي : ٩٢ (يُنظر) .

نتائج الفصل الثالث :

١ . لقد أبرز البحثان: الأول، والثاني إدراكاً واضحاً للرضي في دراسة الظاهرة اللغوية بالاعتماد على مبدأ تداخل العلوم بقوله : بجزئية علم الصرف من علم النحو، وماوقفت عليه في العلاقات المتبادلة بين النظام الصوتي مع النظام النحوي من خلال مايأتي :-

آ . الحركات دالة المعنى الوظيفي (وسماه الطاري) ؛ حيث يجعل الرضي من هذه الأصوات مميزات نحوية بتوفر شرط التركيب (التركيب الجملي)، وقد أبرزت دوره في تطوير هذه النظرية لتعم أقسام الكلام، حيث جعل : الرفع علم العمدة والنصب علم الفضلة والجر علم الإضافة، وبينت في إدراجه لعلامات الرفع تحت هذا المصطلح، وكذلك في بقية المصطلحات اعتماده الأساس الصوتي الخاص بالتهيئة المخرجية . وقد وصل إلى استخدام الألفاظ الخاصة بالمميز النحوي الحديث زيادة على وضوح الفكرة .

ب . التنوين علامة التمام النحوي : حيث وظف التنوين في التركيب للعمل مميزاً نحوياً، وجاء اصطلاحه على عمله بـ " علامة تمام الاسم " متقدماً جداً في الدرس النحوي العربي، ثم عرض دلالة التنوين في بعدين: عام هو ماسبق، وخاص وهو في الدلالات الجزئية، وأبرز هنا قوله بإمكانية دلالة تنوين واحد على شيئين، كالتمكن والتنكير .

جـ . حالة الوقف : حيث أبرز هنا الصراع بين النظامين، ويبدو أن التفوق للنظام الصوتي، لشيوع الوقف بالإسكان وإسقاط التنوين، وذلك لاعتقاده أن هذه الحالة تسبب بتر الآخر، من خلال كلامه بأن الوقف موضع الاستراحة ، وقد أبرزت أن الرضي قد اتخذ لهرأياً في قوة حالات الوقف (الروم والإشمام والتضعيف) يعتمد فيه على مدى بيان الحركة مخالفاً ما اعتمده سيبويه في ذلك .

٢ . أما في العلاقات المتبادلة مع النظام الصرفي فمن خلال مايأتي :

آ . الحركات والبنى الصرفية : وأبرزت فيه اهم مقولاته هنا، وهي في دور الحركات في " التنبيه على البنية " و " دلالة على أصل البنية " " والحركات إذا تغيرت تغير الوزن " .

ب . التغيير الصرفي - الصوتي : حيث بينت أن مفهومه للتصريف ينطبق على القول بالتغيير الصوفي الصوتي، وما وصفه هنا ماهو إلا قواعد صوتية تأخذ بعين الاعتبار متطلبات البنية الصرفية ؛ وأيضاً يتم تعطيل القانون الصرفي بسبب متطلبات القانون الصوتي، كما في جمع القلة والكثرة للاجوف .

٣ ـ تبدو تميم ومن جاورها أكثر ميلاً لِلْإنسجام الصّوتيّ وهو المستفاد من ظواهر الإمالة وكسر حرف الضارعة والتّخفيف والمماثلة بانواعها والاتباع .
وخالفتها ٱلْحجاز في أكثر ذلك وإن مالت في بعض ما ٱتّصفت به إلى هذا ٱلْإنسجام كما في ألف التّفخيم .

٤ ـ لهجة تميم في أستعمالها صيغ ٱلتّخفيف كانت أكثر محافظة من غيرها على ٱلْأُصول ٱلتّاريخيّة خاصة في ٱلْاسم ٱلثّلاثيّ ٱلْمجرد .
ويبدو أنّ ميلها إلى ٱلْانسجام الصّوتيّ أدّى إلى ٱلتّطور في صيغ ٱلْمضارع بإبدال ٱلصّائت ٱلّذي يتبع حرف ٱلْضارعة كسرةً .

٥ ـ بدت لهجة ٱلْحجازيين أكثر محافظة على كيان ٱلْأصوات داخل البنية ولهذا ٱختارت مخالفة ٱلأصل التاريخيّ في ساكن ٱلْعين ٱلثّلاثيّ ، وقد ٱبتعدت عن ظواهر كثيرة في ٱلْمماثلة وٱلْإتباع .

٦ ـ معظم ماتمّ رصده في هذا ٱلفصل من ظواهر يسجّل فيها موقف تجاه ٱلصّوائت: (ٱلْميل نحو ٱلْكسر وٱلضّمّ وٱلْفتح ، وٱلتّخفيف وٱلْإشباع وٱلْوقف وٱلتّرنّم)
وقد وردت ظواهر سجّل فيها موقف تجاه الصّوامت (الادغام والمماثلة التناسبية والجزئية ، وٱلإبدال) .

٧ ـ لم يقدّم الرّضيّ ٱختلافات في ٱلنّطق ٱللهجي للأصوات ٱللغويّة مفردة وماورد لا يعدو أنْ يكون من تفاعلات ٱلْأصوات في التّجاور والتّركيب (ٱلتّعامليّة) .

٨ ـ يبدو لي أن الميل نحو الكسر متمثّل في البيئة المقبّدية لورود أمثلة ٱلظّاهرة مقترنة بتميم وهي قبيلة مترامية الاطراف ومنهم بنو عديّ وناسٍ من بكر بن وائل ، وهم مجاورون لتميم في نجد ، وسُليمٍ وهم من قيسٍ وهي قبيلة بادية تسكن مجاورة لتميم عالية نجد بالقرب من خيبر ، وكعبٍ من بطون عامر من صعصعة من هوازن ، وكانت تسكن العروض مجاورة لتميم ، وغنيّ نسبت مرة إلى قيس وأخرى الى أسد وكلتا القبيلتين بادية متجاورة مع تميم (١)

---

(١) ينظر : ٱللهجات ٱلعربية : ٢٣ ـ ٢٤ ، ٢٠٧٥ ، ٱللهجات ٱلعربيّة ٱلغربيّة : ٥

وهذه النتيجة تتفق مع ماخرج به د.وغالب المطلبي (١) ويبرز التكلف الذى وقع فيه د. إبراهيم أنيس (٢) ود. أحمد علم الدين الجندي (٣) عندما رأيا انصاف اللهجة البدوية بالميل نحو الضم وحاولا أن يسررا هذا الميل منطقيا،وهو مايخرج عن طبيعة الدرس اللغوى الحديث .

٩ ـ تمثل الميل نحو الضم في البيئة المتحضرة لارتباطه بأهل الحجاز ؛ إذ ورد أن قبائل عدنان كلها وحالة إلاقريش بمكة ونجد،وتأثرت بها هذيل لأنها حجازية لكنها متبدية

١٠ ـ يعد قارئ البصرة (أبوعمرو بن العلاء) ممثلاً جيداً لقبيلته تميم التي سكنت البصرة و " هي امتداد كما قلنا للبيئة اللغوية التي كانت تسود شرق الجزيرة،وعامة نجد" (٤) بإيثاره الكسر .

١١ـ انعكس ميل الحجاز إلى الضم في الضمير على حمزة القارئ الكوفي الأسدي على الرغم من أن الكوفة امتداد لبيئة تميم،وأرجح أنه أخذ ذلك بالتقلين،إذ ورد أنه "قرأ على جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام" (٥)

١٢ ـ مع ميل الحجاز نحو الضم فإنها أيضاً مالت نحو الفتح،ويبرز هذا بسلوكها الخاص أمام الامالة،وتشاركها في ذلك طيئ،وهي قبيلة متبدية من الممكن تأثرها بالحجاز؛ لأنها تسكن على طريق عمال مكة (٦) ،ويؤكد هذا ما أثر عن القراء المذكورين من ميل نحو الفتح الذين من الممكن أن يكونوا متأثرين بها عن طريق أساتذتهم أومعايشتهم للبيئة نفسها : فسعيد بن جبير أخذ من ابن عباس (٧) ،والكسائي أخذ عن حمزة (٨) ،وعليه اعتماده وقد وقفت في الفقرة (١١) على تلقي حمزة عن الامام جعفر الصادق (٩) ،ويحيى بن وثاب عرض على السلمي الذي عرض على علي (عليه السلام)

---

(١) ينظر لهجة تميم : ١٢٩، ١٤٢ .
(٢) ينظر في اللهجات : ٩١
(٣) اللهجات العربية في التراث: ١/٢ ٢٥ .
(٤) الظواهر اللغوية في قراءة الحسن : ١١٥ .
(٥) كشف المشكل : ٢/ ٢٩٥،وينظر : السبعة : ٧٢ـ ٧٣ ،طبقات القراء : ١/ ١٩٦.
(٦) اللهجات العربية :٢٧
(٧) طبقات القراء : ١/ ٣٠٥ .
(٨) نفسه : ١/ ٥٣٥ .
(٩) نفسه : ٢/ ٣٨٠ .

وماكان من أمر الحسن البصري فقير بعيد تأثره بالحجاز لولادته في المدينة[١] وقد آثر هذا السلوك احدى بطون تميم وهم بالحرث بن كعب[٢] وأيضاً بنو عامر وهم مجاورون للحجاز[٣].

١٣ـ أبرز البحث في هذا الفصل بشكل واضح الأثر الذي سببه التداخل اللهجي في الدرس اللغوي، فقد أوجد ثراءً كبيراً لأطراف الدراسة الصوتية وخاصة ما كان في مظاهر التعاملية من الإدغام والإبدال وغيرها، وفي الجانب الصرفي، فقد سبب هذا التداخل تكاثراً يكاد يعسر على الباحثين تحديد أثره، بما في ذلك تعدد البنى اللغوية في أثناء الاستعمال، وفي حالة الاستقلال، وعند الوقف.

١٤. انما سبق من النتائج (رقم ٣ ـ ١٤) وهي الخاصة بالمبحث الثالث يمكن ان تعمم على مجمل التراث العربي في هذا المجال، لأن ماذكره الرضي من مادة هنا ماهو إلا ثمرة تراكم معرفي سابق عبر مئات السنين.

---

(١) الظواهر اللغوية في قراءة الحسن : ١٣.

(٢) اللهجات العربية : ١٨٥.

(٣) اللهجات العربية الغربية : ٥.

++++++++++
++++++++++

نتائج الدّراسة : بعد هذه الرّفقة مع رضيّ الدّين الأستراباذي بكتابيه شرح شافية ابن الحاجب وشرح كافيته ، خرجتُ الدّراسة بالآتي من النّتائج ؛ وتعدّ خاتمات الفصول المتقدّمة روافد لبعضها ، أمّا بعضها الآخر ، فلم يُذكر سابقاً ، وهي تحت عنوان نتائج موازنة بين ملاحظات جداول الإدغام والإبدال للعربيّة المشتركة ولهجاتها ؛ والنتائج هي :

١ـ جاء مفهوم الرّضيّ من مصطلحي " أحوال الأبنية " و " لاأبنية ولا أحوال أبنية " إدراكا واعياً للنّاحيّة الصّوتيّة لمحتوياتهما ، إذ أدخل في الاول : الإبتداء ، والإمالة ، وتخفيف الهمزة ، والإعلال ، والإبدال والحذف ، والإدغام في الكلمة الواحدة ، والتقاء السّاكنين فيها أيضاً ، وأدخل في الثّاني : بقيّة الإدغام وهو الذي بين كلمتين ، وكذا التقاء السّاكنين والوقف .

وقد زدتُ إلى الموضوعات السّابقة موضوعاً أدخله الرّضيّ في الأبنية وهو " القلب المكانيّ " ، وبذلك تكوّن مواضع الدّراسة الصّوتيّة عشرة موضوعات من موضوعات شرح الشّافية .

٢ـ أفرز الوقوف على منهج الرّضيّ تعسفاً في فهم الظّاهرة الصّوتيّة عنده ، لِما وجدتُ من اختلاط الأنماط اللّغويّة الفنية للغة العربيّة المشتركة ، وكذلك اختلاط الأنماط اللّغويّة الأدائيّة (اللّهجات) بالعربيّة المشتركة .

٣ـ افرز البحث ثروة اصطلاحيّة صوتيّة ضخمة بما لم تتيسّر لكثير من الباحثين ، وقد سبقتها بالمنهج الذي ينبغي التّمسك به عند رصد المصطلحات ، والوقوف على مفهوماتها الدّقيقة ، وجاءت الثّروة الاصطلاحية بـ (١١٣) مصطلحاً صوتياً ؛ ابرز بعضها أصالةً للرّضيّ في وضع الإصطلاحات بما وضعه لفظاً ومفهوماً أو أحدهما وهي : المستفلة (مخرجيّاً) / آلة الحروف / آلة الصّوت / آلة الضّمّة / الأعلى / الأنزل / أوضاع آلة الحروف / فضيلة الحرف / شبه النّفخ / أحوال الأبنية لا لاأبنية ولاأحوال أبنية / الإعتدال / بين بين المشهور / بين بين البعيد / التّبيين / تنافر / الحذف نسياً / الحرف المناسب (المتوسط) / نسق واحد / الصّوت السّاذج / جوهر (الحرف) / مادة الحرف / مركب الصّوت / النّبر / التّفشي والرّخاوة / مفهومه للجهر والهمس / مفهومه الإدغام / الخفاء / السلاسة / الازدواج / وما قدمته لمفهومي الساكن والمتحرك .

٤ـ أعتقد أنّ بحث ٱلْمصطلحات أفرز تكاملاً في ٱلنّظرة إلى ٱلتّراث ٱلاصطلاحيّ بما وضعته في ٱلحواشي ممّا أطلقت عليه "حاشية ٱلْمصطلح" حيثُ جرى فيها توثيق ٱلْمصطلحات ٱلْمستعملة سابقاً أو تعضيد أصالة ٱلرّضيّ بذكرها عن ٱلْمتأخرين عنه .

٥ـ ٱلْوقوف على ٱلْمفهوم من دلالة ٱلْجهر وٱلْهمس عند ٱلرّضي، وقد تبين أنّ ذلك يتم من خلال إطارين : الأوّل : مفهوم ٱلآليّة ٱلْمخرجية فٱلْجهر يعني ٱستمرار خروج مركب ٱلصّوت (ٱلنّفس)، أو ما يعني (بالموجة ٱلْأساس عند ٱلْمعاصرين)، مع حبس ٱلصّوت أو عدمه أي مع ٱلشّدّة أو ٱلرّخاوة .

ٱلثّاني : مفهوم وظيفيّ : (ٱلْجهر = الهمس + صفة قوة) ، وفي صفة ٱلْقوّة تدخل ٱعتبارات صوتيّة غير خالصة وٱعتبارات ٱجتماعيّة، والهمس خلافه في كلّ ذلك

٦ـ ٱعتماداً على ما تقدّم من مفهومات ٱلْجهر وٱلْهمس، رأيتُ رأياً جديداً يفسّر وجود أصوات (ٱلْهمزة وٱلْقاف وٱلطّاء) في ٱلْمجهورات عند ٱلرّضيّ وبقيّة ٱلْأقدمين، ويدخل هنا ٱعتبار ٱلشّدّة صفة ٱلْقوة ٱلْمشار إليها سابقاً، كذلك ٱمتلاك ٱلْهمزة للنبرة أمام صوت ٱلْهاء، وقرب ٱلْقاف من ٱلْأصوات ٱلّتي تحتاج إلى ٱعتماد قويّ (أعني : الحلقيّة) ، وٱلْهاء وٱلْقاف من ٱلْمستعليات، وهي صفة قوّة أمام ٱلْمنخفضة، وكذا ٱلإطباق أمام ٱلْإنفتاح .

٧ـ تمّ معالجة ظاهرة ٱلْقلب ٱلْمكانيّ معالجةً تأخذ بعين ٱلْاعتبار دور ٱلْأصوات ٱلّتي تكوّن ٱلْكلمة ٱلْمقلوبة وٱلْمتطلبات ٱلْمقطعيّة للكلمة ٱلْمفردة بعدّهِ ظاهرةً (صوتيّةً ـ صرفيّةً) وذلك ممّا أُهمل عند ٱلدّارسين إلاّ شيئاً مفرداً عن برجشتراسر، وتبعه هنري فليش في ٱلْقلب ٱلْخاص، (افتعل) .

٨ـ أكّد ٱلْبحث أنّ ٱلْمقاطع ٱلْعربيّة عند ٱلْأداء هي ٱلْأربعة ٱلْأولى ٱلْمشار إليها من مكانها مع كراهيّة واضحة للمقطع ٱلرّابع (ص م ص)، وأبرز ٱلْبحث أنّ ٱلرّضيّ عامل صوت ٱلْمدّ ٱلْمركّب (فتحة + وْ أو فتحة + يْ) معاملة ٱلْأصوات ٱلْمدّيّة كما في (خُوَيْصَّة ودويبّة)، ويعني هذا قبولاً بالمقطع الخامس (ص ح ص ح ص) .

٩ـ لقد أبرزت ٱلدّراسة تفاعلاً واضحاً بين ٱلنّظام ٱلصّوتيّ مع ٱلنّظامين ٱلنّحوي وٱلصّرفيّ، ووقفتْ على تصوّرات ٱلرّضيّ منها، وبيّنتْ عمق إدراكه من خلال رصد ٱلْمواضع ٱلْبارزة لهذا ٱلتّفاعل فمع ٱلنّحو وقفتْ على (١) ٱلْحركات دالة ٱلْمعنى الوظيفي (وقد سمّاه ٱلطّاري) ، حيثُ ذهب إلى ٱلْقول : بأنّ ٱلرّفع علم ٱلْعمدة

والنّصب علم الفضلة والجر علم الإضافة، واعتماده على الأساس الصّوتيّ (التّهيئة المخرجيّة) في جمع: الضّم والواو والألف تحت مصطلح الرّفع، وكذا في النّصب، والجر.

٢) التّنوين علامة التّمام النّحويّ (٣) حالة الوقف.

ومع الصّرف وقفتْ على (١) الحركات والبنى الصّرفيّة، حيث أبرز إشاراته إلى الدّور الواضح للحركات في التّنبيه على البنية (٢) التّغيير الصّرفيّ ـ الصّوتيّ، أُبرز فيه أنّ مفهومه للتّصريف ينسجم مع المفهوم من هذا التّغيير، وجرى في أغلب تلك المواضع الخضوع لمتطلّبات النّظام الصّوتيّ دون النّظامين الآخرين

١٠. بيّن البحث الأخير أنّ بني تميم أكثر ميلاً للإنسجام الصّوتيّ من غيرهم، من خلال ماقمتُ به من رصد الظّواهر الصّوتيّة اللّهجيّة الّتي وردتْ عند الرّضيّ، وهي كسر حرف المضارعة والتّخفيف والمماثلة بأنواعها والإتباع.

١١ـ أكثر ماتمّ في الظّواهر اللّهجية يُسجّل موقفاً تجاه الصّوائت للقبائل العربيّة، كما في: الميل نحو الكسر ـ والضّمّ، والفتح، والتّخفيف، والإتباع، والوقف، والترنم، والإدغام بين المتماثلين.

١٢ـ تأكيد ميل تميم إلى الكسر والحجاز إلى الضّمّ مع ربط الأوّل منهما بالبيئة البدّية، والثّاني بالبيئة الحضريّة.

١٣ـ مثّلت القراءات القرآنيّة الّتي قدّمها الرّضيّ انعكاساً للهجات العربيّة على قراءة القرآن الكريم.

١٤ـ أبرزتْ الدّراسة في الفصل الثّالث منها خاصة الأثر الّذي سبّبه التّداخل اللّهجيّ في الدّرس اللّغويّ العربيّ القديم، فقد أوجد ثراءً لأطراف الدّراسة الصّوتيّة، ومنها مظاهر التّعامليّة خاصة، وفي الجانب الصّرفيّ سبّب هذا التّداخل تكاثراً يكاد يعسر تحديده من قبل الدّارسين، وإنّ أبرز آثاره تعدّد البنى اللّغويّة للمفردة الواحدة بين الإستعمال والإفراد، وعند الوقف (وينظر هنا الفقرة الخاصة بتفريعات لهجة تميم).

ـ نتائج موازنة بين جداول حالتيْ الإبدال والإدغام للعربيّة المشتركة وللهجاتها (عُلّلتْ هذه الموازنة للوقوف على اعتبارات العربيّة في نظام التّمايز بين الأصوات) وتبيّن لي ما يأتي:

١ـ تدخل صفتا الرّخاوة والشّدّة عاملاً فعّالاً في هذا النّظام باتفاق الحالات المتقدّمة للحفاظ عليهما بشكل عامّ.

٢ـ وبشكل عامّ لاتشكّل صفة الجهر عاملاً في عملية التّمايز إلّا كان من اتفاق الحالات على التّنازل عنها.

٣ـ إنّ الدّور الّذي أعطاه الرّضيّ للصّفات الفضيلة لاتؤيّده نتيجة الموازنة، إذ إنّ اللهجات اتفقت على التّنازل عنها في الإبدال والادغام بنسبة (٥٠٪)، أمّا الفُصحى فكانت (٣٥٪) في الإبدال مع التّنازل عنها الواضح في حالات الإدغام الخارجة عن الجدول: (إدغام حرف في مجموعة، وإدغام المجموعات).

٤ـ يعتمد نظام التّمايز على منطقة مخرجيّة ضيقة لانقطة مخرجيّة محدّدة، لما كان من حالات التّنازل الواضحة جداً الكثيرة في الحالتين السّابقتين في اللهجات، ودونه قليلاً في العربيّة المشتركة.

ثبت المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم .
٢ـ أبو الحسن بن كيسان وآراؤه في النّحو واللغة / علي مزهر الياسريّ / دار الرشيد / دار الحرية / بغداد ١٩٧٩ .
٣ـ أثر القراءات في الأصوات والنّحو العربيّ (أبو عمرو بن العلاء) / د . عبد الصبور شاهين / مكتبة الخانجي / مط المدنيّ / القاهرة / ط ١ / ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧م .
٤ـ اثر القطع المرفوض في بنية الكلمة العربية / د . يحيى القاسم / أبحاث اليرموك (سلسلة الاداب واللغويات) جامعة اليرموك / مج ١١ ع ٢ / ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣م .
٥ـ إحياء النّحو / ابراهيم مصطفى / لجنة التاليف والترجمة والنشر / ١٩٥٩ م .
٦ـ إدغام القرّاء / أبو سعيد السّيرافيّ (٣٦٨ هـ) / تح : د . محمّد علي عبد الكريم الرّديني / دار اسامة / مط الرّازيّ / ط ٢ / ١٩٨٥م .
٧ـ أداة التّعريف في العربية ـ دراسة تأريخيّة / د . غالب فاضل المطلبيّ / المورد / مج ١٩ ع ٢ / ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م .
٨ـ ارتشاف الضّرب من لسان العرب / أبو حيان الأندلسيّ (٧٤٥هـ) / تح : د . مصطفى أحمد النمّاس / مط النّسر الذّهبيّ / ط ١ / ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .
٩ـ أسباب حدوث الحروف (رسالة) / أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (٣٧٠ـ٤٢٨هـ) / تح : محمّد حسّان الطّيان ويحيى مير علم / مجمع اللغة العربيّة بدمشق / دار الفكر / دمشق / ط ١ / ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .
١٠ـ أسس علم اللغة / ماريوباي / ت : د . احمد مختار عمر / منشورات جامعة طرابلس / كلية التربية / ١٩٧٣م .
١١ـ أصوات العربيّة بين القدماء والمحدثين / د . حسام سعيد النّعيميّ / مط دار الكتب للطباعة والنشر / جامعة الموصل / ١٩٨٩ م .
١٢ـ الأصوات اللغويّة / د . إبراهيم أنيس / مكتبة الانجلو مصريّة / مط دار وهبان / ط ٥ / ١٩٧٩ م .
١٣ـ أضواء على الدّراسات اللغويّة المعاصرة / د . نايف خرما / عالم المعرفة رقم (٩) / المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب / الكويت / مط . اليقظة / ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .
١٤ـ إعجاز القرآن / أبو بكر محمد بن الطّيّب الباقلانيّ (٤٠٣هـ) / تح : السيد أحمد صقر / دار المعارف / مصر . / ١٩٧٧ .
١٥ـ إعراب القرآن المنسوب إلى الزّجاج / تح : إبراهيم الأبياريّ / دار الكتاب اللبنانيّ / بيروت / ط ٣ / ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .
١٦ـ الأقتراح في علم أصول النّحو (كتاب) / جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ (ت ٩١١هـ) / تح : د . أحمد سليم الحمصيّ و د . محمّد أحمد القاسم / جروس برس / ط ١ / ١٩٨٨م .
١٧ـ الأقيسة الفعليّة المهجورة / د . إسماعيل أحمد عمايرة / دار الملاحي / مط الفيصل / ط ١ / ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م
١٨ـ الألسنيّة العربيّة / ريمون طحّان / المكتبة الجامعية / دار الكتاب اللبنانيّ / بيروت ط ٢ / ١٩٨١ .

١٩ـ الألسنيّة (علم اللغة الحديث) ،قراءات تمهيديّة / د ٠ ميشال زكريـــا / المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع/ط ١/ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م٠
٢٠ـ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويين البصريين والكوفيين /كمال الدين عبد الرحمن أبو البركات الأنباري(٥٧٧ هـ) / ومعه كتاب الانتصاف من الانصاف /محمّد محي الدّين عبد الحميد / المكتبة العصرية /بيروت / ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ٠
٢١ـ الإيضاح في شرح المفصّل / أبو عمرو عثمان بن عمرين الحاجب (٦٤٦هـ) / تـح: د ٠ موسى بناي العليلي/مط العاني / بغداد / ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٣م٠
٢٢ـ أين موقع اللغة في الدّماغ / كاترين بيلي / ت : د ٠ مجيد الماشطة / آفـاق عربيّة / س ٩ ، ع ٨ / ١٩٨٤م ٠
٢٣ـ بحث في فونولوجيا اللغة العربيّة / أوديت بتي / الفكر العربيّ / معهد الإنمـاء القوميّ /لبنان/ س ١ ، ع ٨ ـ ٩ / ١٩٧٩ ٠
٢٤ـ البنية المقطعيّة العربيّة / عبد العزيز حليلي / المجلة العربية للدراسات اللغوية/ معهد الخرطوم الدّوليّ للغة العربيّة / مج ٤ ، ع ٢/ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م٠
٢٥ـ البيان والتّبيين / أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(٢٥٥هـ) / تح : عبـــد السّلام هارون/ دار الجيل ودار الفكر / بيروت ٠
٢٦ـ تاريخ اللغة منذ نشأتها حتّى القرن العشرين/ جورج مونين/ت : بدر الدّيـن القاسم / مط جامعة دمشق / ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢م٠
٢٧ـ تاريخ اللغات السّاميّة /أ ٠ ولفنسون/دار القلم/ ط١/ ١٩٨٠ م٠
٢٨ـ التّبصرة في القراءات السّبع (كتاب) / مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ) / تح : د ٠ محمد غوث الندويّ / الدّار السّلفيّة / الهند / ط ٢/ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م٠
٢٩ـ التّحديد في الإتقان والتّجويد / أبوعمروعثمان بن سعيد الدّانيّ الأندلسـيّ (٤٤٤هـ)/ تح : د ٠ غانم قدّوري الحمد / دار الأنبار/ مط الخلود/ ط ١ / ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٨م ٠
٣٠ـ تحليل الظّواهر الصّوتيّة في قراءة يعقوب الحضرميّ / د ٠ سمير شريف ستيتيّـة / مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ / س ١٨ ع ٤٧/ ١٤١٤ـ ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م
٣١ـ التّشكيل الصّوتيّ في اللغة العربيّة (فونولوجيا العربيّة) / د ٠ سلمان حسـن العانيّ / ت : ياسر الملاح /النادي الثّقافيّ السّعوديّ/ مط دار البلاد/ ط ١ / ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ٠
٣٢ـ التّصريف العربيّ من خلال علم أصوات الحديث / الطّيب البكوش / تونس/ ط١/ ١٩٧٣م٠
٣٣ـ التّصريف الملوكيّ/ ابن جنّي (٣٩٢هـ) / تح : محمد سعيد النعسان / تع : أحمد الخانيّ ومحي الدّين الجراح / دار المعارف / ط ٢/ ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م ٠
٣٤ـ التّطور اللغوي ، مظاهره وعلله وقوانينه/ د ٠ رمضان عبد التّواب / الخانجـيّ بالقاهرة والرفاعيّ بالرياض/ مط المدني/ ط ١/ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣م٠
٣٥ـ التّطور اللغوي التاريخيّ/ د ٠ إبراهيم السّامرائيّ/ دار الأندلس/ بيروت / ط ٢/ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ٠
٣٦ـ التّطور النّحوي للغة العربيّة / برجشتراسر / ت : د ٠ رمضان عبد التّواب/الخانجيّ بالقاهرة والرفاعيّ بالرّياض/ مط المجد / ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م٠
٣٧ـ التّعريفات / أبو الحسن علي المعروف بالسّيد الشّريف الجرجانيّ (ت ٨١٦هـ)/تح: د ٠ أحمد مطلوب / دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة / بغداد /١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦ م٠

٣٨ـ التّفسير الكبير / الفخرالرازي / مؤسسة المطبوعات العربيّة / مط البهية / مصر .
٣٩ـ التّفكيرالصّوتيّ عند الخليل / د . خلمي خليل / دار المعرفة الجامعيّة / الفنيّة للطباعةوالنشر / ط ١/ ١٩٨٨ م .
٤٠ـ التّفكير الصّوتيّ عند العرب من خلال سرّصناعة الإعراب / هنري فليش / مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة / ج ٢٣/ ١٩٦٨ .
٤١ـ التّفكير اللساني في الحضارة العربيّة/ د . عبد السّلام المسدّي /الدّار العربيّة للكتاب/ ليبيا / مط الشّركة التّونسيّة / تونس / ١٩٨١م .
٤٢ـ التّمهيد في علم التّجويد / شمس الدّين أبو الخير محمّد بن الجزري(٨٣٣ هـ) / تح : د . غانم قدّوري الحمد / مؤسسة الرسالة / بيروت/ ط ١/ ١٤٠٦هـ ـ١٩٨٦م .
٤٣ـ تهذيب اللغة / أبو منصور محمّد بن أحمد الأزهريّ(٣٧٠هـ) / تح : عبد السّلام هارون/ الدّار العربيّة للتّأليف والتّرجمة/ دار القوميّة العربيّة / ١٣٨٤هـ ـ١٩٦٤م .
٤٤ـ جمهرة اللغة (كتاب) / أبن دريد (٣٢١ هـ) / تح : د . رمزى منيربعلبكي/ دار العلم للملايين / ط ١ / ١٩٨٧م .
٤٥ـ جهود الكوفيين في علم الأصوات / د . خليل إبراهيم العطيّة/ مجلة كليّة الآداب / جامعة البصرة/ س ٢٤ ع ٢٢/ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .
٤٦ـ حاشيةأبن جماعة شرح الجاربردي / أبن جماعة / ضمن مجموعة الشّافية من علميّ الصّرف والخط/ عالم الكتب/ بيروت .
٤٧ـ حاشية الصّبان على شرح الأشمونيّ على ألفيّة أبن مالك ومعه شرح الشّواهد للعينيّ / محمد بن علي الصّبان/ دار إحياء الكتب العربيّة / مط عيسى البابي الحلبي .
٤٨ـ الحركات بين المعايير والخصائص النّطقيّة / د . سمير ستيتية / البلقاء للبحوث والدّراسات / جامعة عمان الأهلية / مج ٢ ع١/ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٩٢م .
٤٩ـ الحروف (كتاب)/أحمد بن محمّد بن المظفر بن المختار الرّازيّ (ت بعد ٦٢٨هـ) / ضمن : ثلاثة كتب في الحروف / تح :د . رضان عبد التّواب / مكتبة الخانجيّ بالقاهرة ودار الرّفاعي بالرّياض / ط١/ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .
٥٠ـ الحروف والأصوات العربيّة في مباحث القدماء والمحدثين / د . هادي نهر/ مجلة آداب المستنصريّة / ع ٨/ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .
٥١ـ الحقائق التّأريخيّة وأثرها في النّظم اللغويّة والوصفيّة / د . عبد الرّحمن أيوب/ المجلة العربيّة للعلوم الإنسانيّة / جامعة الكويت / ع ١١ مج ٣/ ١٩٨٣م .
٥٢ـ الخصائص / أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٥ هـ)/تح : محمد علي النّجار/ دار الهدى /بيروت .
٥٣ـ خواطر وآراء صرفيّة / د . فوزي الشّايب / مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ/ ع٤٧ س ١٨ / ١٤١٤ـ ١٤١٥) هـ ـ ١٩٩٤م .
٥٤ـ الدّراسات الصّوتيّة عند علماء التّجويد / د . غانم قدّوري الحمد / وزارة الأوقاف (العراق) / مط الخلود /ط١/ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
٥٥ـ الدّراسات الصّوتيّة عند علماء العربيّة / عبد الحميد الهادي الاصيمعيّ / كليّة الدّعوة الإسلاميّة/ليبيا/ط ١/ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٩٢ م .
٥٦ـ دراسات في علم أصوات العربيّة / د . داود عبدة/ مؤسسة الصّباح / الكويت .
٥٧ـ دراسات في علم اللغة /القسم الأوّل/ د . كمال محمّد بشر/ دارالمعارف/ مصر/ ١٩٦٩م .

٥٨ـ الدّراسات اللغويّة عند العرب إلى نهاية القرن الثّالث / د ٠ محمّد حسين آل ياسين / دار مكتبة الحياة / ١٩٧٩
٥٩ـ الدّراسات اللهجيّة والصّوتيّة عند ابن جنّيّ / د ٠ جسام سعيد النّعيميّ / وزارة الثقافة والفنون / دار الرشيد / بغداد / ١٩٨٠ ٠
٦٠ـ دراسة الصّوت اللغويّ / د ٠ أحمد مختار عمر / عالم الكتب / مطابع سجل العرب / مصر / ط ١ / ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م ٠
٦١ـ دقائق التّصريف / القاسم بن محمّد بن سعيد المؤدّب (القرن الرّابع الهجريّ) / تح : د٠ أحمد ناجي القيسي و د ٠ حاتم الضّامن ود ٠ حسين تورال / مط المجمع العلميّ العراقيّ / ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ٠
٦٢ـ دروس في الألسنيّة العامّة / فردينان دي سوسير / ت: صالح القرماديّ ومحمّد شاوش ومحمّد عجينة / الدّار العربيّة للكتاب / ليبيا / ١٩٨٥ م ٠
٦٣ـ دروس في علم أصوات العربيّة / جان كانتينو / ت : صالح القرماديّ / مركز الدّراسات والبحوث / الجامعة التّونسيّة / ١٩٦٦ م ٠
٦٤ـ الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة / أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) / تح : د ٠ أحمد حسن فرحات / دار عمّار / الأردن / ط ٢ / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤ م ٠
٦٥ـ السّبعة في القراءات (كتاب) / ابن مجاهد (٣٢٤ هـ) / تح : د ٠ شوقي ضيف / دار المعارف / مصر / ط ٢ / ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ٠
٦٦ـ سر صناعة الإعراب / أبو الفتح بن جنّيّ / تح : مصطفى السّقا ومحمّد الزّفزاف ود ٠ إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين / إدارة إحياء التّراث القديم / مط البابيّ الحلبيّ وأولاده / مصر / ط ١ (الجزء الأول) / ١٣٧٤ هـ ١٩٥٤ م ٠
٦٧ـ سرّ الفصاحة / أبو محمّد عبد الله الحلبيّ الخفاجيّ (٤٦٦ هـ) / تح : عبد المتعال الصعيديّ / مط محمد علي صبيح وأولاده / مصر / ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩م ٠
٦٨ـ الشّافية / ابن الحاجب (٦٤٦ هـ) / ضمن كتاب : أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب / د ٠ عصام نور الدّين / المؤسسة الجامعية للدّراسات والنشر والتوزيع / بيروت / ط ١ / ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م ٠
٦٩ـ شرح الأشمونيّ على ألفية ابن مالك / علي بن محمد الأشمونيّ / ينظر (حاشية الصّبان) ٠
٧٠ـ شرح الحدود النّحويّة / عبد اللّطيف بن أحمد الفاكهيّ (٩٧٢هـ) / تح : د ٠ زكي فهمي الآلوسيّ / مط ٠ دار الكتب / جامعة الموصل / ١٩٨٨م ٠
٧١ـ شرح شافية ابن الحاجب / محمّد بن الحسن رضي الدّين الأستراباذي (٦٨٨هـ) / تح : محمّد نور الحسن ومحمّد الزّفزاف ومحمّد محي الدّين عبد الحميد / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م ٠
٧٢ـ شرح الشّافية / الجاربردي / ينظر : حاشية الجاربردي لابن جماعة ٠
٧٣ـ شرح شواهد الشّافية / عبد القادر البغداديّ (١٠٩٣هـ) / وهو الجزء الرّابع من شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدّين (ينظر) ٠
٧٤ـ شرح العلامة رضي الدّين على متن الشّافية لابن الحاجب في فن التّصريف / محمّد بن الحسن رضي الدّين الاستراباذي (٦٨٨ هـ) / تح : عبد الرّحمن خليفة / مط محمد علي صبيح وأولاده / مصر / ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م ٠

مكتبة لسان العرب
https://lisanarabs.blogspot.com

٧٥ـ شرح الكافية (كتاب) الكافية في النّحو / محمد بن الحسن رضي الدّين الأستراباذيّ دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٥ـ ١٩٨٥م .
٧٦ـ شرح المراح في التّصريف / بدر الدين محمود بن أحمد العينيّ (٨٥٥هـ) / تح : د . عبد السّتار جواد / مط الرّشيد / ١٩٩٠م .
٧٧ـ شرح المفصل / موفق الدّين ابن يعيش النحويّ (٦٤٣هـ) / عالم الكتب / بيروت .
٧٨ـ الصّاحبيّ في فقه اللغة وسنن العربيّة في كلامها / أبو الحسين بن أحمد بن فارس / تح : مصطفى الشويمي / مؤسسة أ . بدران للطّباعة والنّشر / بيروت ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م .
٧٩ـ الصّناعتين (الكتابة والشعر) (كتاب) / الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال العسكريّ (٣٩٥ هـ / تح : محمّد علي البّجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم / المكتبة العصريّة / بيروت / ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م .
٨٠ـ الضّاد العربيّة : مثال للتّطور الصّوتيّ / د . يحيى أحمد / مجلة حوليات كلية الإنسانيّات والعلوم الإجتماعيّة / جامعة قطر / ع ١٦ / ١٩٩٣ م .
٨١ـ ظاهرة كراهيّة توالي الأمثال في العربيّة / د . عبد القادر مرعي خليل / مؤتة للبحوث والدراسات أ ـ العلوم الانسانية والاجتماعية / مج ٩ ع ١ / ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .
٨٢ـ ظاهرة الوضوح السّمعي في الأصوات (جهاز مبتكر لقياسها) د . سمير شريف ستيتيّة / أبحاث اليرموك (سلسلة الآداب واللغويّات) / مج ٦ ع ١ / ١٩٨٨ .
٨٣ـ الظّواهر اللغويّة في قراءة الحسن البصريّ / د . صاحب جعفر أبو جناح / مركز دراسات الخليج العربيّ / مط جامعة الموصل / ط ١ / ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .
٨٤ـ العربيّة الفصحى نحو بناء لغويّ جديد / هنري فليش / دار الشّرق / المطبعة الكاثوليكيّة / بيروت / ١٩٨٣م .
٨٥ـ العربيّة وعلم اللغة البنيوي (دراسة في الفكر اللغوي العربيّ الحديث / د . حلمي خليل خليل / دار المعرفة الجامعيّة / مط . الفنية / مصر / ١٩٨٨ .
٨٦ـ العربيّة ولهجاتها / د . عبد الرّحمن أيوب / مكتبة الشباب / مطاسجل العرب / القاهرة .
٨٧ـ العلامة الإعرابيّة في الجملة بين القديم والحديث / د . محمّد حماسة عبد اللطيف / جامعة الكويت / ط . أمّ القرى / ط ١ / ١٩٨٤ م .
٨٨ـ علم الأصوات / برتيل مالمبرج / ت : د . عبد الصّبور شاهين / مكتبة الشباب / مط التقدم / القاهرة / ١٩٨٥م .
٨٩ـ علم الأصوات العام (أصوات اللغة العربيّة) / بسّام بركة / مركز الانماء القومي / لبنان .
٩٠ـ علم الأصوات عند سيبويه وعندنا / أ . شادة / صحيفة الجامعة العصريّة / س ٢ ع ٥ و ع ٦ / ١٩٣١م .
٩١ـ علم اللغة / د . علي عبد الواحد وافي / دار نهضة مصر / ط ٩ .
٩٢ـ علم اللغة العام (القسم الثّاني : الأصوات) / د . كمال محمّد بشر / دار المعارف / مصر / ١٩٧٣م .

٩٣ـ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي/ د ٠ محمود السّعران / دار النّهضة العربية/ بيروت ٠
٩٤ـ العين/ الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)/تح : د ٠ مهدي المخزوميّ و د ٠ إبراهيم السامرائيّ/وزارة الثّقافة والفنون / مط الرّسالة / الكويت/١٩٨٠م٠ (العراق)
٩٥ـ غاية النّهاية في طبقات القرّاء / شمس الدين أبو الخير بن الجزريّ (٨٣١هـ)/ تح : برجشتراسر / دار الكتب العلمية /بيروت / ط ٢/ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م٠
٩٦ـ فصول في فقه العربية / د ٠ رمضان عبد التّواب/مكتبة الخانجي بالقاهرة / ودار الرفاعي بالرياض/سفنكس للطّباعة / ط٢/ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣م٠
٩٧ـ الفعل الماضي مسنداً إلى ضمائر الرّفع المتّصلة ٥دراسة صوتية / تغريد السّيف غنبر/ المجلة العربية للدّراسات اللغوية/معهد الخرطوم الدولي للغة العربية/ مج ٢ ع ٢ / ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦٠
٩٨ـ فقه اللغات السّاميّة / كارل بروكلمان / ت : د ٠ رمضان عبد التّواب / جامعة الرّياض/ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ٠
٩٩ـ الغويين بين النّحو العربيّ القديم وعلم اللغة الحديث / د ٠ عبد المنعم ناصر/ آفاق عربيّة/ دائرة الشؤون الثقافيّة / س ١٥ ع ٨ / ١٤١١ هـ ـ ١٩٩٠ م٠
١٠٠ـ في الأصوات اللغويّة (دراسة في أصوات المد العربية) د ٠ غالب فاضل المطلبيّ/ وزارة الثقافة والفنون / دار الحريّة/ بغداد / ١٩٨٤م٠
١٠١ـ في البحث الصّوتيّ عند العرب/ د ٠ خليل إبراهيم العطيّة / الموسوعة الصغيرة/ دار الحرية / بغداد ١٠٤٣هـ ـ ١٩٨٣م٠
١٠٢ـ في حقيقة الادغام / د ٠ جعفر عباينة/ أبحاث اليرموك (سلسلة الآداب اللغويّة)/ جامعة اليرموك / مج ٣ ع ٢/ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٥ م ٠
١٠٣ـ في اللهجات العربيّة / د ٠ إبراهيم أنيس / مكتبة الانجلو مصريّة / مط الفنية الحديثة / مصر/ ط ٤/ ١٩٧٣ م٠
١٠٤ـ في النّحو العربيّ ٥ نقد وتوجيه/د ٠ مهدي المخزوميّ/ المكتبة العصريّة/ لبنان / ط ١/ ١٩٦٤٠
١٠٥ـ القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللغة الحديث / د ٠ عبد الصّبور شاهين/ مكتبة الخانجي بالقاهرة / ١٩٦٦٠
١٠٦ـ القرائن النّحوية وأطراح العامل والإعرابين التّقديريّ والمحليّ/ د ٠ تمّام حسّان/ اللسان العربي/ مكتب تنسيق التّعريب بالرّباط / مج ١١ ج ١ (أبحاث ودراسات)/ ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م ٠
١٠٧ـ قواعد تحويليّة للغة العربية / د ٠ محمد علي الخوليّ/ دار المريخ /السّعوديّة / ط ١/ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨١ م٠
١٠٨ـ الكتاب بين الوصفيّة والمعياريّة / د ٠ أحمد سليمان ياقوت / دار المعرفة الجامعيّة / الإسكندريّة / ط١/ ١٩٨٩٠
١٠٩ـ كتاب سيبويه / سيبويه/ تح : عبد السّلام هارون /عالم الكتب / بيروت ٠

١١٠ـ الكشف عن وجوه القراءات السّبع وعللها وحججها / مكي بن أبي طالب القيسيّ (٤٣٧ هـ)/تح : د ٠ محي الدّين رمضان / مؤسسة الرّسالة / ط ٣ / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤ م ٠
١١١ـ كشف المشكل في النّحو/ علي بن سليمان الحيدرة اليمنيّ (٥٩٩ هـ)/تح : د ٠ هادي عطية مطر / وزارة الأوقاف/ مط الإرشاد / بغداد / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م٠
١١٢ـ الكلام ، إنتاجه وتحليله / د ٠ عبد الرّحمن أيوب / جامعة الكويت /مط ذات السلاسل / الكويت /ط١/ ١٩٨٤م٠
١١٣ـ كلام العرب (من قضايا اللغة العربية) / حسن ظاظا / دار النّهضة العربية/ بيروت / ١٩٧٦م٠
١١٤ـ لسان العرب / ابن منظور جمال الدّين محمّد بن مكرم الأنصاريّ (٧١١هـ) / صورة عن ط ٠ بولاق / الدار المصريّة للتّأليف والتّرجمة / مط كوستاتسوماس وشركائه ٠
١١٥ـ اللسانيّات وعلم المصطلح العربيّ/ د ٠ عبد السّلام المسدّيّ / اللسانيات في خدمة اللغة العربية/ سلسلة اللسانيات ـ 5 ـ / الجامعة التّونسيّة / ١٩٨١م٠
١١٦ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات / شهاب الدّين القسطلاني / تح : عامر السّيد عثمان ود ٠ عبد الصّبور شاهين/ لجنة إحياء التّراث / مط ٠ الأهرام/ مصر/ ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢م٠
١١٧ـ اللغات الساميّة / تيودورنولدكه/ ت : د ٠ رمضان عبد التّواب/ دار النّهضة العربية بالقاهرة / مط الكمالية / ١٩٦٣م٠
١١٨ـ اللغة / فندريس / ت : عبد الحميد الدّواخلي ومحمّد القصاص / مكتبة الأنجلو مصريّة/ مط لجنة البيان العربيّ/ ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥٠ م٠
١١٩ـ اللغة العربيّة معناها ومبناها / د ٠ تمّام حسّان / مط الهيئة المصريّة للكتاب/ ط ٢/ ١٩٧٩ م ٠
١٢٠ـ اللغة وعلم النفس (دراسة للجوانب النّفسية للغة)/د ٠ موفّق الحمدانيّ /مديريّة دار الكتب / جامعة الموصل ٠
١٢١ـ اللغة والفكر/ د ٠ نوري جعفر/ مكتبة التّومي / الرّباط / ١٩٧١ م٠
١٢٢ـ اللهجات العربية الغربية القديمة/ حايم رابين/ ت : د ٠ عبد الرّحمن أيوب/ ذات السلاسل/الكويت / ١٩٨٦م٠
١٢٣ـ اللهجات العربيّة في التّراث / د ٠ أحمد علم الدّين الجنديّ/ الدّار العربيّة للكتاب / ج ١ ١٩٨٣ / ج ٢ ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨ م٠
١٢٤ـ اللهجات العربية في القراءات القرآنيّة/ د ٠ عبده الرّاجحيّ / دار المعارف /مصر/ ١٩٦٨ م٠
١٢٥ـ لهجة تميم وأثرها في العربيّة الموحّدة / د ٠ غالب فاضل المطلبيّ / وزارة الثقافة والفنون/ دار الحرية / بغداد / ١٩٧٨م٠
١٢٦ـ ماذكره الكوفيون من الإدغام / أبو سعيد السّيرافيّ (٣٦٨ هـ) تح :د ٠ صبيح التّميميّ/ مط دار الشّهاب/ الجزائر ٠
١٢٧ـ مجالس ثعلب / أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١ هـ) / تح : عبد السّلام هارون/ دار المعارف/مصر/القسم الاول/ ط ٥ /١٩٨٧/القسم الثاني / ط ٤ / ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م٠

١٢٨ـ محاضرات في اللغة (القسم الأوّل)/ د ٠ عبد الرّحمن أيوب / جامعة بغداد/ مط المعارف/ بغداد / ١٩٦٦ م٠
١٢٩ـ محاولة ألسنية في الإعلال / د ٠ أحمد الحو/ عالم الفكر/ مج ٢٠ ع ٣/ ١٩٨٩م٠
١٣٠ـ المحيط في أصوات العربيّة ونحوها وصرفها / محمّد الانطاكيّ/ دار الشرق العربي / بيروت/ ط ٣ ٠
١٣١ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/ د ٠ رمضان عبد التّواب /مكتبة الخانجي بالقاهرة / مط المدني/ط ٢/ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م٠
١٣٢ـ مدرسة براغ اللغويّة/ د ٠ أحمد مختار عمر /مجلة كلية الآداب والتّربية /جامعة الكويت/ ع ١١/ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م٠
١٣٣ـ مراكز الدّراسات النّحويّة/ د ٠ عبد الهادي الفضليّ/ مكتبة المنار/ الأردن /ط١/ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م٠
١٣٤ـ المصطلح الصّوتيّ في الدّراسات العربيّة / عبد العزيز سعيد الصّيغ /رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب / جامعة بغداد / ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ م٠
١٣٥ـ المصطلح اللغوي عند ابن جنّيّ من خلال الخصائص / د ٠ هادي نهر / مقدّم إلى مؤتمر النّقد الأدبي الخامس في جامعة اليرموك /الأردن/ ١٩٩٤م٠
١٣٦ـ الصوتيات عند علماء العربيّة / د ٠ غانم قدّوري الحمد / مجلة كلية الشّريعة/ جامعة بغداد / ع ٥/ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م ٠
١٣٧ـ مفتاح السّعادة ومصباح السّيادة في موضوعات العلوم / أحمد بن مصطفى طاش كبري زادة / تح : كامل كامل بكري و عبد الوهاب أبو النّور/ مط الاستقلال الكبرى ٠
١٣٨ـ مفتاح العلوم / أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر السّكاكي (٦٢٦ هـ) / تح : أكرم عثمان يوسف/ جامعة بغداد /مط دار الرّسالة / ط ١/ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٦ م
١٣٩ـ المفصّل في علم العربيّة / أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ (٥٣٨ هـ)/ ويذيله كتاب المفضّل في شرح أبيات المفصّل / محمد بدر الدّين النّعساني الحلبيّ/ دار الجيل/ بيروت / ط ٢/ ١٣٢٣ هـ ٠
١٤٠ـ المقتصد في شرح الإيضاح (كتاب)/عبد القاهر الجرجاني / تح : د ٠ كاظم المرجان/
١٤١ـ المقتضب (كتاب)/أبو العباس محمّد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)/تح : محمّد عبد الخالق عضيمة / لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ/مصر/ ٠
١٤٢ـ المقرب/ علي بن مؤمن ابن عصفور (٦٦٩هـ)/تح : أحمد عبد السّتار الجواريّ ود ٠ عبد الله الجبوريّ / وزارة الأوقاف/ مط العاني بغداد / ١٩٨٦م ٠
١٤٣ـ مقطع الضارعة بين العربيّة واللغات الساميّة / د ٠ إسماعيل عمايرة/ أبحاث اليرموك (سلسلة الآداب واللغويّات) / مج ١٢ ع ٢ / ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م٠
١٤٤ـ منازل الحروف /أبو الحسن علي بن عيسى (الرّماني (٣٨٨هـ)/ ضمن (رسالتان في اللغة)/تح : د ٠ إبراهيم السّامرائيّ/دار الفكر/ عمّان/ ١٩٨٤ م٠
١٤٥ـ مقاطع البحث في اللغة / د ٠ تمام حسان /دار الثّقافة / مط النّجاح الجديدة / الدّار البيضاء/ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٧٩ ٠
١٤٦ـ من فكر الفراء الصّوتي (قراءة جديدة في تراثنا الصّوتي)/د ٠ صبيح التّميمي/ المورد/ مج ١٩ ع ٢/ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م ٠
١٤٧ـ منهاج التوفيق إلى معرفة التّجويد والتّحقيق/ علم الدين أبو الحسن علي السّخاويّ / (٦٤٣هـ) / تح : د ٠ صالح مهدي عبّاس / المورد / مج ١٧ ع ٤/ ١٤٠٩ هـ ـ هـ ١٩٨٨ م٠

١٤٨ـ منهج البحث الأدبيّ / د ٠ عليجواد الطّاهر / مط أسعد / بغداد / ط٣/ ١٩٧٦م٠

١٤٩ـ منهج البحث النّحويّ في القرن الثّالث الهجريّ / د ٠ محمد علي العباسيّ / مجلة كلية التربيّة للبنات / جامعة بغداد/ ع ٤/ ١٩٩٣ م٠

١٥٠ـ الموضح في التّجويد / عبد الوهاب بن محمّد القرطبي (٤٦١ هـ) / تح : د ٠ غانم قدوري الحمد / معهد المخطوطات العربيّة/ الكويت / ١٩٩٠م٠

١٥١ـ ميكانيكية النّطق والأصوات المهموسة والمجهورة في العربية / د ٠ سمير شريف ستيتيّة / مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق / مج ٦٢ ج ٣/ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م٠

١٥٢ـ النّحاة العرب القدامى وعلم اللغة الحديث / أ٠ د ٠ ولفكانغ روشل / الاستشراق/ دار الشّؤون الثّقافيّة / بغداد / ع ٤/ ١٩٩٠م٠

١٥٣ـ النحو العربي والدرس الحديث (بحث في المنهج) د ٠ عبده الرّاجحي / دار النهضة العربية / بيروت / ١٩٧٩٠

١٥٤ـ نشأة النّحو العربيّ في ضوء كتاب سيبويه / أ٠ جيرارتروبو / مجلة مجمع اللغة العربية الأردنيّ/ مج ١ ع ١ / ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م٠

١٥٥ـ النّشر في القراءات العشر / أبو الخير محمّد بن محمّد ابن الجزريّ الدّمشقيّ / (٨٣٣ هـ)/تح : علي محمّد الضّباع/ دار الكتب العلمية /بيروت ٠

١٥٦ـ النّظريات الصّوتية في كتاب سيبويه / الطيب البكوش / حوليات الجامعة التونسيّة/ ع ١١/ ١٩٧٤م٠

١٥٧ـ النّظريّة التحويليّة واللغة العربيّة / د ٠ محمّد عليّ الخوليّ / مجلة دراسات كلية التربية / جامعة الرياض/ ع١ / ١٩٧٧م٠

١٥٨ـ النّظرية اللسانيّة والشّعريّة في التّراث العربيّ من خلال النّصوص / د ٠ عبد القادر المهيري و د ٠ حمادي صمود و د ٠ عبد السّلام المسديّ / الدار التّونسيّة / ط ـ العربية / ١٩٨٨م٠

١٥٩ـ هديّة العارفين (أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين) / إسماعيل بن باشا البغداديّ/ مكتبة المثنى بغداد / وكالة المعارف / مط إستنبول / ١٩٥٥م٠

١٦٠ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربيّة / جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ (٩١١هـ)/تح : السّيد محمّد بدر الدّين النّعسانيّ / دار المعرفة / بيروت ٠

Al-Kadi depended on aslmple stanza basis represented by silent and moving letter , and the study was enable in his ~~s~~abmitted information in the wtwo subjects of begii-ning and the two silents meeting in Al-Shafeh explanation to appear with the stanza system concerned with the per-formance process in arabic language and it has been shown from this study that Al-Kadi has treated semi extension ((w,y) as he treated the extension sounds (i: , a:) across what has he saw of the lack of extension , and that accompained by an idea considered as an old expression of the depthong .

The results of the study was also amature theory on the sound and grammar levels in the work of grammairum discriminators which is the functioning of agroup of high sounds and punctuation to work as semantics for the gra-mmarion meanings in the nouns which they are :

1.Then and rhem case in the main part of the sentence .
2.Redundancy case residule .
3. Phrase case at the end of the word grammarim Indeendence .
4. Nanation is a mark of system perfection .

It also showed the realization of Al-Kadi of the role of vecalization in the morphological aspect .

The variation of the dialects sound behaviour en-rich the linguistic subject matter obviously that this subject matter has showed astand of the details towards agroup of phanomena concerning the sound developments and their morphological , stanza and grammarium systems .

مكتبة لسان العرب
https://lisanarabs.blogspot.com

This study submitted a schema represents the speech system and the distribution of linguistic sounds on its members according to what has been submitted by Al-Kadi, in his seperated word , about the phonetics and his accurate division of the teeth .

The study submitted also ajustification consisdered by the reseacher to describe the sounds : Al-Hamza, Al-ta, Al-Kaf) inpublicity in opposition of the modern lesson and the researcher has depended on what have been showed by him of the two concepts of publicity and whisporing of Al-Kadi whom they are saw them as exposed to the overlaping of many sound views with social views which make the two concepts remote of what have been known to the moderns of the two semantic of the former terms .

The most important results of the study are : the most prominent results depended on the tables of amalgmation and substitution conditions in the common Arabic and its dialects showed that the two adjectives of stop and flexibility (continuity) are considered as on active factor in the system of their discrimination in opposition to what have been happened with the two adjectives of bublicity and whispering and also the virtue adjectives (tubaq , whistling soft, nasal speech , repetition , longitudity , displeasure , dissemination and flaccidity).

The depending in arabic language and the rest of its levels on the phonatic reglon in sound discrimination and not phonetic point .

ABSTRACT

This is a study in the phonology of the fluent arabic language , the language of the sacred divine text (The Holy Koran) , and pre-Islamic poetry until the mid of the second century of the prophet Muhammad Higera (God blessd him and grant him salvation) and it emphasizes on the effort of one of its prominent scholars the late Radi Al-din Muhammad Bin Al-Hassan Al-Astrabathi Dead 688 H. in Iraq and his efforts was limited separately between his two famous books: Shafeh Ibn -hagib explanation in morphology and Calligraphy and Kafeh explanation in Grammer , and the researcher has followed in his study the way of moderns whom they are carrying out the product of the old accross the dialectic between the old and the modern to show the features of the arab sound theory which didn't get its independence to be as Independent science like other linguistic sciences .

The most prominent results of this study is the richness of this scholar in sound terms and the researcher has discovered through some of his terms the important perceptions in the secomd sound ideas such as the terms sound structture , stress , structures adverbs (niether structures nor structures adverbs) , letters system sound system , damma system (Lip) letter virtue, integration and the letter material .

مكتبة لسان العرب
https://lisanarabs.blogspot.com

https://lisanarabs.blogspot.com

The Sound Lesson of Radi - Al-Din Al-Astrabathi (688 A.H.)

A Thesis Submitted by :

Hassan Abdul-Al-Shani Jawad Al-Asadi

To the Council of College of Arts in Al-Mustansiriyah University which ia a part of M.A. Degree Requirments in Arabic Language

Under the Supervision of

Professor : Hadi Nahar (Ph.D)

تم تحميل هذا الكتاب من
مكتبة لسان العرب

1995 A.D. 1416 H.

lisanarabs.blogspot.com